حكايتي مع المكتبة

رامز النويصري

أعتقد أني كنت موفقاً بشكل كبير خلال دراستي، لوجود مكتبة في كل مدرسة درست بها، بداية من مدرسة الفيحاء الابتدائية، إلى مدرسة أحمد رفيق المهدوي الإعدادية، حتى ثكنة1 أسد الثغور الثانوية.

قراءات مبكرة

كانت القصص القصيرة، وأخبار الشخصيات الإسلامية والكتب العلمية البسيطة هي أهم قراءاتي في مكتبة مدرسة الفيحاء الابتدائية؛ بمنطقة فشلوم، حيث كان الأستاذ "محمد المحروق" يواظب على متابعتنا ومراجعة كراسة المكتبة، وفي حال عدم وجوده كانت ثمة (مدرسة احتياط) هي من تقوم على إنزالنا للمكتبة ومرافقتنا، والتي نستشيرها في حال صعب علينا قراءة أي كلمة .

في مكتبة مدرسة الفيحاء تعرفت إلى قصص (كليلة ودمنة) وكانت في شكل سلسلة حافظت على الاطلاع عليها جميعها، إضافة إلى سلسلة (تاريخنا) التي قدمت مجموعة كبيرة من الشخصيات الإسلامية.

في مدرسة أحمد رفيق المهدوي الإعدادية؛ بمنطقة الظهرة، كانت المكتبة مكانا جميلا، خاصة وإن الأستاذ المشرف على المكتبة (للأسف نسيت اسمه) كان ودوداً وطيباً، حيث في هذه المكتبة تعرفت إلى سلسلة علماء العرب ل(راجي عنايت). وفي ذات الوقت تفتحت قراءاتي على الألغاز البوليسية؛ المغامرون الخمسة، المغامرون الثلاثة، الشياطين الـ13، والتي كنت أتبادلها وأصدقائي، وبشكل خاص صديقي: خالد الزناد، هشام النيهوم.

هذا إضافة إلى تكون علاقة مع المكتبات القريبة من المدرسة لشراء مجلات؛ ماجد، سامر، سعد، عرفان، بساط الريح (مجلات ومجلدات)، وغيرها وبشكل خاص من ثلاث مكتبات هي؛ مكتبة عمي نصر – بالظهرة، مكتبة عمي رجب الوحيشي – بشارع امحمد المقريف، مكتبة فشلوم – وكانت عبارة عن كشك أمام الجامع الكبير. بالمناسبة كنا نسمي المكتبة باسم صاحبها.

في المرحلة الإعدادية أيضاً؛ بدأت بكتابة القصص، حيث كنت وصديقي "هشام" نواظب على تأليف ورسم القصص المصورة.

في الثانوية بثكنة أسد الثغور الثانوية – جحفل الأبرار البري؛ كما كان مكتوباً على لافتتها، بمنطقة وسعاية بديري، كنت أرى نفسي مختلفاً بسبب حبي للقراءة، فكنت أقضي أغلب أوقات الفراغ في الثانوية في المكتبة، خاصة وإنها كانت مكتبة غنية بالكتب في شتى صنوف المعرفة، ومن الأشياء الجميلة إنها كانت مكتبة مفهرسة، فتعلمت من أمين المكتبة (الأستاذ الطاهر) وكان أستاذا فاضلا معنى فهرسة المكتبة وطريقة البحث في الفهرس الذي كان مجموعة من الأدراج في بداية المكتبة قريبا من مكتبه، حيث كانت البطاقات مرتبة بطريقة جميلة في الأدراج، مطبوعة بالآلة الكاتبة، هذا دون أن أنسى سجل الاستعارة الذي كان يسجل فيه الأمين أسماء الكتب المستعارقة قرين أسمائنا.

من أمهات الكتب التي طالعتها في هذه المكتبة؛ نهج البلاغة، الأغاني، إضافة إلى الموسوعات العلمية، كـ(قصة الحضارة) لـ"ول ديورنت".

من ضمن من كان يداوم على الحضور للمكتبة أستاذين يدرسان اللغة العربية والإسلاميات، وكنت كثيرا ما أسمعهما صحبة أمين المكتبة يتحدثون في موضوعات أدبية وإسلامية، أذكر أحدهما وهو الأستاذ الفاضل "محمد طرنيش"؛ أستاذ اللغة العربية والإسلاميات، الذي كنت أرجع إليه عندما لا أفهم أمرا ما أو يستشكل على شيء أثناء القراءة. ومن الموضوعات التي كنت شاهدا عليها؛ نقاشهم لأسماء الشهور التي تم إقرارها واعتمادها للتأريخ في ليبيا؛ أي النار، النوار، الربيع، الطير، الماء، ناصر، هنيبال، الفاتح، التمور، الحرث، الكانون.

بالمناسبة في هذه الفترة كنت أمارس الرسم والخط، وكنت بشكلٍ مستمر أقوم على تصميم وكتابة الصحف الحائطية في المدرسة، وكانت الصحف التي أنفذها مميزة وفازت بعضها بجوائز. والسبب هو المكتبة!

• • •

توسع الدائرة

مع دراستي الثانوية توسعة دائرة قراءاتي وحركتي، فكنت بشكل دوري أذهب صحبة صديقي وجاري "وليد شنب" إلى وسط البلاد (المدينة)2، حيث نزور المكتبات بحثا عن الكتب التي تهمنا، حيث في تلك الفترة اهتممنا بالكتب العلمية، خاصة سلاسل العلوم الميسرة وما يختص بالإلكترونيات، فكنا نهتم بتكوين بعض الدوائر الكهربائية البسيطة، فتعرفنا إلى كل المكتبات الموجودة إضافة إلى مكتبة عمي فريفر، بمنطقة رأس حسن، والتي أذكر أني اقتنيت منها العدد الأول من مجلة لا. حيث شدني حجمها قبل محتواها!

من ضمن الأماكن التي كنا نقصدها خلال دراستنا الثانوية والجامعية مكتبة (مصطفى قدري معروف) وكانت موجودة خلف مدرسة الفنون والصنائع، وكنا نجلس فيها للقراءة خاصة تفسير القرآن الكريم.

بدأت تكوين مكتبتي مبكراً، من خلال اقتناء الكتب وما توفر لدي، وكانت أكبر دفعة كتب أتحصل عليها هي هدية من جارنا الأستاذ الفاضل "محمد عبدالخالق" مدرس اللغة الإنجليزية بمدرسة (علي وريث الثانوية)، متمثلة في مكتبته الصغيرة بما حوت من كتب عربية وانجليزية، وذلك عند انتهاء عمله في ليبيا، ثمانينيات القرن الماضي.

ولقد كان لمكتبة الدار الجماهيرية بجامعة طرابلس (الفاتح سابقا) والتي كانت موجودة قبالة كلية التربية آنذاك، الفضل في الحصول على مجموعة من كتب الأدباء والكتاب الليبيين، وبعض الكتاب العرب، ومن الكنوز التي اقتنيتها من هذه المكتبة مذكرات الشاعر العراقي الكبير "محمد مهدي الجواهري" في جزئين.

ولأن يوم الخميس كان في العادة بلا محاضرات، كنت أخصص هذا اليوم لزيارة المكتبات، لاقتناء المجلات بشكل أساسي، وما أجده من كتب، خاصة بعد افتتاح مكتبة البستان التي كانت أسعار الكتب فيها رخيصة جدا مقارنة بباقي المكتبات.

مكتبات.. مكتبات

كثيرة هي المكتبات التي تعرفت إليها ثمة مكتبات ارتبطت عندي بذكريات خاصة، فمن ضمن المكتبات التي داومت لفترة على زيارتها بشكل منتظم (المكتبة القومية المركزية)

وكانت تشغل قصر الخلد بطرابلس (قصر الشعب سابقاً)، خاصة وإن المسؤول عن هذه المكتبة القائد الكشفي والصديق الدكتور "مصطفى بديوي"، أيضا لا يمكنني أن أنسى مكتبة مركز جهاد الليبيين، الغنية والثرية، وفيما بعد مكتبة مركز دراسات وأبحاث الكتاب الأخضر.

من المكتبات التي استفدت منها وأثرت حصيلتي المعرفية في وقت مبكر مكتبة جارنا السيد الفاضل "عبدالسلام عبدو" حيث كان يملك مكتبة غنية، وكان من أهم الكتب التي استعرتها منها وانتهيت منها؛ تفسير (التحرير والتنوير) للشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" و(الكشاف) للـ"زمخشري"، وبعضا من كتب اللغة، خاصة وإن زوجته الفاضلة كانت مدرسة للغة العربية للمرحلة الثانوية، وكانت ممن اطلع على تجاربي الشعرية المبكرة.

أيضا لا أنسى مكتبة الأستاذ "قاسم حماد" -رحمه الله-، ومكتبة جارنا الشاعر الغنائي (علي جبريل) التي احتوت بعض الكتب وبشكل خاص لأدباء وكتاب ليبيين، ومنها استعرت مجموعة (حكايات شارع الغربي) للقاص الراحل "خليفة حسين مصطفى".

حكاية قبل الختام

في منتصف تسعينات القرن الماضي، وفي مساء صيفي، طرق باب بيتنا أحد الأصدقاء (ابن جارنا)، وطلب مني مرافقته إلى بيتهم، وعبر حديقة المنزل وصلنا إلى حجرة صغيرة، دخلناها فإذا بها دولاب ملابس، وما إن فتحه حتى وجدت مجموعة من الكتب والمجلات مرصوصة داخله، التفت إلي صديقي وقال:

- تبيهم؟

لم أتردد:

- نعم؟ خليني بس نجيب ساكوا من الحوش باش انلمهم فيه!

كان جيراننا يستعدون للانتقال إلى بيتهم الجديد، وفي ظني قرروا التخلص مما يعيق عملية النقل ويزيد من زحمة المنقولات.

ومن المناسب التوضيح، إن جارنا -رحمه الله- كان يعمل بإذاعة القرآن الكريم، وكان ضمن لجنة الإعداد والإشراف على (مصحف الجماهيرية).

وعدت لبيتنا مسرعاً، لأحضر أكبر حقيبة لأجمع فيها ما يحتويه دولاب الجيران، ولله الحمد كانت الحقيبة كافية لجمع ما احتواه الدولاب من كتب ومجلات، حيث كانت الحصيلة الأكبر للمجلات، وكان من بينها مجموعة من أعداد مجلات: (الشورى)، و(العلم والإيمان) وبعد الأعداد من (الدعوة الإسلامية). كما كان من بين ما احتواه الدولاب أيضا، بعض الصحف والكتيبات الإرشادية.

كلما تأملت مكتبتي اكتشفت حجم العوالم التي زرتها وتجولت فيها، مستويات المعارف التي عبرتها، والأسماء التي تتلمذت عليها وتعرفت إليها.

أنا أدين للمكتبة بالكثير فهي معلمي وأستاذي، ووسيلتي وزادي في رحلتي.

هامش:

1 -في نظام القذافي، كان يطلق على الثانويات (ثكنة) حيث كان الطلبة يرتدون الزي العسكري الأخضر، وكان هناك حصة أسبوعية تسمى العسكرية، يدرس فيها الطلاب العلوم العسكرية ويتدربون على السلاح؛ وخلال دراستي كان تخصصنا الصاعقة.

2 -وسط البلاد أو المدينة، يعبر عن المنطقة اليت كانت تتواجد بها المحلات وقاعات السينما والمكتبات في الشوارع الرئيسية.

المكتبات العامة والمراكز الثقافية في ليبيا
التحديات والمعالجات

امراجع السحاتي

تعتبر المكتبات العامة والمراكز الثقافية وسيلة هامة في توعية وتثقيف وتعليم المجتمعات التي تتواجد بها فهي من أهم الوسائل التي تساهم في نشر الثقافة والمعرفة والتعليم بين الأفراد كما أنها تساهم في إنجاز بحوث الباحثين من طلاب الدراسات العليا والأكاديميين، وهي الفضاء الثقافي الذي يقبل إليه الأفراد للتحصيل والتثقيف والترفيه الفكري. فهي وسيلة هامة في صياغة ثقافة المجتمع من خلال ما تقدمه من مصادر للمعرفة، كما أنها تساهم في وعي الأفراد ثقافياً ومعرفياً، وهي وسيلة وصل بين الفكر والمعرفة ومن يمثلها والأفراد الراغبين في الحصول على المعارف والعلوم الجديدة. وقد أشير بان المكتبات هي مؤسسات عريقة جاوز عمرها أكثر من أربعين قرناً، وهي بهذا تمثل جزء من المساحة الكلية للحضارة الإنسانية، ساهم الإنسان بتكوينها حيث سجل حياته على الصخور بالرسوم والنقوش وغيره فصارت مكتبات، كما ظهرت مكتبات متنوعة مثل مكتبة البرديات، ثم تطور الإنسان وتطورت معه مكتباته وصارت ورقية ثم مرئية ثم الالكترونية، صارت هناك مكتبات صوتية ومرئية ومكتبات مليزرات ومكتبات مصغرات الفيلمية وغيرها، إضافة إلى ذلك ظهرت مراكز المعلومات وهي كالمكتبات حيث ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين وارتبط ظهورها باستخدام الحاسب في اختزال المعلومات ومعالجتها واسترجاعها داخل المكتبات. صارت المكتبات العامة الورقية بعد ظهور وانتشار الانترنت ملحقة بها مكتبات الكترونية وهذه المكتبات الالكترونية لها ميزة هو سرعة الحصول على المعلومة منها، ويمكن الاطلاع عليها في أي مكان، ورغم ذلك فهي تواجه صعوبات كثيرة منها تكلفتها المالية العالية وانقطاعها بين فترة وأخرى وعدم معرفة مكان مصدر المعلومة وصاحبها.

التعريف بالمكتبات العامة:

المكتبة العامة أحد المنصات الإعلامية العلمية التي تقدم خدماتها للمواطنين بالمجان، وهي تقدم خدماتها إلى كافة الأعمار إناثٍ وذكور، وهذا المكتبة عادة تكون مفهرسة ومصنفة حيث يطبق عليها نظام معظم المكتبات العامة بواسطة اختيار رقم التصنيف من جداول تصنيف ديوي العشري المعدل، ووضعها على كعب الكتاب حتى يسهل على المتردد أو الزائر في الحصول على كتابه المطلوب في أسرع وقت، فمثلاً توضع كتب التاريخ مع بعضها حتى يسهل على الذي يبحث على كتاب يتحدث عن التاريخ ويتحصل عليه بسهولة ويسر.

عرفت المكتبات العامة بأنها " مؤسسة حكومية تعليمية ثقافية غير ربحية تغطي جميع نفقاتها من الميزانية العامة للدولة، أنشئت بهدف خدمة الجمهور مجاناً فيما إذا أرادوا قراءة الكتب أو استعارتها.(1) "

صار للمكتبات العامة علم هو علم المكتبات والمعلومات وصارت هناك أقسام وكليات للمكتبات تخرج الكثير من المتخصصين في علم المكتبات مثل أمناء المكتبات .(2)

هذا وقد عرفتها منظمة اليونسكو بأنها هي "المدخل المحلي للمعرفة والتي تساهم في اكتساب العلم مدى الحياة .(3) "

تعتبر المكتبة العامة أحد المنصات الإعلامية العلمية التي تقدم خدماتها للمواطنين بالمجان وهي تقدم خدماتها إلى كافة الأعمار أنثا وذكور، وهذا المكتبة عادة تكون مفهرسة ومصنفة حيث يطبق عليها نظام معظم المكتبات العامة بواسطة اختيار رقم التصنيف من جداول تصنيف ديوي العشري المعدل ووضعها على كعب الكتاب حتى يسهل على المتردد أو الزائر من الحصول على كتابه المطلوب في أسرع وقت فمثلاً توضع كتب التاريخ مع بعضها حتى يسهل على الذي يبحث على كتاب يتحدث عن التاريخ ويتحصل عليه بسهولة ويسر.

أشير بأن المكتبات العامة صنفت من ناحية الحجم عدة تصنيفات منها المكتبات الكبيرة ومنها المكتبات المتوسطة ومنها الصغيرة بمعنى تصنيف من ناحية المساحة والحجم، أما التصنيف الآخر فهو تصنيف من ناحية التخصص مثل المكتبات الجامعية أو الأكاديمية وهي تحوي مراجع ذات علاقة بالشأن الجامعي والأكاديمي، وكذلك المكتبة الخاصة، والمكتبة العامة، والمكتبة الوطنية .(4)

وحقيقة الآن المكتبات العامة صارت نوعين الكتروني وورقي الذي أسست عليه المكتبة أساساً، وهذه المكتبات في ليبيا صارت قليلة جداً بل إنها انعدمت في المدن الكبيرة ناهيك عن المراكز الثقافية المحلية التي صار يقتصر عملها على محاضرة أو ندوة بسيطة جداً لا يحضرها إلا مما فكر فيها.

أهداف المكتبات العامة:

هناك أهداف من إقامة المكتبة العامة، من تلك الأهداف الآتي:

1- نشر الثقافة والمعرفة بين الناس.

2- المساهمة في نشر الوعي الفكري في جميع اتجاهاته الايجابية.

3- مساعدة طلاب الجامعات والباحثين من الحصول على مراجع ومصادر مجاناً.

4- تقديم خدماتها بالمجان وبالمساواة بين الناس حيث ينتفع بها الجميع دون تمييز بسبب السن أو اللون أو الدين أو المستوى التعليمي أو العرق

5- جمع المعرفة وحفظها ونشرها بين الناس .(5)

كما أشير بأن من أهداف المكتبات العامة التثقيف وهو الهدف الأهم حيث أنها تساهم في التنمية الثقافية للأفراد، كما يعتبر التعليم من أهداف المكتبات العامة حيث أنها تساهم في تعليم اللغة كتابة وقراءة للكبار والصغار. كما تعتبر وسيلة للترفيه حيث تساعد على قضاء أوقات الفراغ للأفراد، كما أنها تساهم في نشر الأفكار والمعلومات بين الأفراد المترددين عليها، كما أنها تنمي الهوايات والعلاقات الاجتماعية.(6)

أهمية المكتبة العامة:

أشار أحد المصادر إلى أهمية المكتبات العامة وذلك لكونها تحفظ التراث المجتمعي حيث أشير بأنها تعمل كحلقة وصل في نقل التراث الإنساني للمجتمعات بين الماضي والحاضر، كما أشير كذلك أنها تساهم في زيادة فاعلية التعليم الذاتي وذلك من خلال توفير المكتبات العامة وسائل مساندة للطلاب إضافة إلى أنها توفر المعلومات الصحيحة في الوقت المناسب في أقل جهد، كما أشير بأن المكتبات العامة توفر فرص مختلفة للوظائف والورش التدريبية لمقابلات العمل لمن يحتاج إلى ذلك، كما أشير بأنها تساهم في رفع المستوى الثقافي للمجتمع والذي بدوره يساهم في خفض مستويات الفقر وكما أنها تحقيق الرفاهة الاجتماعي، كما أشير بأن للمكتبات العامة مهام مثل زيادة الوعي للمجتمع فهي تساهم في وصول الأخبار للأفراد، كما أنها توفر المصادر العلمية المختلفة وتعرف الأفراد

بالقضايا التي تحيط بهم في كافة الأمور والموضوعات وتساهم في زيادة الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي والبيئي والاقتصادي، كما أنها تساهم في برامج محو الأمية التعليمية والثقافية، كما تساهم في توفير الكتب والمراجع مجاناً، كما تساهم في إقامة الندوات وورش العمل والمؤتمرات، وإقامة معارض للكتب والفنون .(7).

كما تساهم المكتبات العامة في توفير المراجع والمصادر من الكتب والدوريات والمجلات والجرائد والصحف للطلاب والباحثين وجمهور المثقفين. إضافة إلى ذلك تعتبر المكتبات العامة حلقة وصل في نقل التراث الثقافي إلى المجتمع حيث سهلت نقل التراث الإنساني مكتوباً من جيل إلى آخر بعد أن كان ينقل شفوياً من خلال الرواة، كما تساهم في اكتساب العلم، كما تقوم المكتبة العامة بدور هام في نشر الوعي الثقافي بين أفراد المجتمع المقامة به هذه المكتبة حيث توفر إلى الكثير من المصادر التي تحوي الكثير من المعارف والعلوم التي تكون سبباً في تثقيف الأفراد، كما تساهم في حل الكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية والاقتصادية من خلال رعايتها للمؤتمرات والندوات وورش العمل داخل المكتبة في المكان المخصص لذلك، كما تساهم في الترفيه الفكري للكثير من الفئات العمرية في المجتمع الذي به المكتبة ، كما تساهم في إكساب الأفراد المعارف والخبرات من خلال ما تعرضه من كتب وما تقدمه من مؤتمرات وندوات وورش عمل .(8).

وأشير بأن للمكتبات العامة دوراً في اكتشاف المواهب المختلفة من شعراء ورسامين وموسيقيين وكتاب .(9).

لعبت المكتبات العامة والمراكز الثقافية المحلية الليبية وللدولة الصديقة والشقيقة دوراً هاماً في تنوير الفكر وتعليم الكثير من المواطنين وتثقيفهم حيث كانت منارات بعد أن كانت الكتاتيب تأخذ هذا الدور في الماضي القريب حيث مثلت الكتاتيب التي أسست في المساجد والجوامع وتلك التي داخل الزوايا السنوسية التي كانت منتشر في كافة بقاع ليبيا وحتى خارجها دوراً كبيراً في توعية وتثقيف وتعليم الكثير من الليبيين حيث وفرت الكتب والمكتبات العامة في الزوايا التي انتشرت في ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر فكانت هذه الزوايا تحوي مكتبات عامة بها كتب ووثائق ساهمت في تثقيف وتعليم الكثير من أبناء ليبيا حيث ذكر لنا التاريخ على سبيل المثال المكتبة التي كانت ملحقة بزاوية الجغبوب في أقصى الشرق الليبي حيث استفاد منها الكثير فعلى سبيل المثال برز منها طلابها

المجاهد عبد القادر توركي التباوي وغيره حيث أشير بأن المجاهد عبد القادر توركي التباوي أمضى خمسة سنوات في التعلم والتردد على مكتبة زاوية الجغبوب .(10)

كانت الكتاتيب منتشرة في المدن والقرى الليبية وعدد كبير من الزوايا والمدارس الدينية التي كانت تعلم اللغة العربية والقران الكريم والفقه ومن أبرز تلك الزوايا التي كانت تضم مكتبات عامة بها مخطوطات عربية وكتب مطبوعة ساهمت في تعليم الطلاب وتثقيفهم، وكذلك ساهمت بمساعدة المعلم في تحضير الدروس التي يلقيها على الطلاب، من تلك مكتبة زاوية الجغبوب ومكتبة أبو ماضي في ككلة ومكتبة الأوقاف العامة بطرابلس التي تأسست في أواخر القرن التاسع عشر، ومن المكتبات العامة كذلك التي كانت ملحقة بالزوايا مكتبة الزروق الملحقة بزاوية الزروق بمصراتة، ومكتبة الزاوية الاسمرية بزليطن، ومكتبة الابشات، ومكتبة الدوكالي بمسلاتة، ومكتبة زاوية عمورة بجنزور، ومكتبة الطواهرية بغريان، وكذلك مكتبة الزوايا الاباضية في جبل نفوسة، ومكتبة زاوية السني في مزدة، ومكتبة زاوية الحضيري في سبها، ومكتبة زاوية البيضاء، ومكتبة زاوية الكفرة.

كانت ليبيا في الزمن القديم في مقدمة الدول في العالم بالاعتناء بالكتب والمكتبات العامة حيث ظهر فيها كليما خوس (305- 240 ق.م) حيث أشير بأنه كان أول أمين مكتبة في العالم فقد كان يعمل كأمين مكتبة في مكتبة قورينا (شحات)، ومن بعدها انتقل مصنفاً لمكتبة الإسكندرية، وكليما خوس كان شاعراً ليبياً مميزاً، حيث استطاع أن يضع فهرساً للمكتبة يقع في 120 مجلداً والذي يعد أول فهرس في التاريخ، وكان هذا الفهرس وفق ما تذكر المصادر يشمل على السيرة الحياتية والعملية موجزة لأشهر الكتاب والمؤلفين مما أفاد المستفيدين من الفهرس، كما قام كليما خوس بتصنيف الكتب التي يحتويها الفهرس إلى ثمانية أقسام وكما يشير المصدر الذي ذكر ذلك هي الآتي-:

1- المسرحية.

2- الشعر الحماسي والغنائي.

3- التشريع.

4- الفلسفة.

5- التاريخ.

6- الخطب.

7- علم الخطابة.

8- موضوعات مختلفة ومتنوعة.(11)

كما ظهر بعده أرانرنسس (275- 194 ق.م) وهو من قورينا (شحات) وهو تلميذ كليما خوس والذي أصبح رئيساً لمكتبة الإسكندرية بعد أن انتقل إليها وكانت لأرانرنسس جهود في علم الجغرافيا والرياضيات والفلك والتاريخ .(12)

في فترة الدول التي حكمت شمال إفريقيا والتي من بينها ليبيا (184- 932 هجري) مثل الأغالبة والعبيدية والصنهاجية والموحدون والحفصيون ومن بعدهما جاء العثمانيون ونشأت مكتبات ملحقة بالمساجد كما أشير حيث لم تكن المساجد مقتصرة على العبادة فقط بل كانت للحياة الاجتماعية والسياسية تعقد فيها حلقات العلم والتعليم في أصول اللغة العربية والتفسير والحديث والقران الكريم، حيث أشير بأنه قد ظهرت مكتبات المساجد منذ أن استخدم المسلمون المساجد مكاناً للدراسة والتعلم ووفق المصادر التاريخية.

أهم المكتبات العامة التي ظهرت في ليبيا:

1- مكتبة مصطفى قدري معروف: وقد أصبحت مكتبة حكومية وهي تأسست عام 1917م داخل السرايا الحمراء كانت تحوي الكثير من الكتب والمراجع، وقد أصبحت مكتبة مركزية حكومية في عام 1959م، وأشير بأنها كانت تحوي 29-584 مجلداً في كافة العلوم، وأشير بأنها كانت تقدم خدمات ممتازة، وقد كانت بمقابل بسيط وكانت شبه مجانية من أجل الحفاظ على الكتب من الضياع التلف، حيث يقول حسن سليمان محمود في كتابه (ليبيا بين الماضي والحاضر) الصادر عن مؤسسة سجل العرب بالقاهرة عام 1962م وفق ما جاء في أحد المصادر:- " إذ كان للمكتبة نظام خاص في الاشتراك وهو مجاني ويشمل العاملين في حقل التأليف والترجمة والتعريب وكل من يؤدي للمكتبة منفعة أو يهدي إليها كتاباً ذا قيمة مفيدة، واشتراك غير مجاني لعدا هؤلاء المذكورين من المواطنين وقدره عشرون قرشاً للطلبة والموظفين بشرط إبراز شهادة تثبت ذلك. أما لغير هؤلاء فتبلغ قيمة الاشتراك (45) قرشاً نهاية السنة، وتعاد هذه المبالغ لأصحابها عند انتهاء مدة الاشتراك، أي في نهاية السنة بعد خصم جزء من هذا الضمان النقدي المودع لدى المكتبة وذلك في حالة تمزق الكتاب أو العبث به مثلاً.(13) "

2- مكتبة الأوقاف طرابلس: تأسست عام 1898م كانت في البداية وفق ما تشير المصادر بمدرسة الكاتب بباب البحر، في عام 1939م نقلت إلى عمارة الأوقاف بميدان الشهداء بعدها أشير بأنها نقلت إلى مبنى بباب الحرية وكان ذلك عام

1975م، وقد أشير بأنها كنت تحوي كتب قيمة إيطالية وعربية، وأشير بأن محتوياتها كانت من مكتبات خاصة مثل محتويات مكتبة مصطفى الخوجة الكاتب والتي قيل بأنها النواة للمكتبة، وكذلك من مكتبة احمد النائب وأسرته، ومن الكتب والمخطوطات التي تبرع بها العلماء وغيرهم من الخيرين، إضافة إلى كتب المدرسة الإسلامية الكبرى ومن النادي الأدبي، ومن المراجع التي تم شراؤها عن طريق أوقاف، وقد أشير بأن عدد الكتب بها كان يقدر بحوالي ست آلاف كتاب مطبوع وحوالي ألفين مخطوط من مختلف العلوم .(14).

3- مكتبة الأوقاف بنغازي: تأسست عام 1937م، نواة المكتبة كانت كتب ومخطوطات مكتبة زاوية الجغبوب وخلال الحرب العالمية الثانية نقلت كتب منها إلى سلوق وقد أحرقت هذه الكتب بسبب قنابل الغارات في الحرب العالمية الثانية، وكان عدد مجلداتها لا يقل عن أربعة آلاف مجلد بعد انتهاء الحرب تم افتتاحها وقد بلغت مجلداتها 350 مجلداً منها حوالي ألف مخطوط مثل الجامع الصحيح المنسوخ عام 508 هجري، والعقد النفيس عام 600 هجري، ومختصر مشارق الأنوار عام 633 هجري، وجامع الأصول لابن الأثير عام 668 هجري، وكان على المواطن الذي يرغب في الحصول على كتاب للاستعارة أن يستعيره بموجب إيصال يتعهد فيه بإرجاعه بعد الانتهاء من الاطلاع عليه، وأشير بأنه عام 1961م ضمت إلى مكتبة الجامعة الإسلامية بالبيضاء .(15)

مكتبات الكتاتيب والمساجد والزوايا :

تعتبر شكل من المكتبات العامة ومنها الآتي:

1- مكتبة زاوية طبقة.

2- مكتبة زاوية أحمد الزروق.

3- مكتبة زاوية الجغبوب.

4- مكتبة زاوية أولاد سهيل.

5- مكتبات زوايا الشيخ عبد السلام الأسمر.

6- مكتبة زاوية المحجوب.

7- مكتبة زاوية الجعراني.(16)

كما أشير بأنه قد ظهرت مكتبات عامة أخرى مثل دار الكتب الوطنية في كلا من طرابلس وبنغازي، كما ظهرت المكتبات الجامعية وهي تقدم خدماتها مجاناً وتعتبر شبه عامة إلا أنها متخصصة مثل مكتبة جامعة بنغازي وطرابلس وسرت ومصراتة والزنتان وغيرها ومكتبات الأكاديمية الليبية في طرابلس وبنغازي وغيرها، كما

ظهرت المكتبات المدرسية، ومكتبات المعاهد العليا، والمتوسطة، وهي كذلك شبه عامة تقدم خدماتها بالمجان مثل مكتبات المعاهد العالي للمعلمين، ومكتبة معهد العلاقات الدبلوماسية وغيرها، كما كانت هناك مكتبات أخرى شبه عامة خاصة بالعاملين والزوار مثل مكتبات الشركات النفطية مثل شركة الخليج العربي وغيرها، وكذلك كانت المكتبات التخصصية وهي شبه عامة مثل مكتبة الضمان الاجتماعي والموصلات والتخطيط، ومكتبات مراكز البحوث والتوثيق مثل مكتبة مركز البحوث الصناعية ومكتبة بحوث النفط، ومكتبة البحوث الزراعية، ومركز دراسات الأخضر والذي كان له نصيب الأكبر من أموال هذه المراكز وصار هو الواجهة الثقافية الوحيدة التي اهتمت بها الدولة وغيرها ، هذا وقد أشير بأن عام 1961 م كان عدد المراكز الثقافية في ليبيا خمسة مراكز ثم صارت عام 1980 م 147 مركز ثقافي، أما المكتبات العامة فقد كان عام 161م سبعة مكتبات وصار عام 1980م 27 مكتبة.(17)

وطبعاً اعتبرت المراكز الثقافية والمكتبات العامة يؤديان وظيفة المكتبات العامة حيث أن كل مركز ثقافي ملحقة به مكتبة عامة وكان لها دور في تثقيف ونشر الفكر بين المواطنين لدرجة أن مركز دراسات الكتاب الأخضر استغل في نشر فكر الكتاب الأخضر وألحقت به مؤسسة خاصة به تمنح الشهائد المتخصصة في هذا الفكر وظهر أساتذة ودكاترة يحملون هذا الفكر من هذا المركز وقد أصدر وطبع ونشر المركز كتب ومجلات.

كما لا ننكر الدور الذي لعبته المراكز الثقافية الشقيقة والصديقة داخل ليبيا والتي كانت تحوي مكتبات عامة فهي أيضاً كانت منارات ثقافية وتعليمية وتوعية من خلال ما تقدمه مكتباتها ومراكزها حيث كان هناك دور كبير للمراكز الثقافية غير الليبية داخل ليبيا للدول الصديقة والشقيقة في تعليم وتثقيف المواطنين على مدى السنوات الماضية إلا أن هذه المراكز توقفت خلال السنوات الماضية وانقطعت عن تقديم خدماتها للمواطنين خاصة بعد 2011م حيث صارت معدمة بسبب عدم توفر الأمن، وعدم وجود استقرار سياسي، فبعد أن كان لهذه المراكز دور في تثقيف وتهذيب وتعليم المواطنين قفلت في ظل الفوضى العارمة التي تعيشها ليبيا بعد السابع عشر من فبراير 2011م، لقد كان لهذه المراكز الثقافية دور في تعليم الكثير من الشباب لغة الدولة صاحبة المركز حيث تعلم الكثير اللغة الانجليزية وفي هذا الخصوص يقول الكاتب خليفة الفاخري في حوار أجراه حسين مخلوف عام1991: " درست اللغة الانجليزية في

المركز الثقافي البريطاني في بنغازي خمس سنوات، انتقلت بعدها (سنة 1970م) – على نفقتي الخاصة إلى انجلترا لاستكمال دراسة اللغة، وكذلك الأدب الانجليزي "... ويضيف كذلك قائلاً: " لم يكن في وسعي بطبيعة الحال أن اشتري أي كتاب، وقد أدرك صاحب المكتبة – رحمه الله – ذلك فدلني على المركز الثقافي المصري، الذي بدأت استعير منه الكتب، ثم تعرفت – بعدئذ – على المراكز الثقافية الأخرى في المدينة.(18) " ...

إضافة إلى الدور الذي كان مناط لهذه المكتبات والمراكز استغلت من قبل الأنظمة في التصنت على المترددين ومراقبتهم حيث كلفة بعض الأجهزة الأمنية بذلك خاصة في المكتبات الجامعية مما ساهم في هجر هذه المكتبات من قبل بعض المترددين، كما استغلت لغرس فكر معين أجبر عليه المواطنين، إضافة إلى ذلك فقد ساهمت بعض المراكز الثقافية غير الليبية في جذب بعض من النخب والمتفوقين إلى بلدانها.

أهم التحديات التي تواجه المكتبات العامة والمراكز الثقافية في ليبيا:

واجهت المكتبات العامة وكذلك المراكز الثقافية في ليبيا منذ نهاية السبعينات صعوبات وتحديات كان لها أثر سلبي في الوعي الثقافي بين المواطنين، مثل عدم الاهتمام بها، وعدم دعمها بالكتب الحديثة وبالمستلزمات والمعدات المكتبية التي تساعد على نشاطها وحركتها، إضافة إلى عدم الاهتمام بتأثيثها وصيانتها وتطويرها وفق العصر الذي فيه بعد دخول الانترنت. وفي خضم الإهمال من قبل الدولة كثرت التحديات التي تعرقل مسيرة المكتبات الثقافية والعلمية والمعرفية ومن أهم تلك التحديات الآتي:

1- التطور التكنولوجي، حيث كان لها تأثير في قلة زوار المكتبات العامة خاصة لشرائح الأفراد العاديين الذين وجدوا غايتهم في الوسائل الحديث التي ظهرت في ليبيا بكثرة مثل الفيديو حيث كان وسيلة ترفيه للذين كانوا يبحثون عن الترفيه في المكتبات العامة، وبعدها ظهرت موجة الفضائيات وانتشار صحون استقبال إشارات الأقمار الصناعية، وبعدها ظهرت الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت وما يتحرك داخلها من مواقع للتواصل الاجتماعية، هذا كان له تأثير سلبي على المكتبات انعكس على الأفراد الذين قل الوعي الثقافي عندهم بعد أن اقتحمت تلك الوسائل معلومات معظمها غير صحيحة وكثرت المراجع والمصادر المزيفة.

2- انشغال الدولة بنشر فكر يمثل النظام القائم:

3- تعرض الكتب لحشرات العثة والقوارض

4- عدم توفر مراكز ثقافية بالعدد الكافي

5- عدم توفر الأمن مما ساهم في حرق بعضها وسرقة الكثير من كتبها ومخطوطاتها. وإقفال الكثير من المراكز الثقافية سواء الوطنية أو للدول الشقيقة والصديقة.

6- عدم وجود مقرات مناسبة للمكتبات والمراكز الثقافية.

7- إهمال الدولة للمكتبات والمراكز الثقافية .

وهناك مشاكل وتحديات بالنسبة للمكتبات العامة الالكترونية منها الآتي:

1- عدم جودة الانترنت بسبب الانقطاع وقلة سرعته.

2- إن استخدام تكنولوجيا المعلومات من قبل المترددين على المكتبات الالكترونية بشكل مكثف ومستمر قد يؤدي إلى أمراض كثيرة كضعف النظر.

3- تعرض المكتبة للقرصنة الالكترونية.

4- إن تكنولوجيا المعلومات عند الإفراط في استخدامها قد تسبب كلفة مالية كبيرة.

5- إن الاهتمام بالقراءة والقص واللصق في تكنولوجيا المعلومات قد يؤدي إلى إضعاف لغة المتردد وقد يدخل إلى خيانة الأمانة العلمية.

6- عدم توفر فني ومهندسي صيانة لتسهيل مهمة تكنولوجيا المعلومات في مكتبات العامة.

الخلاصة :

من خلال ما تقدم نجد أن المكتبات العامة عامة سواء في المكتبات العامة أو الملحقة بالمراكز الثقافية تنشر الفكر والمعلومات، وهي تعتمد على التمويل العام وتهدف للمنفعة العامة، وهي مكتبات عامة تقدم خدماتها لكافة الناس دون تمييز، وهي تقدمها بالمجان، ويتردد عليها الناس دون إجبار أو إكراه، وإن هذه المكتبات والمراكز ساهمت في تعليم وتوعية بعض من المواطنين وتثقيفهم، إضافة إلى ذلك فالمكتبات العامة والمراكز الثقافية تساهم في صياغة ثقافة المجتمع وذلك عبر ما تقدمه لأفراده من فرص التواصل وتعلم المهارات واكتساب المعرفة والتعلم وتساهم في حفظ الموروث الثقافي للمجتمع.

لوحظ الإهمال المتعمد والغير متعمد لهذه المنابر التعليمية الثقافية والتوعية ساهم في اختفاء معظمها بسبب عدم

الدعم ومحاربة بعض من هذه المنابر خاصة مكتبات الزاوية السنوسية التي شن عليها حرب تدميرية ساهم في اختفاء معظمها من الخارطة الثقافية والتعليمية بسبب جهل القائمين على التعليم والثقافة ومن يسيرهم، كما لاقت مكتبات أخرى الإهمال بسبب الكره الثقافي لها فتم إلغاءها، وأخرى سرقت مقتنياتها من الكتب والمخطوطات والوثائق والذي استمر وزاد بعد عام 2011م، والأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل إن الكارهين للثقافة والتعلم حرقوا مئات الكتب والمراجع مثل ما تم في المكتبة المركزية بجامعة بنغازي. كما لوحظ استغلالها من قبل الدولة في التصنت ومراقبة المترددين، إضافة إلى ذلك عدم وجود توعية بأهمية المكتبات العامة.

من خلال التحديات والمشاكل التي تواجه المكتبات العامة الورقية والالكترونية فان الدراسة توصي بالآتي:

1- يتطلب أن يتم الاهتمام بالمكتبات العامة الموجودة وتفعيل الأخرى المهملة.

2- ضرورة أن يتم متابعة المكتبات العامة وصيانة الموجود منها وترميم الكتب والمراجع التي تحتاج للترميم.

3- ضرورة أن يتم متابعة حالة الكتب والمراجع دورياً للمحافظة عليها من التلف والفساد.

4- ضرورة متابعة الكتب والمراجع التي يتم استعارتها إلى أن يتم إرجاعها.

5- ضرورة إحداث ثورة ثقافية هدفها تفعيل المكتبات العامة والمراكز الثقافية التي كانت قائمة وتجميع مراجعها ومخطوطاتها.

6- ضرورة أن يسيّر هذه المكتبات والمراكز مؤهلون ثقافياً .

7- ضرورة توفير مقرات مناسبة للمكتبات العامة والمراكز الثقافية.

8- ضرورة الشروع في إقامة المكتبات العامة والمراكز الثقافية في كل المدن والقرى والأحياء.

9- ضرورة وتوفير المراجع والكتب الحديث والجديدة للمكتبات العامة والمراكز الثقافية.

10- ضرورة وضع برنامج في الإذاعات الليبية المسموعة والمرئية يختص بالمكتبات العامة والمراكز الثقافية يقدم أخبارها ويعلن عن أماكن تواجدها بشكل يومي.

11- ضرورة البحث والتقصي عن المراجع والكتب والمخطوطات والوثائق التي كانت تحويها المكتبات العامة خاصة الجامعية وإرجاعها بالقانون.

12- ضرورة تعاون قطاع الإعلام والتوثيق والاتصالات مع المؤسسات التي تعنى بالمكتبات العامة بنشر الوعي الثقافي بتكنولوجيا المعلومات وبأهمية المكتبات العامة والمراكز الثقافية .

13- ضرورة الاستفادة من تقنيات الدول المتقدمة في مجال الاتصالات.

14- ضرورة الاهتمام بالطاقة المتجددة لاعتماد عليها في عملية تكنولوجيا المعلومات.

15- نشر الكتب المنطوقة بالمكتبات العامة للاستفادة منها ذوي الاحتياجات الخاصة.

16- ضرورة اتفاق المراكز العلمية في ليبيا على توحيد العملية التي يتم فيها التوثيق من مراجع الشبكة الدولية للمعلومات.

17- ضرورة توفير فني ومهندسي صيانة لتسهيل مهمة تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الالكترونية.

18- ضرورة توعية المترددين بالكيفية التي يتم بها الاطلاع على المصادر والمراجع في تكنولوجيا المعلومات ومراعاة الأمانة العلمية.

19- ضرورة تأسيس وتجهيز المكتبات العامة في كافة أرجاء البلاد.

والسؤال الذي يطرح نفسه أين تلك المكتبات والمراكز وهل أدت دورها الحقيقي لأكثر عدد من الليبيين أما أنها اقتصرت على بعض النخبة وعلى من حالفه الحظ من الاستفادة منها؟

كما يطرح سؤال آخر هو أين المراجع والكتب والمخطوطات والوثائق بمكتبات الأوقاف في كلاً من بنغازي وطرابلس، وهل كانت هناك دعاية لها لجذب الناس إليها للاستفادة من مراجعها ومصادرها؟

الهوامش والمراجع:

1- الدويك، سناء، 2021/4/20،" "بحث عن المكتبات العامةhttps://mawdoo3- com " ، تاريخ الاطلاع عليه 2021/7/3-
2- "تصميم منهج للمكتبات والمعلومات "، 2011/5/3، http://repo.uofg.edu.sd/handle/123456789/412تاريخ الاطلاع عليه 2021/7/4-
3- الدويك، سناء، مرجع سابق .
4- المرجع السابق.
5- المرجع السابق.

6- https://www.facebook.com/daralkootob/posts/834561956594878تم الاطلاع عليه بتاريخ 2021/7/5-
7- الدويكات، سناء، مرجع سابق .
8- "دور المكتبات العامة في النهوض بثقافة"،
https://sites.google.com/site/mktabaah/4
9- النهاري، جواهر بنت عبد العزيز، 2020/6/29،
https://albiladdaily.com/2020/06/29
10- عثمان المثلوثي مقالات عن التبو، بيئتهم، تاريخهم، ثقافتهم، مرجعة عبد الله لبن، (طرابلس – ليبيا: مركز الدراسات التباوية، 2015)، ص88-
-11 الشريف، عبد الله محمد، الطوير، محمد أمحمد، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، (مصراتة – ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1987)، ص15-
12- المرجع السابق، ص 16-
13- المرجع السابق، ص21-
14- المرجع السابق، ص22-
15- المرجع السابق، ص24-
16- المرجع السابق، ص17-
17- المرجع السابق، ص60.
18- خليفة الفاخري بيع الريح للمراكب الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان مصراتة ط1 1994، ص 133-

دور مؤسسات المجتمع المدني في دعم المكتبات والتشجيع على المطالعة

منتدى شواطئ الخمس الثقافي نموذجا

محمد ناجي

تمهيد:

إن المسئولية المجتمعية لكل فرد ومواطن تجاه بلده دعت إلى انخراط الأفراد في مؤسسات وكتل تحت إطار ما يسمي عالمياً مؤسسات المجتمع المدني التي تنوعت أعمالها ونشاطاتها بين علمية وثقافية وبيئية وغيرها وينخرط الأفراد كل حسب اهتماماته وميوله الفطرية إلى المؤسسة التي تعمل في المجال الذي يوافق ذلك، وإن اهتمام الدول والحكومات بهذه المؤسسات يتفاوت حسب تقدم وتحضر هذه الدول فنجد أن بعض الدول تدعم هذه المؤسسات مادياً ومعنوياً وربما تصل إلى درجة المشاركة في اتخاذ القرارات العامة للدولة، وبعض الدول ربما قد تحارب هذه المؤسسات وتضع العراقيل والقيود أمام تنفيذها لأعمالها وقد تصل ربما في بعض الأحيان إلى اعتقال وسجن واغتيال قاداتها ورموزها. بين هاذين المثالين نجد تفاوتاً ومدى واسعاً لعلاقة مؤسسات المجتمع المدني والحكومات المختلفة.

إن تجربة الدولة الليبية في هذا المجال تعتبر حديثة نسبياً بداية من 2011 وحتى الآن حيث أن النظام السابق عمل على منع مثل هذه الأنشطة وحظر تكوين هذه المؤسسات. نحن في (منتدى شواطئ الخمس الثقافي) من أولى مؤسسات المجتمع المدني التي تكونت في سنة 2014 تحت إشهار رقم 2134 بمدينة الخمس / ليبيا حيث عملت في المجالات الثقافية والفنية ولها العديد والعديد من الأنشطة ومن ضمنها:

- حملة القراءة غذاء العقل.
- مشروع دعم وتكوين المكتبة المدرسية.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل مشروع

مشروع حملة القراءة غذاء العقل

الرؤية: القراءة غذاء العقل مثلما الطعام غذاء للبدن.

الرسالة: مجتمع ليبي قارئ ومثقف.

الأهداف:

1- غرس بذرة القراءة في نفوس أطفالنا.

2- تعريف الطفل بالمجلة والقصة والكتاب وربطه بها وتعوده عليها ومتابعة أعدادها الدورية المتتالية.

3- تسهيل حصول الطفل علي مطبوعات الأطفال بدون تعب ومشقة وبذل جهد كبير في ذلك.

4- تعريف الطفل بمفهوم القراءة الحرة خارج إطار المناهج التعليمية حتى يجني الفوائد العظيمة من خلالها.

5- التحسيس بالدور المهم للمكتبات المدرسية داخل المدارس والعمل على دعمها بالكتب والدوريات.

المستهدفون من الحملة: الأطفال في المرحلة الابتدائية والإعدادية من سن 6 الى 14 عام.

فكرة الحملـة:

بدأت هذه الفكرة من خلال زيارتنا لمعرض طرابلس الدولي للكتاب يوم 2013/10/02م شاهدنا إقبال الأطفال مع ذويهم أو في هيئة مجموعات رياض الأطفال ومدارس ابتدائية وإعدادية.

فكان السؤال: لماذا لا نوصل المجلة والكتاب إلي الطفل وليس أن يأتي هو إليه؟

فهذه المعارض الدولية مناسبات سنوية محدودة وتأتي كل سنة أو اثنتين وربما أكثر، وأيضا ليس كل الأطفال متاحا لهم التحرك والوصول إلى المعرض بسب كثرة عددهم أو بعد المسافة حيث يقطنون في مدن بعيدة .

إن الطفل تربة صالحة وعجينة لينة لنغرس فيه قيمة وعادة القراءة، ومن جانب أخر فقد خسر الكتاب الكثير الكثير من رواده ومحبيه في ظل الغزو الإعلامي التلفزيوني الكثيف ودخول الانترنيت (شبكة المعلومات الدولية) الى حياة الناس وفي كل بيت وإدارة ومقهى.

قررنا أن ندعم القراءة من خلال خلق القارئ الذي يتوجه الى الكتاب بكل الحب والشوق فيقتنيه ثم يقرأه تم يحافظ عليه تم يعيره لأخيه وصديقه وزميله في العمل. فينشأ لدينا مجتمع قارئ محب للقراءة والثقافة والكتاب. ومن خلال مناقشة ودراسة الوضع القائم بالمدارس رأينا أن يقوم المقهى المدرسي ببيع مجلات الأطفال بجانب بيع الطعام وبذلك تتحقق رسالتنا (غـذاء الجسم وغـذاء

العـقـل)، فيشـترى التلميذ الغذاء لبدنه والغذاء لعقله، فمثلما أن الطعـام غـذاء للجسم فإن الكتاب غذاء للعقل.

إن القراءة هي نتاج للعملية التعليمية في السنوات الدراسية من الصف الأول وحتى الصف الرابع فالتلميذ يتعلم الحروف تم الكلمات تم الجمل تم النصوص، ثم تكون القراءة وسيلة وأداة للعملية التعليمية بداية من الصف الرابع حتي نهاية التعليم بحصوله على أعلى الدرجات العلمية فهو يستخدم القراءة للعلم والفهم وقراءة المناهج التعليمية. من خلال حملتنا هذه نريد أن نعطي مفهوماً آخر للقراءة لدى الأطفال، فلقد ارتبطت القراءة في ذهن الطفل بالمناهج التعليمية من دراسة وواجبات وحفظ وامتحانات وروتين يومي مستمر وممل وطريقة تعليم ثابتة غير متطورة تعتمد على الحفظ والتلقين.

المفهوم الآخر للقراءة هو أنه يمكنك أن تقرأ قراءة حرة خارج إطار المنهج التعليمي وهذا شيء جميل وممتع وشيق ومسلي، خذ هذه المجلة وتصفحها واقرأها واستمتع بها من خلال الرسومات الجميلة والقصص اللطيفة والتلوين الممتع والمسابقات الشيقة.

من خلال هذه المجلة المنوعة سيحب الطفل القراءة ويقبل عليها ويكتشف أن هناك عالماً أخر للقراءة ممتع ومسلي غير الحفظ والتسميع والواجبات والامتحانات إلى آخره، فنغرس في نفسه هذه البذرة الطيبة الصالحة التي ستنمو وتزدهر في عقله وتنمو وتمده بثمار العلم والمعرفة.

إن العاملين في مجال أدب الطفل (أدباء وكتاب ورسامون ومربون ومعلمون واجتماعيون وناشرون.. الخ) بما يقدمونه من مجلات وقصص وكتب موجهة إلى فئات عمرية مختلفة هم أناس مختصون عالمون دارسون يقدمون هذا العمل في شكل جذاب وجميل وأنيق من رسومات وقصص وتسالي وتلوين ومسابقات... الخ، تحمل في طياتها معان وقيم صالحة ومثل خيرة وجميلة ومفيدة وتنبذ القيم غير الأخلاقية. فنجد قصة عن الكرم ونبذ البخل وأخرى عن طاعة الوالدين ونبذ عقوق الوالدين وهذه تحث على احترام الجار.... الخ، فيتشرب الطفل (مثل الاسفنجة) هذه القيم الجميلة ويتعرف إليها وتكون قريبة من نفسه وترسخ في عقله الباطن، وبدون توجيه مباشر منا أحيانا.

لمـاذا؟

لأننا خاطبنا الطفل بلغته الخاصة التي يفهمها والتي تكون قريبة منه ومن نفسه.

مع تكرار هذه العملية من اقتناء المجلة ثم متابعتها وقرأتها باستمرار وبصفة دورية أسبوعية تحدث صلة وثيقة وحب كبير

للقراءة والكتاب ينمو مع الوقت ومع سن الطفل فيقتنى مجلات أكبر لفئة عمرية أكبر، ثم يقتنى الرواية والقصة والكتاب.

وبذلك نكون قدمنا للطفل مفهوماً آخر للقراءة وربطناه بها لتنمو معه وينمو معها ويصبح لدينا إنسان قارئ مثقف واعي يناقش ويحاور ويقنع الآخر ويقتنع بفكرة الآخر ويحترم أدب الحوار. يحمل في داخله الكثير والكثير من القيم الإنسانية والأخلاق الجميلة التي كان قد تشربها من خلال المطالعة والقراءة.

مشروع دعم وتكوين المكتبة المدرسية

الرؤية: مكتبة في كل مدرسة.

الرسالة: المكتبة المدرسية منارة إشعاع ثقافي وأدبي وعلمي نصنعها بالعزيمة والإرادة والمبادرة

الاهداف:

1- نشر الوعي المعرفة بأهمية المكتبة ودورها داخل المدرسة لدى الادارة والمعلمين والطلاب

2- تكوين أمناء مكتبات لسد العجز فى هذا الجانب عن طريق إعداد دورات تدريبية لمن يرغب من المدرسين في ذلك وخاصة مدرسي اللغة العربية.

3- دعم المكتبات القائمة عن طريق تزويدها بما يتوفر من مطبوعات

4- إنشاء مكتبات في المدارس التى لا يوجد بها مكتبات .

5- إطلاق حملة جمع تبرعات من الكتب والقصص (الجديدة أو القديمة) من الطلاب الدارسين بالمدرسة ومن أولياء أمورهم ومن المتطوعين الراغبين في دعم هذا النشاط الثقافي.

6- التواصل مع المكتبات العامة والخاصة ووزارة الثقافة والمجتمع المدني ووزارة التربية والتعليم ودور النشر وغيرها من المؤسسات الخاصة والعامة لغرض تقديم أى مساعدة ممكنة عينية أو مادية لدعم هذا النشاط.

يتكون المشروع من مرحلتين:

المرحلة الأولى :

رفع الوعي المعرفي بأهمية المكتبة وما تقدمه للعملية التعلمية والتربوية لدى معظم مدراء المدارس وأمناء المكتبات والمعلمين والمعلمات بالمؤسسة التعليمية. حيث يكون لديهم الإدراك الكامل والوعي والمعرفة بهذا الدور ويصبحون عنصراً إيجابياً وهاماً جداً في سبيل تكوين ودعم والاهتمام بالمكتبية وتقديم مبادرات فرديه أو جماعية. حتى

تأخذ دورها كاملاً وتحقيق الأهداف المطلوبة من تكوينها داخل المدرسة.

لأجل ذلك تم الإعداد لتقديم محاضرة في هذا الجانب من قبل الاستاذة "نادية الزعابي" مفتشة في قسم المكتبات بوزارة التربية والتعليم والدكتور "سالم أحمد سالم" مختص في مجال القراءة والتنمية البشرية يوم الخميس 16 /10 / 2014 بثانوية المجد للبنات بالخمس الساعة 10:00 – وبثانوية 17 فبراير للبنات بسوق الخميس الساعة 04:00 مساء.

المرحلة الثانية:

التواصل مع مدراء المدارس والبدء الفعلي على أرض الواقع في تكوين المكتبات ودعم المكتبات القائمة وفق خطوات تنفيذية ثابتة (تقدم في حينها).

قام أعضاء منتدى شواطئ الخمس الثقافي بزيارة بعض المدارس وتوصلوا إلى تصنيف المكتبات المدرسية حسب التالي:

1- مكتبات نموذجية (عددها بسيط).
2- مكتبة (حيز مكاني دون أثاث) .
3- مكتبة (مؤثثة ولا يوجد بها كتب) .
4- مكتبة ثم اقفالها وتحويلها إلى مخزن أو فصل دراسي أو إدارة.
5- لا وجود لمكتبة ولا مكان مخصص لها.
6- إلغاء حصة المكتبات من الجدول الدراسي.

تكوين نموذج المكتبة الفصلية الذاتية

ملخص الفكرة أن كل طالب بالمدرسة يتبرع بقصة أو كتاب أو مجلة... سيتوفر لدينا عدد قصص بعدد طلاب المدرسة يتم فرزها وتصنيفها حسب مستويات القراءة واستبعاد غير المناسب منها .

كل فصل يخصص له صندوق يحوي عدد قصص بعدد الطلاب الصندوق موضح عليه بطاقة معلومات بها: اسم الفصل / عدد القصص وداخل الصندوق قائمة بعدد وأسماء القصص الموجودة به.

في حصة المكتبة أوحصة الاحتياط يتم جلب الصندوق إلى داخل الفصل وتوزيع القصص على الطلاب.

في الحصة القادمة يأخذ الطلاب قصة أخرى غير الأولى وهكذا.. حتى أن الطالب يقرأ جميع القصص الموجودة داخل الصندوق على مدار السنة الدراسية .

في حال تم قراءة جميع القصص داخل الصندوق من جميع الطلاب داخل الفصل يتم استبدال الصندوق مع صندوق فصل آخر، وهكذا.

وبتكرار هذه العملية على جميع الفصول نجد أن الطالب قد قرأ جميع القصص الموجودة في جميع الصناديق وربما يكون ذلك خلال عامين أو ثلاثة أعوام حسب عدد الطلاب وحسب عدد القصص الموجودة

ملاحظات حول تكوين نموذج المكتبة الفصلية الذاتية:

1- يكون هذا المشروع داخل المدارس التى لا يوجد بها حجرة خاصة للمكتبة وبالتالى فإن سبب رفض الإدارة لتكوين مكتبة بحجة عدم وجود مكان مخصص لها يكون هذا سبب زال وليس له مبرر.

2- أحد المعلمين أو المشرفين يقوم بالإشراف على هذا النشاط ويتم تخزين الصناديق في مكان آمن ومحدد وتتم المحافظة على محتوياته.

3- يتم توجيه رسالة لولي أمر كل طالب بالمدرسة يوضح بها فكرة مبادرة إنشاء مكتبة فصلية ذاتية وطلب تزويد المكتبة بقصة أو مجلة من قبل ولي الأمر (مرفق عينة الرسالة موجهة لولي أمر الطالب) .

4- الإيمان التام والوعي بأهمية هذا النشاط من قبل المدير والمعلمين والمشرفين والطلاب سوف يكون له أثر كبير في إنجاح هذه المكتبة وإستمراريتها وتحقيق الأهداف المرجوة من ورائها.

تم تطبيق فكرة نموذج المكتبة الفصلية الذاتية وأثبت نجاحه في المدارس التالية بمدينة الخمس

1- مدرسة الشروق الابتدائية الإعدادية

2- مدرسة الخمس المركزية

في ختام هذه الورقة نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من دعم المشروعات الثقافية الخاصة بمنتدي شواطئ الخمس الثقافي

1- هيئة دعم وتشجيع الصحافة
2- مراقبة التربية والتعليم الخمس
3- وزارة الشباب والرياضة مكتب الخمس
4- الجمعية الليبية للمكتبات والمعلومات والأرشيف
5- مكتبة الرسالة
6- مكتبة طرابلس العلمية العالمية
7- مكتبة الفرجاني
8- مكتبة علاء الدين
9- منتزه المرح العائلي بمدينة الخمس

ولمن يرغب في الاستزادة والاطلاع على هذه الأنشطة الثقافية ينخرط في المجموعة على الفيس بوك (حملة القراءة غذاء العقل).

رابط حملة القراءة غذاء العقل:
https://www.facebook.com/groups/747488351934576

كيف تجعل القراءة منهجاً لحياتك

أ. د. مصطفى محمد بديوي

أقول إن "القراءة مفتاح المعرفة وطريق الرقي؛ وما من أمة تقرأ إلا ملكت زمام القيادة وكانت في موضع الريادة"، ولا أظن متيقناً بأن هناك من لا يوافقني على هذه الحقيقة، وخير شاهد على ذلك ما نراه من تفوق (النصارى) في الغرب و(البوذيين) في الصين واليابان الذين أخذوا بأسباب القراءة وجعلوها منهج حياة، وما نراه الآن من تراجع (المسلمين) الذين نزل كتابهم الكريم المقدس مبتدئاً وحاثاً لهم بالأمر "اقرأ"، إلا لأنهم لم يمارسوا هذ الأمر الإلهي وينفذوه كما أمرهم الله، فكان هذا حالهم.

اقرا... إذن هي أول كلمة نزلت على نبينا محمد الأمين (صلى الله عليه وسلم).

اقرا... إذن هي أول أمر سماوي نزل على خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم).

ولم تكن (اقرأ) بمفهومها الشامل أول ما نزل على رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) إلا دلالةً على أهميتها وفضلها.

اقرا... إذن هي قانون إلهي.. إن أخذت به وسرت على منهاجه فستكون كما أراد الله لك.. إنساناً.. حراً.. كريماً.. وإن رفضته ولم تأخذ به كان مآلك الجهل والفقر والمرض والعبودية.

فعن كيفية القراءة والتي تعتبر محوراً أساسياً في عملية الاستيعاب سيكون محور حديثنا، فكما هي القراءة تبدأ بمراحل: (فك شفرة الخط، ثم قراءة النص، ثم فهمه، ليأتي الاستيعاب، والاقتناع، ثم تغيير السلوك)، وتنتهي بعادة مستديمة، ثم تتحول الى مهارة تكتسب بالتعلم وتتطور بالممارسة والتمرين، وبقدر ما تكون مهارتك عالية بقدر ما يكون استيعابك لما تقرأ متقناً .

وسأذكر باختصار بعض القواعد الأساسية في كيفية القراءة الصحيحة، فإن معرفة القواعد يشكل مرونة القراءة، أو هي على الأقل شرط لاكتساب المهارة.

أولا / قبل ممارسة فعل القراءة:

القراءة الفعالة تبدأ قبل القراءة، فالقارئ الجيد يحدد هدفه من القراءة، فقبل كيف تقرأ، أسأل نفسك: لماذا أقرأ؟ وما الهدف من وراء قراءتي؟ وهناك ستة أهداف رئيسية للقراءة لا يكاد أي قارئ يخرج عنها:

- لفهم رسالة محددة.
- لإيجاد تفاصيل مهمة.
- للرد على سؤال محدد.
- لتقييم ما تقرأ.
- لتطبيق ما تقرأ.
- للتسلية والمتعة.

ثانياً / لماذا أقرأ؟

أهداف القراءة متعددة، وفي الغالب هي لا تخرج عن :

- أهداف تعبدية: كقراءة القرآن وكتب التفاسير وكتب الفقه المختلفة.
- أهداف وظيفية: كمن يقرأ في صلب تخصصه وطبيعة عمله .
- أهداف تطويرية: وهي قراءة ما يصقل الشخصية ويعزز المواهب .
- أهداف ثقافية ومعرفية: مثل القراءة العامة للمعرفة والاطلاع وزيادة المخزون الثقافي.
- أهداف ترويحية: إذ القراءة بحد ذاتها إيناس للنفس فكيف إن كان المقروء من النوادر والملح والحكايات المستطرفة والأعاجيب.
- أهداف واقعية: بالتفاعل مع الواقع والاجابة عن كل اسئلة الحاجة التي تواجه الإنسان.

ثالثاً / كيف أتعود على القراءة؟

هناك أسباب تجعلك قريباً ممن ممارسة القراءة، منها:

- وجود قيمة معنوية للكتاب في البيت والمسجد والمدرسة .
- توفر مكتبة منزلية أو مكتبة عامة قريبة بالحي.
- توفر مكتبة مدرسية بالمدرسة .
- وجود القدوة من العائلة كالأب أو المعلم والجار وإمام المسجد .
- زيارة المكتبات العامة والتجارية ومكتبات العلماء والمثقفين الخاصة.
- تحديد ساعات يومية للقراءة والالتزام بها .
- البدء بالكتب اللطيفة وذات الموضوعات المحببة للنفس.

- اقرأ في المجالات التي تشعر أنك في أمس حاجتك لها.

رابعا / كيف أقرأ؟

- حدد عدداً من الكتب لقراءتها خلال السنة؛ بمعدل كتابين أو أكثر شهرياً مثلاً. ولتكن خطتك مرنة وقابلة للتكيف حسب متغيرات حياتك .
- استخدم دائماً قلم الرصاص في التعليق على ما تقرأ، بل ومحاورة المؤلف؛ وكما يمكن استخدام الأقلام الفسفورية للإشارة إلى أمر مهم .
- اجلس جلسة صحيحة مناسبة لك، ولا تجلس أمام التلفاز أو على السرير أو أمام الأطفال لأنهم سيشتتون تفكيرك واستيعابك لما تقرأ .
- اجعل مكان قراءتك مريحاً وليكن جيد التهوية مهيأً واستعن في قراءتك ليلاً على الضوء الأبيض، ووفر كل ما قد تحتاجه من أوراق وأقلام للتعليق على ما تقرأ.
- قد تخلو بعض الكتب من عناوين فرعية، حاول أن تستخرجها، واكتبها على جوانب الصفحة لسهولة الوصول إليها مستقبلاً، فهي تعطيك المزيد من التركيز في أثناء القراءة .
- استخدم سلخ ورقية او ما شابه مكان توقف القراءة لتحديد موضع التوقف، ولا تثني ورق الكتاب أو تضع القلم بين صفحاته.

خامسا / ماذا تقرأ؟

لا بد من العناية بأركان الثقافة في خطة القراءة، وهي عادة تكون مشتركة بين جميع الأمم والحضارات، وهي:

- الدين: الإكثار من قراءة القرآن الكريم وبعض كتب علوم الشريعة والفقه.
- اللغة: فليس مثقفاً من لا يعرف لغته، ولكن لا باس من القراءة بلغة أجنبية إن كنت تتقنها ففيها كثير الاستفادة.
- التاريخ: من الكتب المحببة والمفضلة قراءة كتب التاريخ، وخاصة التاريخ العربي والإسلامي، فمن جهل ماضيه صعب عليه فهم حاضره وصنع مستقبله .
- قراءة معرفية أفقية واسعة لأساسات الفنون وتواريخ العلوم لتكوين إلمام عام بكثير من العلوم.
- القراءة حول المواضيع والقضايا المستجدة التي تطرأ بين الحين

والآخر ولها انعكاس على القاري دينياً واجتماعياً وسياسياً .

سادسا / لمن تقرأ؟

- اقرأ كتب الدين الصادرة عن مؤسسات دينية معروفة ومعتدلة، ولعلماء أهل العصر الذين يوثق بعلمهم وأمانتهم.
- اقرأ للأدباء والمفكرين والكتاب الذين لا تعرف عنهم سوء نية، من خلال التوصية من الآباء أو المعلمين.
- اقرأ للأعداء حتى تأمن شرهم عليك وعلى أمتك .

سابعا / أين ومتى أقرأ؟

- اتخذ مكاناً في الدار للقراءة وليكن ملائماً من جميع النواحي، أو التزم الذهاب للمكتبة العامة القريبة .
- اجعل الكتاب قريباً منك دائماً واستفد من كل أوقات الانتظار بالقراءة فيه.
- جدول القراءة ضمن برنامجك اليومي واحرص على الوقت المتصل بلا انقطاع.
- إذا كثرت همومك فاجعل من الصلاة وقراءة القرآن متنفساً لك .
- يبقى لكل إنسان وقته المفضل للقراءة فاكتشف نفسك وحدد وقتاً مناسباً لذلك .

ثامناً / ماذا أفعل بعد القراءة؟

- اكتب ملخصاً مختصراً عن موضوع الكتاب لمراجعة أفكاره الرئيسية وفوائده، واحفظه في ثناياه لتعود إليه للتذكير.
- اكتب في نهاية الكتاب ما يشير إلى فراغك منه وستكون من ذكرياتك الجميلة .
- سل نفسك إن كنت تحتاج إعادة قراءة الكتاب من جديد .
- ناقش الكتاب مع أقرانك وأصحابك وزملائك.
- أوص غيرك بقراءة الكتاب أو بتجنبه حسب تقييمك .

تاسعاً / كيف تستفيد من قراءتك؟

- لا تقرأ إلا بتركيز وانتباه وبصحبتك قلم الرصاص .
- ضع عناوين داخلية لموضوعات الكتاب وأسئلة حول موضوعات الكتاب إن خلا منها الكتاب .
- كرر قراءة بعض الكتب خاصة المهمة بالنسبة لك .
- من المناسب الاتفاق بين زملاء متقاربين في العمر والاهتمامات لقراءة كتاب معين أو القراءة حول موضوع ما دون تحديد عنوان ثم مناقشته جماعياً .

عاشراً / طرق مقترحة للتعامل مع الفوائد:

- أشر لفوائد الكتاب في الصفحات البيض الأول .
- انقل الفوائد لدفاتر خاصة .
- استخدم نظام البطاقات التي تسهل الوصول للمعلومة مباشرة؛ وهي طريقة يستعملها بعض المعاصرين تقوم على جعل فوائد كل علم في بطاقات خاصة ثم تفريع هذا العلم في بطاقات وهكذا .
- إذا وجدت معلومة عن موضوع في كتاب لا يمت لهذا الموضوع بصلة فانقلها لكتاب متخصص عن هذا الموضوع أو أشر إليها في حواشي الكتاب المتخصص.

حادي عشر / التغلب على الملل والكسل:

ابدأ بقراءة المقدمة والفهرس وملخص الفصول وقائمة المراجع؛ فلهذه الطريقة فوائد عدة، منها :

- انك تستطيع أن تتعرف أكثر على الكتاب مما يزيل الجفوة ويقضي على الرهبة والخوف من حجمه وربما جديته .
- انه يزداد حماسك لقراءة الكتاب ولأجزائه المثيرة مهما كان حجمه أو موضوعه .
- انك تتمكن من تصور الكتاب وموضوعاته ومدى ترابطها.
- قم بتحديد وقتاً لإنهائه وتقسيماً مناسباً لأبوابه وفصوله ومباحثه .
- إذا استغلق عليك شيء فدعه ثم عد إليه في وقت آخر فإن كان فبها وإلا فاسأل عن الذي استصعب عليك فهمه لأهل الشأن والمعرفة.

ثاني عشر / مكتبتك:

- احرص على أن تكون مكتبة بيتية لك ولأسرتك، فتتعود أنت على القراءة وتعود أبناءك عليها منذ الصغر، اتخذ لها مكاناً مناسباً في البيت إن أمكن.
- رتب مكتبتك بطريقة تسهل عليك الوصول لمبتغاك ورقّم الكتب حسب فنونها ولك في أن تستفيد من متخصص في المكتبات ليصنفها لك حسب تصنيف ديوي العشري للمعرفة .
- ضع عندك دليلاً للمستعيرين؛ فإعارة الكتب بركة لا ينغصها إلا إهمال المستعير وتضييعه الكتاب أو تأخير رده. وللاستعارة أحكام وآداب وقصص يحسن الرجوع إليها .

- لا تتنازل عن مقر مكتبتك البيتية ليكون مخزناً مثلاً أو غرفة ألعاب مهما استقوى عليك أهل بيتك، واجلب عليهم بخيلك ورجلك، ولا تجبن.

أخيراً / فوائد متفرقة :

- متوسط قراءة الإنسان في لغته بين 200 - 300 كلمة في الدقيقة، فسرعة القراءة ليست هدفاً ولا تصلح مع كل كتاب، ويمكن الاستفادة من سرعة القراءة في أثناء البحث عن معلومة معينة من موسوعة مثلاً أو قاموس أو ما شابه .
- عند القراءة استخدام قلماً تتبع به الكلمات عند القراءة، وحاول وضع العين على الكلمة المقروءة، وعدم الرجوع إلى ما سبق خاصة إذا أمكن فهمه من دلالة السياق .
- تعويد الأطفال على القراءة مسؤولية الأبوين؛ فما أجمل أن يقرأ الزوجان لبعضهما، ولهذا الأمر اهمية في تعويد الأبناء عادة القراءة منذ الصغر.
- يمكن الاستعانة ببعض المساعدات في القراءة والتي لن تكون بديلاً عن الكتاب مثل الكتاب الإلكتروني والأقراص الممغنطة ومواقع الانترنت وملخصات الكتب والندوات والأشرطة .
- إذا توقفت عن قراءة كتاب لعارض فضع إشارة وعلامة في المكان الذي توقفت عنده لتواصل منه إن كنت مستوعباً لما مضى منه.
- القراءة الصامتة أفضل للبعض، فهي أسرع وأقل إجهاداً؛ لأنك لا تستخدم الكثير من أعضاء الحس في القراءة فيقل تركيزك. لكن البعض الآخر يفضل القراءة بصوت أو عندما تحس بملل أو تريد حفظ ما تقرأه فاستخدم أكثر من حاسة فذلك أجدى لك .
- واجعل عينيك هي التي تقرأ بدون تحرك الرأس مع الكلمات فكثرة تحريك الرأس سيتعبك، كذلك لا تتبع بإصبعك أو بالقلم على السطر.
- اكتب في نهاية الكتاب تاريخ قراءته وملخصاً عنه، إن أمكن ذلك .
- زر معارض الكتب دورياً ففيها من الأنس واللذة وبهجة المناظر ومعرفة الجديد من المؤلفات ما لا يخطئه الناظر.
- لا تدخل كتاباً في رفوف مكتبتك قبل قراءة مقدمته وفهرسته ونتفٍ منه؛ وإن لم تفعل فثق أنك ستعاود شرائه من جديد أو تنسى وجوده ضمن مقتنيات المكتبة.

- وأخيراً وليس بآخر، إن تفاعلك مع ما تقرأ من حيث تذكر معلومات سابقة عنه، وتذكر الأبواب أو العناوين الرئيسة، أو التأثر به من حيث السلوك، إذا كان معبراً ونحو ذلك يجعلك أكثر تركيزاً، وأعم فائدة .

وفي الختام أسأل الله لي ولكم مزيداً من العلم والثقافة والعمل لننفع أمة طال سباتها وتكالب أعدائها واستفحل ظلمها والعدوان عليها؛ وقد كتبت ما كتبت ليستفيد منه المقبلون على الحياة بالأمل المشرق والتفاؤل الكبير والعمل المثمر؛ الذين لهم في نفسي مكانةً عالية.

وتذكر دوماً أنك

(بالقراءة تحيا حياة واحدة، وبالجهل تموت موتتان).

لا لمكتبات الصحون والأكواب!!

عبدالحكيم عامر الطويل

مُنذ أيام مكتبة قورينا (شحات الأثرية) التي وضع لها إبنها الشاعر كاليماخوس (305- 240 ق. م.) أول فهرس للكتب نعرفه في العالم للمواضيع والمؤلفين، مروراً بمكتبات مساجدنا ومدارسنا التقليدية القديمة التي تؤكد العديد من الدراسات التاريخية أنها كانت تعج حقاً بالكتب وفهارسها وبنظام دقيق لاستعارتها والصرف على صيانتها، إلى مكتبة النادي الأدبي الذي تأسس في 1920 (أي في أواخر الاحتلال الإيطالي) بالقرب من ميدان الشهداء بجهود ذاتية وتبرعات شعبية، كانت المكتبة العامة جزء من حياة المجتمع الليبي اليومية طوال مراحل تاريخه! سواء في الشرق أو الغرب أو الجنوب، لهذا قد تكون دهشتنا كبيرة الآن حينما نجد أن المكتبات -في عهد يفترض أنه عهد التنوير- أمكنة غريبة شبه مهجورة! حتى المكتبات العامة القليلة التي مازالت تفتح أبوبها استثمرها الكثيرات والكثيرون لقراءة مذكراتهم الجامعية استعداداً للامتحانات! أي أنها صارت مجرد أمكنة قراءة هادئة استعداداً للامتحانات لا علاقة لروادها بما يوجد على رفوفها من كتب ودوريات! فهم يحضرون معهم كتبهم التي يقرأونها!

في عهد التنوير المفترض هذا صار مصطلح "المكتبة" يعني "متجر بيع القرطاسية"!! حيث تجد كلمة "مكتبة" مكتوبة بلا حياء في اللافتة الضخمة التي تعلو الكثير من هذه المتاجر! دون أن يلفت ذلك انتباه مسؤولي الثقافة ناهيك عن مكتب تراخيص البلدية مثلاً! إنني هنا أتذكر موقفاً مخجلاً جداً حدث لي شخصياً منذ نحو سنة ونصف بداخل "كلية التربية" بباب تاجوراء التابعة لجامعة طرابلس، فقد دخلتها أسأل عن مكتبتها العامة أريد كتاب فيها، فإذا بجميع من سألتهم بلا استثناء –من حرس البوابة مروراً بالطالبات والطلاب الذين ألتقيتهم في الساحات والممرا – يدلني على محل بيع القرطاسية فيها! وكأنه لا وجود لمكتبة بهذه الكلية! مع ملاحظة أن هذه الكلية تهتم بتخريج مدرسات ومدرسي المستقبل!!

بل في عهد التنوير هذا صارت الناس حتى تستغرب من تلك القلة النادرة التي لاذت ببيوتها لتخصص غرفة فيها لتكون مكتبة عائلية! فقد صارت المكتبة المنزلية – إن وجدت - مجرد مكان لعرض الصحون والأكواب الثمينة، وحتى لو تخللتها بعض الكتب فهي لا تعدو قطع زينة أكثر منها كتب للمطالعة!

وهكذا، في مجتمع لا تكون فيه مكتبة البيت من ضمن غرفه التقليدية، تبرز بشكل أكبر أهمية وجود مكتبة عامة في كل حي، حماية للأجيال اللاحقة من آفة الجهل الثقافي، إذ كيف يمكنهم التعرف على النشاط الثقافي الفكري الفني - سواء المحلي أو الأجنبي القديم والحديث على السواء - إذا كانت المدرسة لا تقوم بهذه المهمة بقدر ما تهتم بتوفير قاعدة لغوية ودينية وحسابية أساسية ليتمكنوا من القيام بتحصيل عيشهم عبر العمل الوظيفي أو الخاص؟ كما لا تقوم الفضائيات بهذا الدور، فلا أجدها تهتم بالثقافة بقدر ما تهتم بالسياسة والإعلان التجاري وكرة القدم والدراما الاجتماعية التي تجتذب العامة أكثر بكثير من الباحثين عن الثقافة والعلوم الإنسانية، بل أنني سمعت شخصياً من بعض كبار مسؤولي الإعلام المحليين والعرب أنهم يتجنبون إنتاج البرامج الثقافية لأنها مغامرة تجارية محفوفة بالمخاطر، فخسارتها الفادحة هي الأغلب الأعم، إذ من الصعب الحصول على إعلان تجاري أو رعاية من إحدى الشركات التجارية للبرامج الثقافية! حتى تلك القلة من الفضائيات التي آلت على نفسها تولي عبء نشر الثقافة بمفهومها الواسع هي في الواقع منابر للتعريف بإنجازات حكوماتها وسياسات وأنشطة وزارات الثقافة فيها أكثر منها اهتمام بالثقافة الإنسانية الخالصة، أما تلك التي تقدم أعمال تاريخية وجغرافية وثائقية ثقافية جادة فأغلبها يكون بمقابل مادي (أي مُشفرة) فلا تتيسر رؤيتها للفئة التي هي بأمس الحاجة إليها – الأطفال والشباب .

فلماذا لا نجد مكتبة المنزل مثلاً تساهم في غلق هذه الفجوة؟ الكثيرون يتحججون بأن سبب غيابها هو انتشار وسائل نقل المعلومات الحديثة عبر الشابكة (النت) وحتى النقالات، حيث صار بالإمكان اليوم اقتناء الكتب والمجلات وتصفحها عبر عالم الشابكة بل وعبر النقال ذاته، غير أنه مازال الكثيرون لا يستطيعون دخول هذا العالم لعدة أسباب، منها مالية كأن لا تتوفر لهم أصلاً الأجهزة اللازمة لذلك أو اشتراك منتظم في الشابكة، أو لصعوبات تقنية، كأن لا تتوفر البرامج الخاصة بذلك في أجهزتهم أو أن تشغيلها يكون بطيء جداً أو يستهلك طاقة أو ذاكرة الجهاز بسرعة أو يصعب قراءتها إلى حد الملل من

شاشاتها الصغيرة، كما أن هناك من فاتته فرصة إتقان تعلم مهارات دخول هذا العالم وأجهزته واستنباط المعلومات منها بسلاسة، خصوصاً جيل الآباء والأجداد الذين يشكلون نسبة كبيرة من مجتمعنا، ومنهم كثيرون يتولون مناصب عليا، ومصير المجتمع الثقافي والعلمي بيدهم!

كما أننا بِتنا نُدرك أن عالم الشابكة يضم كم هائل من المعلومات والأخبار الزائفة والكاذبة والفاضحة والمسيئة للأخلاق والمعايير الاجتماعية بالصوت والصورة! مما يجعلها تساهم يومياً للأسف في تجهيل الشعوب وانحرافها ببث الأكاذيب يومياً، لولا ذلك العدد الكبير من المواقع والمتنورين الصلحاء الذين يتصدون لهذه الآفات بكل شجاعة وذلك إما بحظرها أو بكشف حقيقتها الزائفة وتقديم البديل الصحيح المفيد لها، نعم فصراع الخير والشر لم يتوقف يوماً في تاريخ البشرية حتى في عالم الشابكة .

الغريب أن هؤلاء الذين يعتقدون أن غياب مكتبة البيت ومكتبة الحي العامة ليس سوى خطوة متقدمة في مسيرة الفكر الإنساني لا يدركون – ومن عالم الشابكة والفضائيات ذاته - أن المكتبات العامة مازالت حية تزداد ضخامة حتى اللحظة كأحد أهم المعالم المعمارية للمدن المتحضرة من حولنا حتى بالرغم من أن هذه المدن هي التي أنشأت ونشرت وسائل نقل المعرفة الحديثة التي يتحججون بها!

ذلك لأنهم لا يدركون أن مصادر المعرفة الحديثة هذه مازالت حديثة بالفعل، فلا تشمل كل المعارف التي أنتجها الفكر الإنساني منذ بداية التاريخ وربما حتى ما قبله كما تفعل مصادر الآثار بأنواعها، فآلاف أمهات الكتب وأحدث الكتب والأبحاث العلمية وحتى القديمة نسبياً المنشورة مازالت خارج دائرة الشابكة والقنوات الفضائية، وحتى وإن وجدت قلة منها مع الزمن فلا يمكن الحصول عليها إلا بمقابل مالي، وإن كان يسهل دفع ذلك المقابل واستلام المطبوع من بعد ذلك في الدول المتقدمة، مازال تحويل الأموال إلى الخارج واستلام المرسل من الخارج تقف في طريقه الكثير من المصاعب والتكاليف المالية الباهظة في الدول الأقل تطوراً وتحضراً، وقد لا يصل المطلوب حتى بعد استكمال كافة الإجراءات لعيوب كبيرة يعاني منها البريد المحلي، هنا، وفي هذه الأماكن بالذات تظهر بشكل واضح أهمية المكتبة العامة، فارتيادها قد لا يكلف شيء! ومطالعة كتبها أو حتى استعارة بعضها قد يكون مجاني في الغالب، وتصوير بعض صفحاتها يمكن إجراؤه بداخل المكتبة بثمن زهيد، وقد يكون مجاني في بعض المكتبات، بل

وسيكون غاية في الرخص والسرعة لمن يكون معه نقال بعدسة جيدة!

ربما أفضل الأمثلة على عدم صحة الادعاء بالاكتفاء بعالم الشابكة هو أن غالبية إصدارات العديد من مراكزنا البحثية المحلية قد لا تجد لها أثر في عالم الشابكة رغم أهميتها البالغة للباحث الليبي أو حتى الإقليمي، وربما يأتي على رأسها أطروحات ورسائل أكاديمية الدراسات العليا (المتوفرة مجلدتها في مكتبة الأكاديمية) ومشاريع تخرج جامعاتنا وإصدارات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، أما عن ملايين مخطوطاته فلا تفكر في البحث عنها في أي مكان غير مبناه الجميل النظيف بمدينة طرابلس أسفل مكتبته العامة! قس على ذلك العديد من المخطوطات التاريخية العربية والأفريقية المهمة بالنسبة للباحث وطالب الدراسات العليا الليبي التي تُعد الزاد الرئيس لأي بحث تاريخي أو أثري يهتم بتاريخ أو آثار هذه المنطقة الجغرافية العريقة والواسعة عالمياً، أهمها تلك الموجودة في المكتبات والمراكز والجامعات الموريتانية والمغربية والتونسية والمصرية، وغير المتوفرة على الشابكة.

أما عن الأبحاث العلمية المنشورة في دوريات البحوث العلمية (Journals) فلا يمكن أن تجدها على الشابكة إلا بمقابل تقريباً، بل أن بعضها تشترط أن تكون باحثاً في مركز بحوث علمي مرخص ومعروف، وعليك أن تثبت أنك باحث فيه بإرسال بريدك الإلكتروني المسجل في الموقع الرسمي لهذا المركز، فتصور الصعوبة التي تواجه الكثير من البحاث الوطنيين حينما ندرك أن الكثير من مراكزنا البحثية ليس لها أصلاً موقع رسمي ينتهي اسمه باختصار بلادنا الدولي، كما لا توفر أصلاً بريد إلكتروني لبحاثها

هنا أذكر تجربتين رائعتين حقيقة تثبت بشكل كبير أهمية المكتبة العامة في زمن الشابكة ذاته الذي يتصور البعض أنه تجاوز عهد المكتبة العامة، فالمكتبة العلمية في تاجوراء ومكتبة مركز البحوث النووية بتاجوراء كانتا قد اشتركتا في العديد من الدوريات العلمية، لتوفر لروادهما أحدث البحوث العلمية المنشورة "مجاناً"، مما ساهم بشكل كبير في تنشيط حركة البحث العلمي في المركز والدراسات العليا التي أنجزها بعضهم، لقد اختصرت هاتين التجربتين الكثير من الوقت الذي كان يضيع في البحث ما بين القليل من الأوراق العلمية المتاحة مجاناً في عالم الشابكة، كما ساعدت الباحثين والطلبة في تجنب عراقيل دفع الأموال الباهظة ومتاهات تحويلها في بلاد تنخفض فيه قيمة عملتها الوطنية بشكل كبير مقابل الدولار، ولا توفر مصارفها خدمة تحويل

الأموال بالسهولة والانسيابية الضرورية لينجز الباحث بحثه في الوقت المناسب.

على أي حال تم في بلادنا منذ فترة طويلة دمج مفهومَيْ "المكتبة العامة" و"المركز الثقافي" رغم اختلاف دوريْهما، ففي تقديري يستهدف المركز الثقافي احتضان الأنشطة الثقافية بتنوعها، من المعرض الفني للصور واللوحات والمنحوتات والمقتنيات إلى المحاضرات الثقافية وقراءات وحفلات توقيع الكتب الجديدة والحفلات الموسيقية المصغرة إلى عرض الأفلام الوثائقية وحتى عروض مسرحية إن أمكن والاحتفال بالأيام الوطنية والعالمية الثقافية، غير أنه طالما أن عزوفاً كبيراً قد أصاب المكتبة العامة والمركز الثقافي كذلك، (خصوصاً في القرى البعيدة)، ربما كان من الأجدى حقاً دمج المفهومَيْن في مبنى واحد لينضم رواد المركز الثقافي القليلين مع رواد المكتبة العامة الأكثر قلة، ولا شك في أن انضمامهما سيكون إثراء لكليْهما، إذ سيُنتج مشاريع ثقافية أكثر ثراء، غير أنني أُفَضِّل أن نسمي تحالف المكتبة العامة والمركز الثقافي باسم "بيت الثقافة."

فإذا ما أردنا الأخذ بيد هذه القلة المتنورة - طالما يقع على عاتقها تطوير مجتمعاتها فكرياً - لا بد من أن تعتمد بيوتنا الثقافية (وأقصد بها من الآن تحالف المركز الثقافي والمكتبة العامة) مجموعة من الإجراءات في زمن الانسياب السريع والهائل للمعلومات بكل صنوفها، لكي ليس فقط لاستعادة دورها - الذي كان يفترض أن تقوم به بلا توقف منذ الاستقلال طالما أنها وسط مجتمع يئن من قلة الثقافة والمعرفة، بل ليكون لها دور فعال وكبير في امتصاص بطالة والتيه الخطير للشباب الجديد، وفتح كل ما يمكن من سبل أمامهم ليتأهلوا فكرياً – بعد ثبوت ضعف محصول التأهيل المدرسي عندنا للأسف- ليقوموا بواجبهم نحو تنمية الوطن بعيداً عن السلوكيات المنحرفة الضارة بالشاب ذاته وأسرته ومجتمعه ووطنه في النهاية، فلو كنت مسؤولاً بالثقافة في بلادنا لاهتممت بالقيام بما يلي:

1- الإكثار من فتح بيوت الثقافة، فمثلما يجب أن يكون لكل حي حديقته العامة، يجب أن يكون له بيت ثقافة كذلك، فهي تستهدف بالدرجة الأولى الشباب والشابات، وهؤلاء في أغلبهم لا تتوفر لديهم وسائل مواصلات لإيصالهم إلى مراكز بعيدة عن سكنهم، وحينما تكون قريبة من سكناهم سيجذبهم حتى الفضول لا الفراغ أو الحاجة فقط لارتيادها، (ربما نحتاج في بداية تحقيق هذه الصحوة إلى توفير حراسة مسلحة 24 ساعة أمامها لحمايتها من الساخرين

والمتفاجئين بوجودها الجديد حتى لا يجهضوا مشروع إعادة بعثها!)

2- يجب أن لا يكون المبنى مخزن أو مرآب أو دكان سابق بل مبنى مخصص تصميمه ليكون ما أمكن بيت ثقافي، ويا حبذا لو كان وسط حديقة بسيطة، غير أنني لا أقصد أن يكون مبنى ضخم فاخر، لأن هناك الكثير من الأمثلة الحية لبيوت ثقافية بُنيت خصيصاً لتكون ثقافية مع جمال وأناقة وجاذبية في تصميم المبنى ولم تكن أبداً بكلفة مالية باهظة/ بيت المجاهد في مدينة الرجبان كأقرب مثال إلى ذهني، (وإن كنت أتمنى أن يكون اسمه بيت الرجبان الثقافي)، كما أنني كثيراً ما كتبت وطالبت طوال السنوات الماضية بإمكانية حماية المباني التاريخية والأثرية من الإزالة الجاهلة بإعادة توظيفها كبيوت ثقافية، مما يفيد في حماية المبنى وإثراء تاريخه وتاريخ وتراث الحي ثقافياً وسياحيا في آن، بذلك سيكون علامة مضيئة في الحي تذكرهم صباح مساء بأن القراءة والثقافة هي من أركان حياتنا اليومية، لا مكان يصعب حتى التعرف عليه، فما بالك الوصول إليه في زحمة المعمار العشوائي الذي تعيشه مدننا هذه الأيام بكل أسف،

3- لابد وأن تكون كتب الأطفال الملونة سهلة القراءة من ضمن محتويات هذه البيوت، فهم في تقديري الشريحة الأوْلى بالرعاية والترغيب في القراءة والثقافة في مجتمعنا،

4- الاهتمام كذلك بالكتاب المسموع سيشجع من يعانون من ضعف القدرة على القراءة ممن فاتتهم الفرصة لإتقان هذه المهارة، سواء من كبار السن أو من الشباب الذين لم يوفقوا في دراستهم العامة،

5- لابد وأن يشمل بيت الثقافة كذلك ركن خاص بالقراءة الشخصية الهادئة التي يحتاجها طلاب الجامعات والدراسات العليا أيام امتحاناتهم النهائية، فهي كذلك وسيلة من وسائل جذب الشباب إلى كتبها،

6- من الضروري أن تتوافق ساعات فتح بيت الثقافة ليس مع الدوام الوظيفي الرسمي وإنما مع ساعات النهار كلها، ففي ذلك فرصة لامتصاص طاقات الشباب خصوصاً العاطلين عن العمل وفي أوقات العطلات الرسمية وما بعد الدوام والدراسة،

7- من الضروري أن يوفر بيت الثقافة خدمة الدخول إلى عالم الشابكة والاشتراك في الدوريات العلمية والثقافية —خصوصاً المعروفة بجدتها ورصانتها وأهميتها الدولية - وتوفيرها لرواد المكتبة مجاناً أو بثمن زهيد واضعين في ذهننا أن

الخدمة موجهة لشباب غير عامل في أغلبه،

8- من الضروري أن يكون لبيت الثقافة موقع على الشابكة يذكر كل كتبها وساعات ارتياده وشروط الاستعارة ومناشطه الثقافية القادمة، بذلك نكون قد استثمرنا الوسائل الحديثة للوصول السريع إلى أمهات الكتب والحديثة

9- لابد وأن يكون طاقم إدارة بيت الثقافة من المثقفات والمثقفين من ذوي الخبرات التي تقدر القراءة والثقافة لا مجرد موظفين تقليديين همهم المرتب في نهاية الشهر، فهم من سينجحون المكتبة أو يفشلونها، وقد أثبتت لي شخصياً التجربة .

أن الموظفين التقليديين هم عقبة أمام نشر الوعي الثقافي بسلوكياتهم التقليدية والروتينية القديمة أكثر منهم وسيلة لنشره،

10- وجود قاعة للمحاضرات مجهزة بالأجهزة الضرورية سيساهم بشكل كبير في ربط كتب بيت الثقافة بروادها بالحراك الثقافي المفترض تنشيطه في الحي،

11- حبذا لو أمكننا ربط بيوتنا الثقافية بمناشط ومساعدات وخبرات منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم عبر اللجنة الوطنية لهذه المنظمة، لما لهذه المنظمة من خبرة عريقة في شؤون الثقافة والعلوم بأنجح الوسائل وأقلها كلفة.

دار الكتب الوطنية في بنغازي...وتسع سنوات من الإغلاق

إنتصار بوراوي

المكتبة الوطنية هي المكتبة التي تنشئها الدولة ، لحفظ التراث الفكري والوطني وكما يذكر الدكتور عبد العزيز النهاري في كتابه:"المكتبات الوطنية "، فإن تاريخ إنشاء المكتبات الوطنية كأحد انواع المكتبات يعود إلى القرن السابع عشر ، إذا ما أخذنا في الحسبان أن المكتبات الملكية ،في بعض البلدان الأوربية هي المنشأ الأصل للمكتبات الوطنية وكانت المكتبات الوطنية ،هي النوع الوحيد من المكتبات الذى انتشر بسرعة في القرنين السابع عشر والثامن عش، في أوروبا ولقد استفادت المكتبات الوطنية خلال تاريخها الطويل من الثورات كالثورة الفرنسية ،والثورة البلشفية فى روسيا حيث تم تحويل جميع المكتبات الخاصة والدينية، إلى مكتبات وطنية وفى القرن التاسع عشر بدأت العديد من البلدان، وخاصة في أوربا فى إنشاء المكتبات الوطنية كنوع من المكتبات ذات خصائص وأهداف محددة.

ولعل من أشهر المكتبات الوطنية في العالم، هي مكتبة الكونجرس بواشنطن ومكتبة لينين الوطنية في موسكو، وحسب تعريف منظمة اليونيسكو فإن المكتبة الوطنية مسؤولة عن طلب وحفظ نسخ، من كل المطبوعات التي نشرت فى الوطن وتعمل كمكتبة إيداع بواسطة قانون معين (1)

وفي عام 1952م أسس الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات قسماً خاصاً للمكتبات والجامعية للمساعدة في توضيح الدور الحديث والمسئوليات الملقاة على عاتق المكتبات الوطنية ويذكر الدكتور بأن الوظائف الأساسية التي يجب أن تقوم بها المكتبة الوطنية هي :

جمع والانتاج الفكري الوطني وجمع وحفظ نسخ من كافة المطبوعات التي تصدر داخل وخارج الدولة.

تقديم الخدمة كمكان للإيداع الرسمي لإصدارات البلد.

اقتناء جوانب كبيرة من الإنتاج الفكري الأجنبي.

نشر البيبلوغرافيا الوطنية سنوياً.

نشر الفهارس والقيام بالفهرس الوطني الموحد.

حفظ الوثائق المخطوطة المعاصرة والقديمة.

دار الكتب الوطنية..بداية النشأة

أجرى الدكتور إدريس مختار القبائلي عبر كتابه " دار الكتب الوطنية بنغازي.. دراسة ميدانية لواقعها وسبل النهوض بها " ،مقابلة مع الأستاذ طاهر الشويهدى مفتش المكتبات سابقاً الذى تحدث عن بواكير فكرة إنشاء دار الكتب الوطنية في بنغازي بالقول: بأن فكرة إنشاء دار الكتب الوطنية بدأت بمبادرة من السيد أحمد بزامة في منتصف ستينيات القرن العشرين الذى بادر بالاتصال بعميد بلدية بنغازي لإنشاء مكتبة عامة فقام بتخصيص قطعة أرض كانت ملعبا للكرة وبعد ذلك تم الاتصال بالمهندس المصري د. نصارى كامل من جامعة عين شمس لوضع الخرائط والتصميم للمكتبة وبمساعدة المهندسين فتحي جعودة والشريف بن عامر ،وبعد فترة تغير المشروع ليكون مكتبة وطنية على أن تخدم الغرضين معاً ورصدت للمشروع ميزانية تقديرية بلغت000 ,450 دينار وفى منتصف الستينيات، كانت خرائط المشروع جاهزة بعد أن رسي المشروع على إحدى الشركات الوطنية للمقاولات، ولكن المشروع توقف لدراسته بعد سبتمبر 1969

وفي فقرة أخرى من الكتاب يتحدث الدكتور محمد فنوش عن بداية بناء وتنفيذ مشروع دار الكتب في مدينة بنغازي بعد أن تم استدعاء مجموعة من الخبراء من ألمانيا وإيطاليا وأمريكا، وبدأ الدكتور محمد فنوش مع مجموعة من الموظفين بالعمل رسمياً وتجميع كتب ومحفوظات دار الكتب الوطنية بداية من عام 1973م قبل بناء مقرها الكبير وذلك بشقة صغيرة بها بعض المكاتب في إحدى عمارات وسط البلاد، وصدر قرار إنشاء الدار على عدة بنود منها: أن تنشأ دار الكتب الوطنية وفقاً لأحكام القرار على هيئة ذات شخصية اعتبارية تسمى "دار الكتب الوطنية "ويكون مقرها القانوني مدينة بنغازي وتتمتع الدار بشخصية اعتبارية وذمة مالية وتتبع أمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة،

وتحددت أهداف الدار في اقتناء وحفظ كل ما يصدر في ليبيا والإشراف على قانون الإيداع وإصدار البيوغرافيا الوطنية الجارية والمراجعة وغيرها من أهداف عامة للدار(2)

وتم الانتهاء من بناء مقر دار الكتب الوطنية في بنغازي في عام 1979و، حيث أنجز مبنى دار الكتب الوطنية من أربع طوابق احتوى كل طابق على مجموعة من أقسام الكتب والدوريات والوثائق.

وحسب دليل دار الكتب الوطنية (3) فإن أقسام دار الكتب الوطنية تتكون من التالي :

1- قسم التزويد وهو يقوم بعدة وظائف منها:

تنفيذ قانون الإيداع ومتابعته

تزويد الدار بالمطبوعات الوطنية

الحضور والمشاركة فى المعارض المحلية والدولية

تبادل وإهداء المطبوعات

تنفيذ إعطاء الترقيم الأولى الموحد للمكتبات

يعتبر الرقم الدولي الموحد للكتاب رمزاً للتعريف بعنوان كل منشور غير دوري والهدف المطلق من عملية الترقيم هو إعطاء كل عمل فكري رقماً خاصاً لا يمكن بحال من الأحوال أن يتشابه مع عمل آخر، ويصبح هذا الرقم علماً علي العمل الفكري يطلب به ويميزه عن سواه فإن رقم العمل الفكري ((ردمك)) هو أقرب شيء إلى رقم الهوية الذي يعطي للأفراد للتعريف بهم، ولكنه رقم عالمي يعمل به على مستوي العالم

وقد اعتمدت دار الكتب كوكالة لتطبيق نظام ردمك داخل الوطن، وتم الحصول على شريحة ليبيا من الترقيم الدولي وهي (9959) وبالتالي أنشأت الوكالة الليبية كوكالة وطنية، حيث باشرت عملها خلال شهر 10 (اكتوبر) عام 1998 م ثم أعدت منظومة خاصة بالوكالة الليبية وبرمجت القاعدة بواسطة مكونات ردمك

2-قسم الشؤون الفنية: وهو القسم الذى يقوم بعمليات الفهرسة والتصنيف لجميع المقتنيات التي تأتى للدار بعد استلامها من قسم التزويد وتستخدم فى المعالجة الفنية أدوات عمل تتمثل في طبعات تصنيف ديوى العشرى.

3-قسم الفهارس وهذا القسم يقوم بإعداد الفهارس 24 فهرساً موزعة بين أقسام وحدات الدار.

4-قسم المطبوعات الليبية أو قسم المركز البيبلوغرافي الوطني وهو من الأقسام

المهمة بالدار ويضم القسم عدة وحدات منها وحدة الكتب، ووحدة العمل البيبليوغرافي، ووحدة التسجيلي.

5-قسم ليبيا أو قسم المركز البيبلوغرافي الوطنى؛ وهو من الأقسام المهمة فى الدار، حيث يقوم بتجميع الإنتاج الوطنى الليبي ولقد بدأ القسم فى إصدار البيبلوغرافيات الوطنية عام 1981 ويتكون القسم من وحدة المجموعات الوطنية التي تشتمل على شعبة الكتب وشعبة المطبوعات والوثائق الرسمية وشعبة الدوريات ووحدة العمل البيبليوغرافي الذي يقوم، بإصدار البيبلوغرافيا الوطنية كل عام

6- قسم خدمات المستفيدين وهو يتكون من عدة وحدات منها:

وحدة المجموعات العربية.

وحدة المجموعات الأجنبية، وحدة الدوريات.

7- قسم المجموعات الخاصة؛ وهو قسم يحتوي على مطبوعات والوثائق التي تصدر من منظمات دولية مثل:

هيئة الامم المتحدة، منظمة جامعة الدول العربية، منظمة الوحدة الأفريقية

منظمة المؤتمر الإسلامي، منطقة التحرير الفلسطينية.

8-قسم "محدود التداول" وهو يحتوي على كنوز من الوثائق والدوريات النادرة.

وكان لا يسمح بدخوله والاطلاع عليه إلا بتصريح وأذن من مدير الدار وهو قسم مهم وتاريخي لأنه يحتوي على كثير من الوثائق التاريخية الخاصة بالعهد الملكي ودولة الاستقلال مثل مراسلات الملك وديوانه الملكي والإصدارات من الصحف والمجلات ووثائق وزارات تلك المرحلة.

9-قسم المخطوطات وهو يحتوي على 125 مخطوط.

10- قسم المكتبة الإلكترونية.

قدمت بورجمان تعريف المكتبة الرقمية بأنها مجموعة من المصادر الإلكترونية الإمكانيات الفنية ذات العلاقة بإنتاج المعلومات، والبحث عنها واستحدامها وبالتالى فإن المكتبات الرقمية هي امتداد ودعم لنظم خزن المعلومات واسترجاعها بغض النظى عن الوعاء سواء كان نصياً أو صوتياً(4)

ولقد أفتتح في بداية عام 2013 م "خدمة المكتبة الإلكترونية، وذكرت الاستاذة ربيعة القلال رئيسة قسم المكتبة الالكترونية بدار الكتب الوطنية بأنه نظراً لافتقار المدينة في هذه الفترة إلى وجود مكتبة عامة قامت دار الكتب الوطنية بإطلاق خدمات المكتبة الإلكترونية والتي

ستتاح للمستفيدين عن طريق الموقع الإلكتروني للدار:

www.nll.org.ly

وفي حفل افتتاح قسم المكتبة الالكترونية أكد عيسى عبد القيوم المستشار الثقافي في وزارة الثقافة على أن المكتبة تحوي أكثر من (200) ألف كتاب ودورية وتقرير ورسائل دكتوراه وماجستير عبر شركتي (بروكويست وسبرنقر)، كما ذكر عبد القيوم بأنه سيتم ضم مجموعة المنهل العربية التي تحوي (6500) كتاب (500) دورية وتقرير.

وذكرت وزارة الثقافة بأنها قد اشترت حق (تملك) الموقع وليس (الانتفاع) فقط كما جرت العادة، وسوف تتيحها جميعاً للطلبة والباحثين في ليبيا بشكل مجاني . (5)

ولكن كل هذه الخطط لم تتحقق، ولم تكن إلا حبر على ورق، فلقد افتتح موقع المكتبة الالكترونية لدار الكتب الوطنية لمدة وجيزة، ولم يتم تحويل كتب ومطبوعات دار الكتب الوطنية إلى كتب الكترونية بالموقع الإلكتروني الذي تم انشاؤه نتيجة دخول مبنى دار الكتب في صيانة اقتضى بموجبها إغلاق دار الكتب وإيقاف العمل بها بعد نقل كل محتوياتها من الكتب والدوريات والوثائق إلى مخازن وزارة الثقافة.

البيبلوغرافيا الوطنية

بدأ صدور البيبلوغرافيا الوطنية العربية الليبية عام1972م من قبل وزارة الإعلام والثقافة من خلال إدارة المراكز الثقافية، لأول مرة تحت اسم البيبلوغرافيا الوطنية الليبية حتى عام 1981م واستمرت في الصدور، من دار الكتب الوطنية حتى عام1986م واستأنفت في عام 1996م ، بعد عشر سنوات من الانقطاع وتعتبر فترة انقطاعها طويلة جداً ولكن تم تدارك ذلك بإصدار بيبلوغرافيات السنوات التي لم تصدر بها البيبلوغرافيا في مجلدات متوالية من مجلد عام 1990 إلى مجلد عام 1998م.

إصدار قانون الإيداع

كان لدار الكتب الوطنية دوراً فعالاً في إصدار قانون للإيداع، ليكون شاملاً لكل المصنفات التي تعد للنشر ، وبموجب هذا القانون يمكنها مقاضاة المسؤولين، وقد صدر القانون رقم 7 1984م بشأن المصنفات، التي تعد للنشر وورد في المادة الثالثة من القانون أن المصنفات التي تخضع للإيداع:

الكتب والكتيبات والنشرات من تقارير وبحوث

الصحف والمجلات والنشرات الدورية الرسمية

المطبوعات الممنوعة من التداول العام من قبل الجهات العامة

الخرائط والأطلس والمصورات

الأطروحات الجامعية

الملصقات والبطاقات البريدية

التسجيلات الصوتية والمصنفات الموسيقية

أشرطة الخيالة والأشرطة المرئية والمسموعة

المجسمات والمنحوتات الفنية إذا أعدت بنسخ متعددة

محتويات دار الكتب الوطنية

حسب إحصائية سجلات مجموعات الكتب بدار الكتب الوطنية في عام 1999 م سنة الدراسة والبحث التي أجراها الباحث إدريس القبائلي فإن مجموع المطبوعات 44144 مقسمة كالتالي: فإن مجموع مطبوعات الدار كانت:

الكتب العربية 18209 كتابا.

الكتب الأجنبية باللغات الانجليزية والفرنسية وغيرها 16300 كتاباً.

الدوريات الليبية 106.

الدوريات العربية 266.

الدوريات الأجنبية 134.

الرسائل الجامعية 201 والرسائل الجامعية الأجنبية 143.

المطبوعات الرسمية 3220 عربية 1150 أجنبية.

الوثائق والمجموعات الخاصة العربية 1364.

الوثائق والمجموعات الخاصة الأجنبية 3032.

بالإضافة إلى 125 مخطوط موجودة في قسم المخطوطات.

وهذه الأعداد تعتبر ضئيلة إذا وضعنا فى الحسبان حجم الفاقد نتيجة الإعارة الخارجية والإهمال وعدم التشديد فى المحافظة على محتويات دار الكتب الوطنية.

كما أن هناك عدة خدمات ووظائف مكتبية، لم يتم تفعيلها والقيام بها فى الدار وهى خدمات الفهرسة التكشيف والاستخلاص، للدوريات في دار الكتب الوطنية بكل أقسامها سواء فى قسم ليبيا أو قسم المجموعات الخاصة أو قسم الدوريات، فالعمل على الفهرسة فى دار الكتب الوطنية مقتصر على الكتب فقط.

المنظومة المكتبية

قامت دار الكتب الوطنية بشراء منظومة مكتبية من مركز التوثيق والمعلومات

بجامعة الدول العربية ولكن المنظومة تعتبر قديمة وتجاوزها علم المكتبات في العالم لأنها تعتمد على نظام الدوس القديم الذي لم يعد مستخدماً في العالم بعد دخول نظام الويندوز اكس بي وتحتاج دار الكتب الوطنية لشراء منظومة مكتبية جديدة لإدخال محتويات الدار بها.

المواد السمعية والبصرية

رغم أن وحدة المجموعات العربية بقسم خدمات المستفيدين كانت تحتوى على جزء كبير من المواد السمعية مثل أشرطة الكاسيت والأسطوانات القديمة للتراث الفني الليبي منذ الستينيات إلا أن دار الكتب الوطنية لم تنشئ قسماً خاصاً بالمواد السمعية والبصرية مما أدى إلى ضياع كثير من محتويات المواد السمعية التي كانت بحوزة الدار.

تقنية الميكروفش والميكروفيلم

ترجع أهمية هذه التقنية باعتبار أن الأوعية الميكروفيلمية وطاقات الميكروفيش هي من أهم الوسائل التي تستخدم في حفظ المخطوطات والمطبوعات النادرة والوثائق المهمة التي يخشى ضياعها أو تلفها مع كثرة التداول ومرور الزمن ولكن دار الكتب الوطنية لم تعمل على القيام بهذه الخدمة طيلة سنوات عملها .

استمرت دار الكتب الوطنية في العمل منذ عام 1973م ، إلى أواخر عام 2012 م وخلال كل تلك العقود كانت دار الكتب الوطنية، تعانى من عدم اهتمام الدولة بها وتكاد تقتصر كتبها ودورياتها على ما تم تجميعه في بداية تأسيسها، وعلى تزويدها بنتاج الإصدارات الليبية سنوياً في ليبيا وخارجها من كتب وصحف ومجلات ودوريات مختلفة، وذلك كان هو رافدها وعملها الأساسي كحافظ ومخزن للنتاج الوطني الليبي طيلة كل تلك العقود ولم تتح للدار المشاركة في معارض الكتب العربية إلا بصورة عارضة وعابرة دون أن يتم تخصيص ميزانيات لشراء كتب جديدة سنوياً ورفد الدار بالدوريات و بالكتب الحديثة ، ولم يتم الموافقة على تخصيص مبلغ لشراء منظومة مكتبية حديثة عوضاً عن المنظومة القديمة التي تعمل بنظام "الدوس" الذى لم يعد مستخدماً في علم المكتبات وتقنية المعلومات ومنظومات المكتبات، ورغم كل ذلك كانت الدار تعمل وتمنح خدماتها لطلاب المدارس والجامعات وطلاب الدراسات العليا الذين كانوا يتقاطرون عليها من كل المدن الليبية، إلى أن تقرر في أواخر عام 2012م تفريغ دار الكتب الوطنية من كل محتويات كتبها ومحفوظاتها ونقلها لمخازن تابعة لوزارة الثقافة في أطراف المدينة لغرض صيانة مقرها بالكامل.

ثم دخل مقر الدار تحت وقع الاشتباكات والحرب التي جرت منذ أواخر عام 2014 في بنغازي ولكن وبحمد لله ورعايته، لم يتعرض مقر الدار للهدم إو التدمير ونجا المبنى من الحرب، لازالت دار الكتب الوطنية تعانى من تعطل وبطء صيانة مقرها.

دار الكتب الوطنية هي معلم من معالم بنغازي، الثقافية والوطنية وتستحق أن يكون لها الأولوية في النظر لصيانتها والاهتمام، بمطبوعاتها ووثائقها وكتبها ومحفوظاتها التاريخية ولا زال لدينا أمل كمثقفين وعشاق لتاريخ بلادنا بأن ثمة مسئولين وطنيين حقيقيين سيلتفتون للدار ويضعونها تحت أولوية الاهتمام بعد كل الإهمال والإجحاف والجحود الذى تعرضت له طيلة تاريخ عملها كمنارة للعلم والثقافة في ليبيا.

المراجع:

1-المكتبات الوطنية تاريخها_وظائفها_واقعها المؤلف عبد العزيز محمد النهارى الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية 1994م
2- دار الكتب الوطنية (بنغازى) دراسة ميدانية لواقعها وسبل النهوض بها للباحث د. أدريس مختار القبائلى –منشورات جامعة قاريونس-بنغازى_ليبيا
3-المكتبات الرقمية تحديات الحاضر وأفاق المستقبل تأليف عبد المجيد صالح بوعزة -مكتبة الملك فهد الوطنية
4- دار الكتب الوطنية إنجازات وطموحات -1997م- مطابع الثورة للطباعة والنشر\ بنغازى
5- إطلاق خدمة المكتبة الإلكترونية بدار الكتب الوطنية، خديجة العمامى،29 موقع ليبسا المستقبل/2013/3

استطلاع المجلة: كنتُ في الواحد والعشرين، حين زرتُ أول مكتبة عامة حقيقية

المجلة

ليست المكتبات والمراكز الثقافية مجرد أمكنة لتحزين وحفظ الكتب، أو إنها من الكماليات، فعلى مر التاريخ كانت المكتبات وما في حكمها من مراكز ثقافية منارات للتعلم حيث يجد فيها الإنسان كل ما يشبع رغبته المعرفية وينمي من قدراته ويضعه في مواجهة الحقيقة.

لذا فإن الدول الكبرى تركز على المكتبات العامة والمراكز الثقافية لما لها من تأثير في تثقيف الفرد والمجتمع وفتح الأفق لتنمية المواهب وتطويرها وتقريب المعلومة من راغبيها. وهذا ما نفقده في بلادنا، حيث المكتبات في المدن الرئيسية في ليبيا تعد على أصابع اليد؛ الواحدة، أما المراكز الثقافية فهي أثر من بعد عين.

في هذه العدد تفتح مجلة الفصول الأربعة ملف المكتبات العامة والمراكز الثقافية، بهدف الوقوف على دوم هذه المؤسسات الثقافية ودورها في تنمية الثقافة المجتمعية. المجلة من خلال هذه الاستطلاع، تحال الوصول للإجابة على بعض التساؤلات التي من الممكن أن تكون مفاتيح لمواضيع تخدم الملف. من خلال استطلاع آراء مجموعة من الأدباء والكتاب الذي كانت المكتبات جزء من تكوينهم الثقافي.

نحن بحاجة إلى إحياء المكتبات العامة والمراكز الثقافية لإتاحة مجانية القراءة

حسين بن قرين درمشاكي - كاتب وقاص.

مما لا شك فيه أن للمكتبات العامة والمراكز الثقافية دور هام جداً لتنمية المعرفة بين أطياف الشعب من خلال تشجيع القراءة كرافد مهم جداً من روافد حياتنا اليومية مثلها مثل فنجاني قهوة الصباح والمساء.. إذ أننا كلما قرأنا أكثر كلما ازداد مخزون الذاكرة الثقافية والمعرفية لدينا وكان ذلك متاحاً لكل شرائح المجتمع من خلال دور المكتبات العامة والمراكز الثقافية التي أخذت على عاتقها وفي عديد المدن الليبية تنمية العقول التي ارتقت بفعل إقبال الناس على مجانية قراءة شتى صنوف الكتب في مجالات المعرفة المتشعبة دون عناء البحث عن هذا الكتاب أو تلك الموسوعة أو ذاك المرجع والتذمر من كيفية اقتنائه من المكتبات الخاصة أو لنقل (التجارية) والتي تهتم فقط بسقف دخلها على حساب جيب القارئ (ولا يمكنني طبعاً تعميم هذا النموذج على كل المكتبات واترحم هنا على روح الراحل الحاج (عبدالله عوين) صاحب مكتبة الشعب العريقة بمدينة مصراتة الذي كان دائماً يحثني ويشجعني على القراءة وكان رحمه الله يحتفظ لي بنسخ من مجلة العربي الكويتية وجريدة العرب العالمية للراحل الأستاذ الحاج أحمد الصالحين الهوني رحمه الله.

إذن نحن بحاجة إلى إحياء المكتبات العامة والمراكز الثقافية لإتاحة مجانية القراءة المنتظمة لكل الناس ويقع هذا على عاتق وزارة الثقافة والتنمية المعرفية بتعاون عميق بينها والمؤسسات الثقافية الأخرى من خلال إنشاء مكتبات ومراكز ثقافية في كل ربوع ليبيا مدعومة بشبكة معلومات الكترونية تتيح للجميع النهل من معين المعرفة التي باتت من أهم مقومات البقاء في عالم يقبر الجهل ويزرع بساتين المعرفة..

مواقع التواصل الاجتماعي كسرت القواعد التقليدية في نشر المعرفة

حمزة جبودة- محرر أخبار بقناة 218 ومهتم بالملف الفني والثقافي.

بالنسبة للسؤال، يُمكن القول إن المكتبات لم تعُد لها حضور قويّ على أرض الواقع، وهذا التراجع لا يعود لأسباب تقصير منها، بل لعوامل أخرى ظهرت على المشهد، وأهمها مواقع التواصل الاجتماعي، التي كسرت القواعد التقليدية في نشر المعرفة بشكل عام.

وسنرى هذا بوضوح، عبر بعض الصفحات الخاصة لبعض المكتبات، على منصات التواصل الاجتماعي، في نشرها لبعض الكتب أو الأخبار التي تهمّ القارئ بالنسبة لها، وأيضاً سنقرأ جُملة من كتاب أو من موسوعة، مرفقة بتعريف عن الكاتب أو المترجم في أحيان أخرى.

طبعاً لا يمكن أن نُحمّل مواقع التواصل الاجتماعي وحدها على كل حال، أو للتطور التي أحدث تغيراً كبيراً في كل المجالات، بل أيضاً للجهات الحكومية في ليبيا، او لنُقل الخدمية منها. لأن أغلبها ترى في الكتب أو المجال الثقافي من "الرفاهيات" أو "الكماليات"، وكل أنشطتها محصورة فقط في المناسبات الرسمية أو في الأيام الدولية، مثالاً: اليوم العالمي للكتاب.

التغيير لا يُمكن أن يحدث بين ليلة وضحاها، ولكن يجب معالجة الأمر بطرق غير مستهلكة. ويُمكن على سبيل المِثال، "تغيير" صورة الثقافة المعروفة، عبر تفعيل الكتاب الرياضي، أو الكتاب الفني، لأن المكتبة مرتبطة بالكتب الأدبية أو دواوين الشعر.

استقطاب الجمهور الرياضي أو حتى الخدمية تلك التي تُلخّص للقرّاء النظريات الحسابية والعلمية وغيرها، وأيضاً جمهور "التنمية البشرية" من يحبّون قراءة الكتب التي تنصحهم بأن لا يفعلوا ذلك الشيء وأن يفعلوا ما تنصحهم بهِ.

كسر نمطية المكتبات، هي مهمة لأصحاب المكتبات وأيضاً للدولة أيضاً، لأن صناعة القارئ أو صناعة مجتمع يقرأ، لم تكُن ولن تكون صناعة الفرد بل مجموعة من المجتمع، يؤمن أن المعرفة والكتاب، هُما الأصل والمستقبل.

مكتبة المدرسة الثانوية كانت شبه مغيّبة

محمد النعاس – كاتب.

سأحاول الإجابة من تجربتي الخاصة، فقد ترعرتُ في مكان تغيب فيه دكانة واحدة لبيع الكتب كما أنّ أول مرة أعرف بوجود مكتبة عامة فيه كانت في سن متقدمة نوعاً ما، كانت المكتبة تبعد على بيتنا ثلاث كيلومترات، مكتبة بيتنا كانت مليئة بكتب التخصص الدراسي لأبي فقط لا غير، ولا أذكر حتى هذا اليوم وجود مكتبة داخل مدرستي الابتدائية والإعدادية ومكتبة المدرسة الثانوية كانت شبه مغيّبة علينا، ليس لدينا إلا حصة واحدة للمكتبة مرة كل شهر أو أكثر، عشتُ ثمانية عشر سنة لم يشجعني أحد على القراءة خارج المنهج الدراسي، لا العائلة لا المدرسة لا أحد. أول مرة أجلس فيها في مكتبة عامة كانت في أحد أزقة ميزران بعد أن تجاوزت

العشرين. كنت قبل ذلك مليئاً بالأوهام، مليئاً بالخوف والحيرة والعيش في دوامة معرفية واحدة لا تتوقف.

عندما أخبر العديدين بهذه المعلومات، يحتارون كيف أصبحتُ كاتباً وينظرون لي كحالة استثنائية، ولكنني في ذات الوقت أفكر في كل الأطفال الذين ترعرعوا معي، كل أولئك الذين لم يجلسوا لقراءة كتاب واحد على الأقل، كيف كان بالإمكان أن تتغير حياتهم لو قادتهم الصدفة كما فعلت معي، ربما للأسواء، ربما للأفضل. لا شك أنّ تغييراً ما سيطرأ على حياتهم، وأنّهم سيفكرون في مسلمّات لازالوا يعايشونها مرة أخرى، ولا شكّ أيضاً أنّ جيلاً بتفكير مختلف، بإحساس مختلف ومشاعر وتجارب مختلفة كان سينشأ ولو متأخراً .

خلال أسفاري، لم يغب عن عيني اهتمام شعوب الأرض بالقراءة والمطالعة في المقاهي والقطارات والباصات وفي الطريق، في أوقات الانتظار أو حتى أوقات الترويح عن النفس، صحبة كتاب واحد، أي كتاب كانت، تجعل الإنسان يتطلع للمعرفة أكثر، تجعل عقله مشغولاً، صحبة المكتبة، المكان الذي تعيش فيه الكتب أغلب حياتها، هي تجربة تثري الإنسان معنوياً ومعرفياً، تجربة تجعله أسهل في تقبل العالم بكامل أشكاله وأعراقه، بل فيها تكمن مفارقة بديعة، فقراءة الكتب تحتاج لبعض من العزلة، ولكنها في نفس الوقت تتغلب على العزلة التي يعيشها المجتمع.

عندما بدأت أعشق القراءة بدأت دفاعاتي التي حصنني بها المجتمع المحيط تتهاوى، أفكار مسبقة عن العالم بدأت تسقط كقشرة طلاء قديم وأفكار جديدة عنه بدأت تتشكل، حالة العزلة الليبية التي كنتُ أعيشها متخوفاً من الشعوب والأعراق، وبالنسبة لي الآن، إن كان هناك أمر واحد يمكن للمكتبات العامة في كل محلّة ما يمكنها أن تفعله، أمر يمكنها أن تساهم في تحقيقه، هي أن تساهم في اجتثاث المجتمع الليبي من حالة عزلته عن العالم والتي تجعله يعيش الخوف والحيرة والجمود، بصحبة الكتب أولاً، وبصحبة من يرتادون هذه الصُرح الثقافية ثانياً، وبصحبة العالم ثالثاً.

كنتُ في الواحد والعشرين، حين زرتُ أول مكتبة عامة حقيقية

شكري الميدي آجي- قاص وروائي.

في تازر – الكفرة عانيتُ طويلاً للوصول إلى الكتاب. لم تكن هناك وسيلة لإيجاد عنوان جديد أو قديم. في البلدة – التي تقع أقصى الجنوب الشرقي– مكتبة تجارية واحدة تقدم الكتب الدينية والأبراج فيما

عدا المكتبة المنزلية خاصتنا، لم تكن هناك فرصة للذهاب لأي مكان فيه كتب .

ذات مرة سمح لي أحدهم بدخول لمخازن الكتب الخاصة بقطاع الإعلام، بدا الوضع بائساً للغاية. وقفت أمام ركام من الكتب، قاومت رائحة الغبار الجاف في حلقي، في البدء أصبت بالدهشة لعدد الكبير للكتب ثم اكتشفت إن الكومة ليستْ إلا ثلاثة عناوين متكررة: خيبة كبرى، تكررتْ مرة أخرى في مرفق آخر، لم أفقد الأمل فهي مخازن ولم تكن مكتبات عامة.

لم أكن أجد مكاناً واحداً للذهاب والالتقاء بقراء مثلي، المحيط الاجتماعي كله كان عاطلاً للغاية، الالتجاء للملاعب الرملية، الجلوس في زوايا الأحياء السكنية، يوماً إثر يوم، والقراءة ليلاً ربما حتى الصباح ومناقشة الذات في كثير من الأفكار التي ترد في الكتب مكتبتنا الخاصة .

هكذا انقضت عشر سنوات من وقت تعرفي بالكتب.

شكري الميدي – روائي

كنتُ في الواحد والعشرين، حين زرتُ أول مكتبة عامة حقيقية، سنة 2005 في بنغازي، رغم إعجابي بالكم الهائل من الكتب إلا إنني كنتُ أمام كيان منهار، يتحكم به موظفون متبطلون يسعون للنقاشات الجدلية، لتمضية الوقت، فهم يعرفون جيداً إنهم في مكان منسي تماماً، الحماس قل ربما بسبب عدم تردد أحد للاستعارة وبقاءهم في النسيان لوقت طويل، دوام مرهق في يوم حار، داخل مؤسسة يملئوها الغبار. بعض أشهر الكتب مثل: "أفول واضمحلال الحضارة الرومانية". تمت استعارتها لآخر مرة سنة 1978- أغلب الكتب بآماد أقدم. واحدة من الموظفات حذرتني من أن الكتب تحتوي مواد سامة تتسبب بأمراض جلدية وهمستْ محذرة لا تضع أصبغك في فمك لتقلب الصفحة.

مؤسسة لا تقدم الكثير للمحيط السكني، فعلى مدى سنوات من زياراتي لعدة مكتبات عامة في المدينة، لم أكن أجد لها أثراً إيجابياً في تلك المناطق. بعض النشاطات الثقافية كعرض الأفلام السينمائية لحلقة صغيرة من الرواد. لا يهتمون بالكتب بقدر اهتمامها بأشياء أكثر سهولة في تناولها. أغلب ما تقدمه المكتبات العامة أصبحت تقدم إلكترونيا بواسطة التكنولوجيات الذكية، لم نعد بحاجة للذهاب إلى المكتبات العامة سواء للإيجاد العناوين أو التقاء بالأشخاص أو الجلوس والاختلاء بالنفس في مكان هادئ، أماكن كثيرة أصبحت تنافس المكتبات العامة .

لكن محبو الكتب يعرفون قيمة الخدمات التي يمكن أن تقدمها لهم المكتبات العامة، فهي تساهم ليس فقط في توفير عناوين للقراءة، فعلى هامش الوسائل التكنولوجية ظهرت الرغبة في إقامة النوادي الخاصة بالقراءة، فهي تساهم في التفاعل من أجل تبادل الأفكار والنقاشات، وتخلق فرص عرض قراءاتهم وأساليب عرض تلك القراءات، لتخلق نوعاً من الحراك الثقافي، يمكن للمكتبات العامة أن تجد فرصة لتكون مكاناً لعقد تلك المناقشات .

الفكرة التي تراودني مفادها أن تكون وزارة الثقافة والتنمية المعرفية، أكثر مرونة وفاعلية، لتخصص ميزانيات صغيرة، تهدف إلى التعاون مع نوادي القراءة والمراكز الثقافية والمناظرة في كل البلديات مع الوزارة أو ما يمثلها بالتسلسل الاداري، لغرض توفير الكتاب المراد مناقشته –مثلاً– بعدد قراء داخل تلك النوادي والمراكز الثقافية، يكون عليهم تحديد الكتاب بطرقهم الخاصة، من ثم تقدم لهم طرق اقتناء العدد المطلوب، سواء بالتعاون مع المكتبات الخاصة أو بواسطة مؤسسي تلك النوادي، في سبيل النقاش وتعلم تبادل الآراء والتقليل من التطرف المجتمعي، هذا يساهم في إشاعة مناخ ديمقراطي تحتاجه البلاد.

نحن أحوج ما يكون لوجود مكتبة عامة في كل حيّ سكنيّ ومركز ثقافي في كل مدينة وقرية

مهنّد سليمان - كاتب ومحرر صحفي.

الحديث عن دور المكتبات العامة ومدى أهمية المراكز الثقافية يستدعي الحديث بالضرورة عن ثقافة القراءة وآفاق تأصلها في مجتمعنا المحلي بليبيا، فكما أعتقد إن تهميش مكانة وجود المكتبات العامة يرتبط طرديًا بعدم احترام المجتمع لثقافة الكتاب فمعدلات القراءة حسب إحصاءات الأمم المتحدة ترتقي لأرقام مخجلة لشدة تدنيها فالطفل العربي لا تتجاوز قراءته في العام الواحدة أكثر من عشرة صفحات، تظل مسألة العوز الذي يعانيه مجتمعنا في القراءة أزمة تمتد جذورها لعقود طويلة فغياب ثقافة اقتناء الكتاب أحد أبرز المعوقات التي تجعل من المكتبات العامة على محدوديتها بعيدة عن التأثير المباشر والكبير لشرائح المجتمع لاسيما الفئة الفتيّة والشابة، مما يضع المراكز الثقافية التابعة لجهاز الدولة في المقابل إزاء دور ضعيف ووظيفي محشو بجيش من العاملين اللذين يبرر لهم القانون تلقي رواتبهم الشهرية لا أكثر .

إننا نكابد مشقة جمّة لا نعي خطورة أبعادها بكل أسىً فالقائمون على إدارة

الشأن العام في الدولة يجهلون وضع الخطط الإستراتيجية التي يُؤطرون بها دورًا تنمويًا فاعلاً حقيقيًا للمكتبة والكتاب والمركز الثقافي، إنهم يضعون كل ذلك في ذيل أولوياتهم كون إن الثقافة بالنسبة إليهم لا تزيد في أفضل الأحوال عن رفاه لا لزوم له والمؤسسات المعنية بالثقافة تُصرف لها أبخس الميزانيات بينما تُغدق ملايين الدنانير على المشاريع العبثية التي ترجع بالمنافع على طبقات معينة، علمًا بأنه كانت لوزارة الثقافة مبادرة خجولة افتقدت للنفس الطويل ولغياب برنامج واضح ومتكامل والتي تمثلت في محاولة توفير المكتبات المتنقلة عام 2013 بيد إن هذه المبادرة أخفقت في تحقيق خططها وأهدافها للأسباب المذكورة .

لكن برغم جملة هذه المعوقات والإشكالات المزمنة نظل أحوج ما يكون لوجود مكتبة عامة في كل حيّ سكنيّ ومركز ثقافي في كل مدينة وقرية وبلدة تكون على مستوى المسؤوليات المناطة بها أخلاقيًا وقانونيًا، ولعل أزمتنا في هذا الصدد تُعزى في المقام الأول للعائلة نواة التكوين الأولى للمجتمع فربما من النادر أن تجد حين تيمم وجهك نحو أركان المنزل مكتبة تعتني بالكتاب وتُورِّث مناهله للأبناء والأحفاد حيث تصطدم بالمكتبة وقد مُلأت عن آخرها بأطقم فناجين القهوة وأكواب الشاي وبضعة تحف ومقتنيات رخيصة غالبًا ما تغطيها أتربة الأسبوع ويكسوها غبار السنين، إن الواقع القائم لازال ينذر بالخطر المحدق فإنما الأمم والشعوب لا تنهض إلا بإيلاء الثقافة عمومًا الاعتبار الأول وفق قاعدة إن تحضر المجتمعات يقاس بانتشار المكتبات ورسوخ ثقافة اقتناء الكتب والمطبوعات.

المكتبات والمراكز الثقافية هي أهم أدوات الثقافة

رحاب شنيب – كاتبة.

تعتبر الثقافة إحدى الأدوات المحركة والموجهة لإعادة وإنتاج الحياة الفكرية والمادية في المجتمع وهي أيضا إحدى عوامل النهضة تزامنا مع النهضة الاقتصادية والأخلاقية ويرى علماء الاجتماع أن الثقافة تتمتع بالتراكمية وبالانتقائية أيضا، أي أننا بحاجة إلى كم معرفي من أجل غربلة هذه الثقافة الموروثة وضخ رؤى جديدة إلى جسدها مما يجعلها قادرة على خلق نهضة تنموية لإقصاء مصادر ضعفها وكل ما له علاقة بسمات التخلف، فهي من تقوم بتجديد المجتمع بخلق مرونة للفكر مما يجعل العقل الجمعي قادرا على استيعاب التنوع الإنساني وباحثا عن أفضل السبل للتطوير والتنمية.وتعتبر المكتبات والمراكز الثقافية أهم أدوات الثقافة فهي تقدم الخدمات

للمواطنين كل في حيه باعتبار ضرورة تواجد المراكز الثقافية في كل حي وهي توفر الكتاب لكل الناس على اختلاف طبقاتهم مما يفسح المجال لمحدودي الدخل بالحصول على المعلومة دون عناء وهي أيضا توفر المعرفة المستمرة، كما تخلق مساحة لتواجد الناس مع بعضهم تعمل على دعم العلاقات الاجتماعية للأفراد وتساعد أيضا على معرفة الآخر، وهذه المساحة أيضا لتبادل الأفكار والحوار تمرن الفرد على تقبل هذا الآخر و تنتشله

.

من الديماغوجيا، وهي تستقطب الشباب لتنتشلهم من الفراغ و الوقوع في شرك المخدرات والأفكار المتطرفة المؤذية للمجتمع وعن طريقها يتم الاهتمام بالمواهب وصقلها، فالمركز مكان تجد فيه قاعات تدريبية لشتى مجالات الفن وتجد فيه أصحاب الخبرة والفنانين الذين يرشدون المواهب ويدربونهم، لذا نحن بأمس الحاجة إلى هذه المراكز حتى يمكننا خلق شبكة تتعاون في بناء الفرد الذي يعتبر أساس المجتمع.

الاستدعاءُ التاريخي من خلال المكان والشخصيات في قصيدة (ترنيمة لبلادي) للدكتور علي فهمي خشيم

أ. رقية عبدالنبي البوسيفي*

ترنيمةٌ لبلادي، مطولةٌ عروضية، بُنيت على النمط التقليدي للقصيدة العربية، بامتداد مئة وأربعة وستين بيتاً، على القافية الدالية المكسورة منسوجة على بحر الرمل، تفاوت فيها حضور الوصل وغيابه.

لقد قسمت هذه المطولة إلى ثمانية عشر مقطعاً، مع تباينٍ في سعة كلِّ مقطع محملة بموضوع تقليدي أساسي وهو الانتماء للوطن والفخر بتاريخه، والترنم له، وذاك غرضٌ درج عليه الكثير من الشعراء قديماً وحديثاً، فإن كان الشاعر القديم يتغنى بقبيلته، فإن الدكتور علي فهمي خشيم تغنى في قصيدته (ترنيمة لبلادي)(1) بوطنه وبلاده ليبيا ككثيرين غيره.

ومع ما يتخلل المطولات الشعرية عموماً من تفاوت في أماكن الضعف والقوة، بسبب الترهل الذي تعانيه، فإن الأديب علي فهمي خشيم لم يطرح نفسه شاعراً في المشهد الإبداعي الليبي، ودليل ذلك أنه لم يهتم بتجميع نصوصه بين دفتي ديوان شعري؛ وبالتالي فأنه لا يُنظر إلى بعض تلك الفراغات البنائية في قصيدته المطولة على أنها عيب أو خلل بنائي في تركيبتها الفنية. ولكي لا نستطرد طويلاً في تلك الجوانب فإن قراءة الاستدعاء التاريخي (الزمني) في قصيدته (ترنيمة لبلادي) قد ركّزت على عنصرين مهمين هما:

أ- المكان باعتباره مسرح التاريخ وحاضنه.

ب- الشخصيات والشعوب باعتبارهما منتج الأدب والحضارة معاً.

ولعلّ أجمل ما يُفتتح به من قول حول هذه القصيدة هو البيت الذي يقول فيه الدكتور علي فهمي خشيم:

قُلْ لِمَنْ يَجْهَلِ التَّوَارِيخَ اِقْرأ / قِفْ وَقَلِّبْ صَحَائِفَ التَّخْلِيدِ

نَحْنُ مَنْ عَلَّمَ الشُّعُوبَ قِتَالاً / فِيهِ تَنْبَضُ خَصْلَةٌ مِنْ وَلِيدِ

أ - المكان مسرح التاريخ وحاضنه:

للمكان دوره الذي يبلغ من الأهمية ما يمنع تجاوزه أو نسيانه، لاسيما أنّ له حميميته وخصوصيته، التي تمكنه من البقاء حياً عبر الزمن، فهو رحمٌ مفتوحٌ، يضم حياةً متداخلة متشابكة مكتظة الأحداث. يقول باشلار "المكان هنا هو كلُّ شيء حيث يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة"(2) إذاً المكان بؤرة يسكنها حدثٌ ويخلدها الزمن وشاعرنا كذلك هنا:

يا بلادي قد صاغك الله نوراً / باهر الضوء قبل فجر العهود

ثم ألقاك في الوجود شعاعاً / لهدى الناس منذ عصر بعيد

حيث نجد إشارة للمكان (بلادي) مقترنة بزمان (عصرٍ بعيد)، والاستدعاء التاريخي للشخصية والمكان يعد إحدى الوسائل الفنية التعبيرية التي يلجأ إليها المبدع في زمن ما بعد الحدث، وعادة ما يكون هذا الزمن خلواً من المقومات التي انماز بها الزمن الآفل، فيكون الاستدعاء في هذه الحال للرجوع بالتاريخ إلى الحدث؛ لغرض التحفيز والعودة إلى أمجاده، أو الحنين إليه لكونه يمثل شعاعاً نيراً، لاسيما أن ما يمر به الإنسان العربي في مختلف الأقطار، وما يعانيه من انكسارات؛ جعلت الحاضر وعاءً مليءَ الثُقُوب لا يقوى على حمل شيء دون مؤازرة الماضي. ومن الإشارات المكانية التي مرت في المطولة، ما جاءت لرسم صورة مظهرية لشكل المكان. فوطن الشاعر رسمته المطولة بصورة مزهوة بالعناصر المكانية، أرضه منبت الزعفران والعسجد، مكساة وغناءة بالورد، أطلق الطير على جنباتها أصواته صادحاً مغرداً، بين سهول من الخصب، فيقول الشاعر مخاطباً المكان:

مهد الأرض زعفراناً وتبراً / عسجديا منمق التنفيذ

وكساها من الزهور بساطاً / كل رقم به شذى الورود

أطلق الطير في سماها يغني / مطرب الشدو رائع التغريد

أودع الخصب في السهول وألقى / كل لون من الجمال فريد

مدد الشاطئ الفسيح تراخى / مثل عقد على بديع الجيد

فجر الأرض بالينابيع يجري / ماؤها سائغاً شهي الورود

وخبّأ الخير في بطون الصحارى / واعداً أهلها بعيش رغيد

والملاحظ أن وصف الأرض ومكوناتها من سهل وصحراء وشاطئ وغير ذلك قد جاء في صورة بسيطة، لا تميل لأي غموض، ولم تكن ذات بعد عميق؛ وإنما كانت بمثابة وصف تشكيلي واقعي، وربما قُصد به نقل المتلقي إلى مكان أهم آذناً بدخول التاريخ من أهم مقوماته؛ لذلك كان حضور الكثير من الأماكن حضورا سياقياً، لا يمثل عمقاً تاريخياً، وإنما هو طرحٌ لتمهيد ولوج التاريخ المكاني، ومنها قول الشاعر:

موطن الخير والكرامة والعز / ومهد السنا عرين الأسود

فكلُّ الأماكن التي ذكرت سابقاً كان الغرض الفني والبلاغي من استجلابها هو الوصف المحض، الذي يوطن صورة الأرض في ذهن المتلقي، لبدء مرحلة أساس وهي مرحلة البعد التاريخي، والذي حمل العتبة النصية (البدء)، ومن ذلك قول المبدع مستدعياً أماكن تاريخية:

ها هنا منشأ الحضارة والفن / هنا مولد الزمان الجديدِ

فيكِ (وادي الآجال) وفيكِ (التسيلي) / وفيك (جرما) وفيك مجد الجدودِ

وفيكِ (صبراتة) إذا هتفَ النّا / سُ (أويا) تبسمت من جديدِ

إنْ رَنَتْ (لبدةُ) إليها أجابتْ: / أيه أختي.. فلتأمري.. فلتريدي

يا ثلاثاً من الحسان تآخينَ / وخمسٌ مِنَ الحِسَانِ الغيدِ

تلك (قورينة) تراها تجلتْ / في شبابٍ مُنَعَّمٍ أملودِ

ضمَّتِ الأربعَ البواقي إليها / يتبخترنَ في قَشِيب الوُرود

إذ تسنعن قمة (الجبل الأخضر) / يُدَاعِبْنَ كُلَّ دِفْءٍ وَعُودِ

واستحضار المكان في المقطّع السابق، يمثل رجوعاً إلى الحضارة التي نمت واشتد عودها في تلك الأماكن، بتباين موقعها الجغرافي، شرقا وغربا، ووسط الصحراء وجنوباً، وما حملته تلك الحضارات من ازدهارٍ في مناحٍ مختلفة. ولكن لماذا قدَّم الشاعر المؤرخ حضارات (وادي الآجال) و(جرما) و(التسيلي) وبدأ ذكرها على حضارات أخرى في ذات البلد، مثل حضارة (صبراتة) و(أويا) و(لبدة) و(قورينة) ؟

لماذا استهل الدكتور علي فهمي خشيم بذكر حضارات الصحراء وقدّمها على حضارة السواحل؟ وهو العالم الضليع بالتاريخ وحضاراته القديمة؟

•••

المعروف أنَّ جُلَّ الحضارات التي نمت وازدهرت تاريخياً، وصمدت وامتد بقاؤها عبر الزمن، كانت حضارات مكان، أي أن للمكان اشتراطاته ومؤهلاته. فحضارات النيل والرافدين والشام، كلها حضارات ماءٍ وخصبٍ، كان للنهر أو البحر فيها سطوته القاهرة، ويده الطولى، إذ أن الحضارة تشرب الماء وتروي عروقها منه؛ لتمد أوصالها فوق الأرض، وهو أمر طبيعي، ولكنَّ التحدي هنا في مكان الحضارة؛ الذي توسط قلب الصحراء، حيث لا بحر ولا نهر، ولكن إرادة شعوب عاشت بين (التسيلي) و(جرمة) وكوَّنت مجتمعاً متحضراً نسبياً، ومتقدماً زمنياً.

لذلك وجب تقديم الحضارة الصحراوية على حضارة الساحل بامتياز صعوبة الموقع، وقسوة المناخ وشُحّ الأرض. كما أن استخدام الشاعر اسمي الإشارة (ها هنا) و(هنا) في قصيدته ربما كان للدلالة على قرب المبدع من زمن الحدث ومكانه، وامتزاجه به، وربما وجوده فيه، وضمن مكوناته؛ فلو قال (تلك) لكان معبراً، وليس حاضراً أو معايشاً للحدث، ولكن مع كل ما تقدم لا نستغرب من الشاعر، عندما يرى أن مولد التاريخ يحسب بميلاد ليبيا، ونمو كيانها الحضاري، وكأنه يقول: قبل ليبيا لا وجود للوجود:

هَا هُنَا مَنْشَأُ الحَضَارَةِ وَالفَنِّ / وَهَنَا مَوْلِدُ الزَّمَانِ الجَدِيدِ

ب - الشخصيات والشعوب منتج الحضارة والتاريخ:

الشخصية في المنتوج الشعري ليست مجردَ صورةٍ تُقطف من أفنان الماضي، وليست سرداً يجيءُ عفواً وسط القصيدة، بل هي طاقةٌ تعبيريةٌ هائلةٌ، يوردها المبدع لأهمية بُعدها الدلالي داخل النص، فتوظيف الشخصيات التاريخية والتراثية في قصائد الشعر العربي المعاصر يعد استخداماً تعبيرياً يحمل معه خصائص وأبعاد الشاعر المعاصر، ويبرز تقنية ووسائل تعبيره عن رؤاه المعاصرة. ومن الشخصيات المهمة التي وردت في المطولة شخصيتا (شيشنق) و(سيفروس)، اللذان ورد ذكرهما في المقطع السابع بعنوان (شيشنق) والمقطع التاسع بعنوان (سفيروس) حيث يقول الشاعر الدكتور علي فهمي خشيم:

حقَّ لِلدَّهْرِ أَنْ يُباهِي بِقَوْمٍ / ليس فيهم سوى القوي الشديدِ

ذاك "شيشنق" قد علا قمة العرش / وأرسى سلطانه بالصعيدِ

فارس الحرب والسياسة والحكم / ومن ينتضي برأي سديدِ

أولاً: شخصية (شيشنق) في القصيدة:

شيشنق هو الفرعون الليبي المؤسس للأسرة الحادية والعشرين في مصر القديمة آواخر الألف الأول للميلاد (950-929 ق.م) وقد استشهد الشاعر على عظمة هذه الشخصية التي قدمتها الصحراء الليبية لتكون حاكمة أعظم الكيانات السياسية والعسكرية في ذلك الوقت بذكر الكرنك والاستشهاد به فيقول:

وَسَائل "الكرنك" العتيق وَحَدِّثْ / يَا زَمَانُ بِكُلِّ أَمْرٍ حمِيدِ

حَدِّثْ النَّاسَ كَمْ غَزَا مِنْ بِلاَدٍ / وَكَمْ طَوَاهَا فِي قَبْضَةٍ وَحَدِيدِ

ولازالت آثار مدينة الأقصر في مصر شاهدة على أمجاد "شيشنق"، أما "سيفيروس" فهو الحاكم الروماني الذي ولد بمدينة لبدة يومئذ، لذا خصص له مقطعاً وأسماه (سفيروس) يقول في إطلالته:

خَبِّرْ النَّاسَ يَا زَمَانُ وَحَدِّثْ / عَنْ بِلاَدِي وَعَنْ فَتَاهَا المَّجِيدِ

عَنْ "سَفِيرُوس" يَوْمَ أَمْسَى "بِرُومَا" / رَبَّهَا الوَاحِد الفؤادِ المريدِ

واستحضار هاتين الشخصيتين له دور في تعبئة الحاضر بأمجادٍ خلت، ربما للفخر بها، وربما لتحميل الحاضر على طاقاتها المنتجة وإعادة بناءه بشكل أفضل.

لا شك أن هذه الشخصية تحمل من الدلالات والمرموزات ما يجعلها منهلاً يصدره الشعراء والمؤرخون، ويعزو رجوع الشاعر إلى التراث ربما يكون مرده إقفار البيئة الراهنة، وتمنُّعها عن منح الجديد في شتى الصُّعُد، وقد يكون ما يعايشه الشاعر الإنسان في بيئته من شح وتقهقر، فهو لا يرى في الحاضر غير هوة من فراغٍ لا إنتاج فيها، وهذا يفسر اتصاله بشخصيات مغيّرة محركة في التاريخ، بمثابة مد يرجو له أن يطاول الحاضر، و"تكتسب تجربة الشاعر باستدعاء هذه الشخصيات التراثية غنىً وأصالةً وشمولاً في الوقت ذاته"(3)، كما أن الشخصية التراثية تمتلك قداسة في النفوس، وبذلك تتحول مع مرور الزمن محركاً للتغيير، ودافعا له. هذا من ناحية فلسفية، أما من ناحية أخرى فإن استحضار الشخصية وحدها داخل العمل الأدبي لا يكفي، مهما تميزت تلك الشخصية، فتجليها يحدده عامل آخر هو العامل الفني البنائي، والأسلوب الذي استجلبت به داخل النص، من خلال الأدوات التي استخدمها مبدع العمل ليرسم بها صورة تلك الشخصية، وينحتها في الفضاء النصي. وللتوضيح مثلاً:

أ- استهلال البيت بالصدر: (حقّ لِلدَّهْرِ أنْ يُباهِي بِقَوْمٍ) الجملة جاءت خالية من التوكيد، سلسة في سياقها بسيطة، لتشعر المتلقي أن أولئك القوم فعلاً باهى بهم الدهر.

ب - أما مفردة (الدهر) التي تبعث سؤالاً في القارىء يقول: كيف يباهى الدهر بقوم؟ وهي صورة تشخيصية عالية الدقة؛ فقوم تفاخر بهم الدهر ليس غريباً أن يكون (شيشنق) ابنهم.

ج- (ذاك شيشنق) اسم إشارة للتوسط بين البعد والقرب، أي لا تستخدم للبعيد، ومع هذا جاءت مع شخصية (شيشنق) رغم البعد الزمني، وكأنه اعتلى العرش منذ زمن غير بعيد إذ أن أعماله التي خلدها التاريخ تجعله قريباً على الدوام وحاضراً لا يغيب.

د- الاستشهاد بدلالة الأسلوب الطلبي في قول الشاعر (سائل الكرنك) وأسلوب النداء (يا زمان) والمقصود يا أمة الزمان.

و- من أجمل الخاتمات المقطعية قول الشاعر:

يَصْمُتُ الكَوْنُ لَيْسَ يَسْمعُ إلاَّ / أَمْرَ "شِيشنق" حِينَ يَدْعُو: جُنُودِي

بعد الاستشهاد بالزمان، بالدهر، بالكون، يعلن أن لا صوت يعلو صوت الحرب والسؤدد إنه صوت "شيشنق"، وحول هذا ينقل الدكتور علي فهمي خشيم رأياً حول سطوة الفرعون الليبي للأستاذ (بيتري) قائلاً: (إنَّ الغزواتِ الليبية غير المستبعدة شيءٌ نفهمه عبر التاريخ المصري، ولنبدأ بالقول إنَّ (المصريين) أنفسهم تشكلوا في غالبيتهم من مهاجرين ليبيين... ولعل الأفكار الليبية، دخلت بشكل واسع في الديانة والحضارة المصريتين"(4).

ثانياً: شخصية (سفيروس) في القصيدة:

ثاني أكبر وأبرز شخصية ليبية تراثية صانعة لتأثير إيجابي في مجريات التاريخ الليبي القديم، هي شخصية الإمبراطور الليبي سفيروس، ابن مدينة لبدة الأثرية وقد استحضرت كما أسلفنا في المقطع التاسع الذي عنّونَ بها، ويقول الشاعر:

أَخْبِرْ النَّاسَ يَا زَمَانُ وَحَدِّث / عَنْ بِلاَدِي وَفتَاهَا الجَلِيدِ

عَنْ (سِفيروس) يَوْمَ أَمْسَى "بِرُومَا" / رَبَّهَا الوَاحِدَ الفُؤادِ المَرِيدِ

لَمْ يَلِنْ عزمُهُ وَلَمْ يَرضَ إلاَّ أ/نْ يَكُونَ الوَحِيدَ غَيْرَ السُودِ

سنوجز الحديث عن تشكيلات عامة في استعراض الشخصيتين (سفيروس) و(شيشنق) بدلاً من الاستعراض التاريخي؛

فالأول سار عليه، وأهم ملامح تلك التشكيلات:

1 -تم استدعاء الشخصيتين بشهادة ذات الشاهد وهو (الدهر- الزمان) ففي شيشنق قال:

حقَّ لِلدَّهْرِ أَنْ يُباهِي بِقَوْمٍ / ليس فيهم سوى القوي الشديدِ

وعن سفيروس قال:

أَخْبِرْ النَّاسَ يَا زَمَانُ وَحَدِّث / عَنْ بِلَادِي وَفَتَاهَا الجَلِيدِ

2 -في ذكر العرش قال عن شيشنق:

ذَاكَ "شِيشنق" قَدْ عَلاَ قِمَّةَ العَرْشِ / وَأَرْسَى سُلْطَانَهُ بِالصَّعِيدِ

أما عن "سيفروس" قال:

اعتلِ العرشَ يا "سفيروس" / واحكمْ كيفَ شِئْتَ فِي القَرِيبِ البَعِيدِ

3 -الحكمة في تسيير الأمور عند "شيشنق:"

فارسُ الحَرْبِ والسياسةِ والحُكْمِ / وَمَنْ يَنْتَضِي بِرَأْيٍ سَدِيدِ

أما عند "سفيروس:"

صاحب البيرق الخفوق تقدم / واستلم أمرها بأمرٍ رشيد

4 -مكان الحكم.. فيقول عنه في "شيشنق:"

ذاك "شيشنق" قد علا العرش / وأرسى سلطانه بالصعيد

أما عن "سفيروس" فيقول:

عن "سفيروس" يوم أمسى "بروما" / ربها الواحدَ الفؤادِ المريدِ

5 -القوة والبطش لدى "شيشنق:"

أرهب العالم القديم بجيش / تتعالى صيحاته في النجودِ

أما لدى "سفيروس:"

أذعنتْ من شُيُوخِ "رُوما" جِبَاهٌ / لِفَتَى لبْدَة الجَسُورِ العنيدِ

إن ما يهم في هذا الاستحضار هو غنى التاريخ الليبي بأبطال سيَّروا عجلة الحضارة باتجاه الخلود، وامتطوا صهوات المُلكِ في مشارق الأرض ومغاربها، وامتد بهم السلطان الليبي إلى عروش (روما)، وأعالي صعيد (مصر) و(النيلين) مع ملاحظة أن الشاعر حين استدعى (شيشنق) ابن الصحراء و(سفيروس) من ضفاف بحر مدينة لبدة الساحلية الليبية المتوسطية، فهو يربط الحضارات المتعاقبة ويؤكد حضور الشخصية الليبية بارزة فيها على مر التاريخ ودورها الفاعل فيها زمنياً ومكانياً، وهذا اعتزاز بالهوية الوطنية ورموزها كافة.

شعوبُ القصيدة:

كان للمستعمر الإيطالي حضورٌ في المطولة الشعرية للدكتور علي فهمي خشيم، وقد اختصه الشاعر بأطول مقطع من مقاطعها، وهو المقطع الخامس عشرة، وأسماه (الجهاد)، وحضور الطليان قابله مكان وهو (بلادي) كقوله:

رَاعِفَاتُ الأقلامِ خُطِّي سُطُوراً / عَنْ بِلَادِي وَعَنْ نِضَالٍ مَجِيدِ

يَوْمَ مَجِيءِ (الطُليانِ) يَبْغُونَ أَرْضِي / يَوْمَ ثَارَتْ عَوَاصِفُ البَّارُودِ

كَيْفَ كُنَّا وَكَيْفَ كَانَ لِقَانَا / كَيْفَ تَصْدَامُنا لغدرٍ حَقُودِ

مع ملاحظة أن هذا الحضور اقترن بالفخر والجهاد، ولم يأتِ على نحو محزن منكسر، وإنما أشغلت الطاقة التعبيرية والأسلوبية لجعل الاستحضار عامل دفع إيجابي، فمثلا استعان بأدوات النداء التي خرجت عن وظيفتها اللغوية إلى فضاءات بلاغية أرحب للتحليق بصورة تجسيدية أو تشخيصية ناطقة، لذا نادى أدوات الحرب ومنها:

1 -طبول الحرب فقال:

ادفعي يا طبول في معمع الحر / ب ألوفاً من الرجال وزيدي

2 -الخيول؛ لما لها من رمزية جهادية نوديت بقوله:

اركضي يا خيول فوق الضحايا / من خميس ممزق مردود

3 -السهام:

مزقي يا سهام منهم صفوفاً / واقتليهم بحسرة القؤود

4 -الحراب:

شتتي يا حراب منهم جموعاً / واغرزي النصل في الفؤاد الكميد

5 -السيوف:

املأي الساح يا سيوف / بقتلاهم وسدّي جوانب الأخدودِ

6 -النسور:

فانهشي يا نسور من مزق اللح / م بقايا أشلائهم كالقديدِ

أضف إلى ذلك أن طريقة تصوير حركة الجهاد ضد الإيطالي وزمن المقاومة داخل النص لم يكونا في وقتٍ واحدٍ أو حتى متقارب، فكلنا نعلم أن الاستعمار الإيطالي لليبيا كان في العصر الحديث، ولكن الشاعر استدعى أدوات حرب قديمة، سابقة لفترة الاستعمار؛ إذاً السيوف والحراب والسهام والخيول ما كان استدعاءها إلاَّ لكونها قوالب رمزية عبئت عليها طاقات تعبيرية خفية، حاثة للتغيير، دافقة به، فالفرق بينها يكمن في عزيمة من حملوا هذه الأسلحة القديمة، وانتصروا بها، لذا يكون المستحضر الحقيقي هو

إرادة الشعوب، والمطلوب صرخاتها المناوئة للعدو أياً كان شكله، هذا ما نراه من انكماش أمم وتجلي أخرى غيرها رغم توفر ذات المقومات للتحدي والنهوض والمقاومة والانتصار. وكما أشير سابقاً إلى أن مقطع (الجهاد) بالقصيدة يعد أطول مقطع بها، وهذا يجعلنا نزعم أن الشاعر كان متأثراً بحركة المقاومة ضد الإيطالي والصفحات المشرفة والتضحيات البطولية للأجداد المجاهدين.

وبالإضافة إلى الإيطاليين فقد استدعى الشاعر في قصيدته شعوباً أخرى عاشت في ليبيا، وكان لها وقع واضح في الحضارة القديمة، مثل شعوب (الإسبست) التي استوطنت برقة في الشرق، وقبائل (الجرمنت) التي سكنت أواسط الصحراء انحداراً إلى الجنوب وقد كونت حضارات مختلفة دونها التاريخ القديم في ليبيا.

الخلاصة:

تخلص هذه القراءة السريعة لقصيدة الدكتور علي فهمي خشيم (ترنيمة لبلادي) إلى تسجيل عدة ملاحظات أبرزها:

1 -أن المطولة الشعرية للدكتور علي فهمي خشيم (ترنيمة لبلادي) شأنها شأن الكثير من المطولات الحديثة عانت فراغاً وتبايناً بنائياً في بعض الأبيات، وهذا مرده إلى الترهل الذي ينتاب المطولات بسبب التركيز على موضوع أصيل واحد، وخصوصاً أن الدكتور علي فهمي خشيم لم يطرح نفسه شاعراً؛ ولم يصدر له ديوانٌ يجمع أعماله.

2 -كانت الصورة الفنية في أغلبها بسيطة لا تميل إلى التعقيد، مبنية على التشخيص والوصف في كثير من الأحيان.

3 -ظل الاستدعاء في القصيدة عاماً ولم يقتصر على فترة زمنية محددة؛ بل جاء من فترات مختلفة، وقد مثّل تضمين الأماكن إضافة تخدم الاستدعاء وتعززه، مع ملاحظة أن بعضها كان حضوره سياقيا عرضيا في النص مثل (الشاطئ، الصحراء، السهول)، ومنها ما كان رمزيا ذو بعد تاريخي مثل (وادي الآجال، قورينة، لبدة). كما استدعى الشاعر شخصيات تاريخية مثلت فترة الفتح الإسلامي وما بعدها مثل (عمرو بن العاص)، و(عقبة بن نافع) ولكن هذه الشخصيات لا تمثل رموزاً محورية ذات هوية ليبية خاصة ومحددة. إضافة إلى أن الاستدعاء الزمني التاريخي تضمن شخصيات ما قبل الميلاد والقرن الميلادي الأول بشكل تلميحي عابر اختفت بعد ذلك الشخصيات الحديثة داخل النص.

4 -استعرض الشاعر كفاح وقتال بين عدو وشعب مقاوم بتغاير المرحلة التاريخية، فكان قتال قبائل الجرمنت للرومان في العهد القديم إبان فترات سطوة

الإمبراطورية البيزنطية، ثم قتال الليبيين في العصر الحديث ضد الاستعمار الإيطالي.

وختاما لما قد سلف، فإن مطولة الدكتور الراحل علي فهمي خشيم اختزلت في موضوع واحد، وهو الوطن، وقد عبّر عنه بكل ما للغة من مفردات، فكان تارة أرضاً، وتارة موطناً، وأخرى بلاداً، كما أنه استغنى عن ذكرها في أحيان أخرى وخاطبها بالضمير (أنتِ)، قائلا:

أنتِ تأتينَ دائماً بالجديدِ / فاعتلي ذروةَ المَعَالي وَسُودِي

وأحياناً استحضر ضمير المتكلم (أنا) ليصفها قائلا:

أنا في حضرةِ الجَمَالِ حيّ / خافضُ الطرفِ مغرقٌ في الشُرُودِ

أنا في حضرةِ الجَلاَل عيي / مطرقُ الهامِ خَاشِعٌ في سُجُودِي

أنا في حضرةِ الكَمَالِ أُصَلّي / لستُ أدري غَيْبُوبَتِي مِنْ شُهُودِي

وقد تعددت الأسماء بينما المقصود واحد وهو (المكان)، ولا يختلف الأمر في المطولة بين المكان والزمان فقد جاءت المفردات منوّعة واصفة إياه زمناً وزماناً ودهراً ووجوداً وتاريخاً.

وعلى صعيد آخر فإن تقصّي العتبات النصية، التي وُسمت بها كل مجموعة مقطعية (الفاتحة، النور، الخلق، الصورة، البدء، الذكرى، شيشنق، الخيول، سيفروس، الشعب، الراية، الخلق، البر، البحر، نحن، الجهاد، الثورة، الغد) فإنه يُلحظ أن جلها إما إشاراتٌ مكانية وإما زمانية؛ فالعتبات (البر، البحر، شيشنق، سيفروس، الشعب، الخيول) هي في واقع الأمر إشارة مكان مباشر: كالبر والبحر أو مكان غير مباشر: كالخيول والشعب وشيشنق وسفيروس؛ لأن هذه العتبات مرتبط وجودها أساساً بالمكان. أما الجزء الآخر فهو إشارة زمان مثل: (النور، الذكرى، البدء) وقد تزامنت ثنائية - الزمان والمكان- في (الجهاد، الثورة) وبين طيات الاستحضار التاريخي للزمان والمكان، لا بد أن توافد الشخوص فراداً وزمراً، داخل النص فهي محرك النص، ومحرك التاريخ، وصانعة الحضارات تليداً ووليدا.

الهوامش:

(*) كاتبة ليبية تحمل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد من مدرسة اللغات قسم اللغة العربية بالاكاديمية الليبية، طرابلس

(1) ترنيمة لبلادي، شعر، الدكتور علي فهمي خشيم، مجلة (الفصول الأربعة)، ليبيا، العدد رقم 3، السنة الأولى، يونيو 1978م، ص 61-70

(2) غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للنشر، بيروت، الطبعة 2، 1984، ص73

(3) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص17

(4) آلهة مصر العربية، علي فهمي خشيم الناشر مركز الحضارة العربية، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2010، ص31

السيرة الذاتية ما بين ذاكرة الذات وذاكرة الثقافة الليبية

قراءة في كتاب (هذا ما حدث) للدكتور علي فهمي خشيم

"ينبغي للإنسان ألا يكتب إلا إذا ترك بضعة من لحمه في الدواة كلما غمس فيها القلم"
(تولستوي)

أ.قية محمد سعيد (*)

من المعلوم أنّ الكتابة الأدبيّة ليست كلّاً متجانساً بل هي أجناس متعدّدة وهذه الأجناس في حدّ ذاتها لها تفريعات صغيرة تفصل بينها عدّة حواجز. وقد حاول النقاد والمنظرون على مرّ العصور تنظيمها وجدولتها وانتهوا في مستوى الكتابة السرديّة إلى حصرها ضمن منظومتين كبيرتين هما السرد التخييلي والذي يشمل القص بكل أنواعه، والسرد الواقعي الذي يشمل كتابة الذات ك السيرة الذاتية واليوميات والمذكرات والاعترافات.. الخ، والتي سنتناولها في هذه الورق.

السيرة الذاتية أو كتابة الأتوبيوغرافيا تعتمد على سرد الواقع والتاريخ بالدرجة الأولى وتستبعد الخيال إلى حد بعيد في حقلها، وقد اجتهد عدد كبير من النقاد والمنظرين في محاولة ضبط مفهومٍ للسيرة الذاتيّة: نجد عند صاحب كتاب المعجم المفصل في الأدب قوله: "هي سرد قصصي يتناول فيه الكاتب ترجمة حاله، وما يعترض حاله من معضلات وشدائد، ومحاولاً تتابع الأحداث زمنياً وأهميةً، وهو في السيرة الذاتية لا يذكر إلاّ ما يشاء ذكره عن حياته(...) وبإمكان الكاتب تتبّع طريقة المذكرات اليومية، والتفصيل في الحكايات والأخبار بالقدر الذي يشاء"(1). أما الناقد الفرنسي فيليب لوجون فله رأي آخر يقول:

هي "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة"(2)، وبهذا فالسيرة الذاتية تعتبر وثيقة أو ميثاقاً يختزل مراحل حياة الكاتب بكل ما حفلت بها من نجاحات واخفاقات وكذلك تطورات ومتغيرات عصره.

الكاتب مؤرخا ثقافيا:

تحت عنوان فرعي على عتبة غلاف كتاب سيرته (هذا ما حدث) أكد الدكتور علي فهمي خشيم أن كتابه عبارة عن (بعض ما وعته الذاكرة من حوادث وأحداث وحالات وشخصيات)، أما في مستهله فقد اختار أن يوجه عتبة التقديم بعنوان (إلى القارئ) موضحاً فيها الأسباب التي حفزته على خوض تجربة كتابة الذاكرة على الورق.

ثم يأتي الجزء الأول تحت عتبة (زنقة شلاكة وما حولها) الذي استهل فيها الكاتب نصه بحدث استذكاري عن حي أو زنقة شلاكة في المدينة القديمة بالعاصمة الليبية طرابلس مصوراً الحياة الاجتماعية والسياسية ومركزاً على الجوانب الثقافية بشكلٍ خاصٍ، موثقاً تفاصيلها وجزئياتها، مسجلاً فيها نبض حياة المدينة القديمة ومعالمها المتعددة وصولاً إلى أعمدة الثقافة أو الكتّاب الأوائل الذين عاشوا بين أحيائها.

أما سيرة حياة الكاتب علي فهمي خشيم فهو ولد بمدينة مصراته ليبيا عام 1936م، وتحصل على ليسانس آداب تخصص فلسفة، بكلية الآداب من الجامعة الليبية بنغازي 1962، وعلى ماجستير فلسفة، من كلية الآداب بجامعة عين شمس 1966م، وعلى الدكتوراه في فلسفة كلية الدراسات الشرقية جامعة درم بريطانيا 1972م.

وبالعودة إلى (هذا ما حدث) الذي يعد بمثابة ميثاقٍ أو وثيقةٍ تاريخيةٍ أرشفت واقع ليبيا الثقافي منذ مهده حتى حاضره الذي سجله الكاتب من منظور ذاتي، فالكاتب يعد من أهم ركائز الثقافة الليبية، ولهذا ركز في كتابته على الواقع الثقافي خلال منتصف القرن الماضي وما يليه فكتب عن علاقته برواد الثقافة في شتى الاتجاهات آنذاك بداية عن أول قصة في الأدب الحديث (نفوس حائرة) لصاحبها عبد القادر أبو هروس والتي يقول عنها:" لعلها الأولى في تاريخ القصة الليبية الحديثة، تحت عنوان نفوس حائرة رسم غلافها الفنان المسرحي والرسام أيضاً.. محمد شرف الدين"(3) ومن ثم ينتقل بالحديث عن بدايات الأديب محمد فريد سيالة، والشاعر يوسف القويري والروائي

عبدالله القويري، وكامل حسن المقهور والصادق النيهوم وأحمد إبراهيم الفقيه أيضاً، سارداً للقارئ القصص التي جمعته بهم، حيث يحدث قارئه عن هذا كله في تتابع زمني قصصي، ومن ثم يسترجع أكثر من ذلك حتى نهاية الخمسينيات وتحصله على الشهادة الثانوية من ثانوية العاصمة المركزية في تلك من المرحلة من حياته المفعمة بنشاطات مبكرة في الشعر والمقالة الصحفية.

وهكذا من حدث إلى آخر نصل إلى حديثه عن دور الصحافة في تلك المرحلة تحديداً وعلاقتها بالأدب وذلك من خلال كيفية اعتماد الجيل الأول من الكتّاب على نشر أعمالهم الأدبية البكر في الجرائد والصحف، حتى نصل إلى محور مهم هو أهمية جريدة (طرابلس الغرب) وكذلك صحيفة (برقة) و(صحيفة فزان)، وبذلك نقف على متغيرات المرحلة وكيفية سماح الحكومة الليبية آنذاك بصدور صحف خاصة كما يقول "وليس بالضرورة أن تكون صحف حرة منها على سبيل المثال: الطليعة، الفجر، الرأي، الأيام، الهدف في طرابلس، وهناك في بنغازي: الرقيب، الزمان، العمل، الحقيقة وغيرها"(4)، ليس ذلك فحسب فالذاكرة لدى الدكتور علي فهمي خشيم تستحضر الاتجاهات الفكرية والايديولوجيات لأصحاب تلك الصحف وأسماء الصحافيين القائمين عليها، على سبيل المثال " كان يصدر البلاغ مجموعة من الشباب يحسبون على الإسلام اليساري أو اليسار الإسلامي لستُ أدري بعضهم تعلم في القاهرة وآخرون في ليبيا، منهم: علي وريث، إبراهيم الغويل، محمد رفعت الفنيش، ومحمود الهتكي. وكانت المعارضة البرلمانية تتلاقى وهذه المجموعة في الهدف وإن اختلفت الوسيلة، إلى جانب جريدة الشعب التي كان يصدرها الشيخ علي المصراتي.. حسب التساهي(5)".

وهكذا يسرد الكاتب أهم أحداث الصحافة الليبية آنذاك ولكنه في نهاية الأمر يضع بصمه تميز جريدة (الحقيقة) الصادرة في اقليم برقة والتي كانت أسماً على مسمى في عدم مصادرة حرية التعبير والكتابة، وكيف كانت قِبلة أهم الكتّاب ومن بينهم الصادق النيهوم الذي نشر فيها أهم مقالاته، وكذلك خشيم نفسه الذي نشر فيها أهم المقالات ويقول أيضاً عنها: "هكذا انتقلتُ لتحرير صفحة في الحقيقة بعنوان آخر الأسبوع"(6). ومن ثم يذهب إلى تفرد هذه الصحيفة ذائعة الصيت محلياً وعربياً يقول متحدثاً عمن أرسى قواعدها الفكرية (محمد الهوني) ورئيس تحريرها أخيه (رشاد الهوني) الذي "استطاع أن يستقطب كبار الكتّاب إليها كما احتضن الناشئين الواعدين فيها. فكانت أقلام علي مصطفى المصراتي وفؤاد

الكعباري والصادق النيهوم تبرز على صفحاتها. واستجلب صحافيين ممتازين من مثل الكاتب اللبناني سمير عطا الله، وخطاطين متميزين مثل سعودي ومتولي. وقد حدثني المرحوم صالح بو بصير أنه حمل إلى شيخ الصحفيين المصريين فكري أباظه نسخة من (الحقيقة) وفيها مقالتان لي عن حديث له في إذاعة (الشرق الأوسط) نُشرا بعد ذلك في كتابي (الحركة والسكون) وكان فكري أباظة يلقي محاضرة في نادي الصحافيين بالقاهرة. أمسك الصحيفة يقلبها أمام الحاضرين ويريهم إياها قائلاً: شوفوا.. شوفوا ليبيا بتعمل إيه؟! آدي الصحافة مش الكلام الفارغ اللي بتعملوه"(7) هذا ما يوضحه ميتاسرد السيرة عن أهمية الصحافة في ليبيا أثناء منتصف الستينيات بأنه مهما كان كم ظهور الجرائد اليومية والأسبوعية الخاصة والعامة لم تستطع أيٌّ منها الوصول إلى صدق وحرية صحيفة (الحقيقة).

ومن ثم ينتقل الدكتور علي فهمي خشيم في كتابه (هذا ما حدث) بالأحدث إلى قصة إنشاء أول جامعة في ليبيا بمدينة بنغازي والتي أطلق عليها اسم (الجامعة الليبية) في منتصف الخمسينيات، وتحدث عن من ترأسها آنذاك وكذلك أساتذتها الليبيين والعرب، وذكرياته فيها. ومن ثم يعرج إلى موضوع المسرح الليبي من رواده يقول "وإذا أُرخ للمسرح في بلادنا فلابد أن يذكر محمد شرف الدين، وزميله مصطفى الأمير. كان الأستاذ الأمير مؤلفاً يكتب التمثيلية الإذاعية كما يكتب المسرحية الشعبية"(8)، هكذا ينتقل الكاتب من حدث لحدث في تناغم زمني داخل السيرة عن المبنى المسرحي بمدينة طرابلس الذي أُطلق عليه اسم الحمراء نسبة إلى قصر الحمراء في غرناطة وكذلك دونّ أهم نخب الفنانين والمطربين العرب الذي وقفوا على خشبته، مثل (أم كلثوم، فريد الأطرش، عبد الحليم وغيرهم..).

(هذا ما حدث) نصٌّ مكتظٌ بالأحداث والقصص والروايات والرسائل والأفكار والمؤلفات، فالكاتب في كل مرحلة من مراحل السرد يفتش في ثنايا الذاكرة ويقحم شخصية واقعية لها أثرها أو بالأحرى علامة بارزة في الوسط الثقافي الليبي أو العربي، ومن ثم تبدأ عملية استرجاع الحدث عن جذور علاقته بها وأين التقيا أول مرة كعلاقته بصديقه صالح الصيد الشريف يقول" تعرفتُ على صالح الصيد الشريف (يلقب أيضاً ب الضاوي) أوائل صيف 1954 ذات ليلة في مربوعة صديقي محمد البري في مصراته. كان صالح قد جاء مراقباً لامتحان الشهادة الابتدائية في تاورغاء وتعرف على البري بطريقة أو بأخرى"(9) ومن خلاله نعرف أن صالح الصيد كان صاحب أول مكتبة في مدينة

مصراته، وكذلك شخصية تبحث عن حقوق المهمشين والمطحونين من الحكومة والاستعمار على حد سواء في البلاد آنذاك، وكان منصهراً في القومية العربية التي هي نفسها أيديولوجية الكاتب، ولا ينسى الكاتب قصة المكتبة التي تطورت وأصبحت دار النشر الأولى باسم مكتبة الفكر التي يقول الكاتب عنها: "وتطور عمل صالح من مجرد بائع كتب إلى ناشر، وكان أول عمل نشرته داره وأول عمل ينشر لي هو كتابي (النزعة العقلية في تفكير المعتزلة)، بعد لقائنا الأول باثني عشر عاماً فقط ليس غير!(10) وهذا الكتاب الأول الذي نُشر للدكتور علي فهمي خشيم سنة 1966 هو عبارة عن رسالة الماجستير التي أعدها. وبعد ذلك نشرت له نفس الدار مسرحية (حسناء قورينا) سنة1967 ومن ثم كتاب (الجبائيان.. أبو علي وأبو هاشم) سنة 1968، وكذلك كتاب (نصوص ليبية) سنة 1975م. وبهذا بذاك نتعرف عن ملامح الثقافة التي أرخ لها الدكتور خشيم في سيرته (هذا ما حدث) والتي أصبحت نقشاً على جدار الثقافة الليبية.

علي فهمي خشيم ناقداً:

في (هذا ما حدث) لا يكتفي الكاتب فيه بسرد سيرة من عاصرهم من أدباء فقط، إنما يصل إلى الغوص في أدبهم مسجلاً انطباعه عنه، وإماطة اللثام عما تكنه نصوصهم، فجاءت بداية النقد في السيرة حول قصة (نفوس حائرة) حيث يقول الدكتور خشيم عن صاحبها عبدالقادر أبو هروس أنه كان يحفر في الممنوع، والمسكوت عنه حول حرية المرأة وحرمانها من التعليم والخروج آنذاك. أما في حديثه عن محمد فريد سيالة فقد ذهب لأبعد من ذلك لأنه كان يكتب عن حرية المرأة من ناحية ارتداء الحجاب متمرداً على السلطة الاجتماعية والدينية الضاربة بجذورها في المجتمع الليبي، فيقول كاتب السيرة عن محمد فريد سيالة "قد جرَّد قلمه واندفع في معركة ضارية يكتبُ عن الحجاب والسفور ويطالب بنزع الحجاب، مورداً حججه الاجتماعية والدينية في مقالات ملتهبة"(11).

هكذا يقارب الدكتور علي فهمي خشيم بين النص الصحفي والقصة القصيرة من منظور نقد سوسيولوجي، ومن الواضح أن قضية المرأة كانت قريبة الالتصاق به حينذاك، فيقول مقارناً بين خطاب أبو هروس وسيالة" فإن أبو هروس آثر معالجة القضية الشائكة بأسلوب آخر، هو أسلوب القصة القصيرة، ينتزع أحداثها من الواقع معبراً عن شوق المرأة الليبية للتحرر والانطلاق. وكان خيالي يلتهب وأنا أقرأ عن هاته الطرابلسيات اللاتي يرسمهن قلمه وأقارن بينهن وبين المصراتيات اللائي

أعرفهن عز المعرفة! وكان خيالي يزداد التهاباً حين أطالع ما كان ينشره الكاتب"(12)، ومما نلاحظه في خطاب الكاتب النقدي أنه هو ذاته من أنصار حرية المرأة آنذاك ومدافعاً عن حقها في التعليم.

أما المقاربة الثانية في النقد الأدبي بين ما كان ينشره كامل حسن المقهور، وعبد الله القويري من خلال طرح الشخوص المضطهدة داخل المجتمع الليبي وفق منظور الواقعية، فكان رأي الكاتب أن كامل المقهور كان قريباً من المتلقي في نقش ملامح الشخصية الليبية نتيجة عملية انعكاس البيئة أو التأثير والتأثر، ولهذا يرى أن"لكامل المقهور قدرة عجيبة على وضع القارئ في الجو، لم يكن يملكها عبد الله القويري، رغم أن الإثنين من مدرسة واحدة. وذلك لأن الأول ابن الظهرة عاش تفاصيل حياتها بما فيها من شخصيات رصدها في ذاكرته وصورها بقلمه وعبر عنها بحيوية واقعية مثيرة، في حين عاش الثاني في مصر صعيدها وقاهرتها ولم يدرك أغوار الشخصية الليبية"(13)، وهكذا نفهم من خلال منظوره أن الكاتب هو ابن طبقته، ووحده من يستطيع سبر أغوارها لهذا يحكم على كامل المقهور أنه وفق في وصف الشخصية الليبية المسحوقة وهذا ليس بالغريب عن رجل القانون المحامي في المحكمة والمحامي عن الأدب لأنه باختصار كان صوت المهمشين.

وفي اتجاه النقد أيضاً يرصد الدكتور علي فهمي خشيم في سيرته (هذا ما حدث) شخصية الأديب الصادق النيهوم متحدثاً عن شدة أعجابه بكتاباته المتفردة والمتمردة في عصره، عندما وصف اغترابه وعزلته وفلسفته قائلاً عنه: "رغم اندماج طلاب السنوات المختلفة (...) لم يلاحظ أحد أن الصادق حضر حفلة أو شارك في اجتماع، أو رآه واقفاً يتحدث إلى زميل. كان متوحداً، له عالمه الخاص الموزع بين الحاج الزروق في سوق الحشيش وأرنست همنغواي في هافانا وقد يخالط أحيانا كافكا أو ذات الهمة ومحمد البطال ويتجاذب أطراف الحديث مع البرتو مورافيا ويعرج إلى هيجل ويستمع إلى المتبني (...) سواء بسواء عالمه كان مغايراً لعالمنا.. كان في دنيا أخرى غير دنيانا. لم نكن نحاول الاقتراب منه.. فهو في سنة الثانية ونحن في السنة الأولى ولانزال!"(14). وحسب وجهة نظري كقاريء ومتلقي تابع هذا الوصف والتشخيص فإني أعتبره إنصافاً دقيقاً في حق العبقري الصادق النيهوم يسجله الدكتور خشيم بكل تلقائية في سيرته الذاتية، وهو اعتراف منه لزميل له بالنباهة والذكاء والتميز بسعة الاطلاع والقراءة لكتاب عالميين، ولاشك فإن هذا، في جانب آخر، يقدم لنا شخصية الدكتور

خشيم المتواضعة والوفية للزملاء والمبتهجة بما حققوه من مطالعات ربما تتجاوز مستواه.

وهكذا كان خشيم طوال السرد بين الفينة والأخرى تستحضر ذاكرته الصادق النيهوم الذي أصبح صديقه فيما بعد وزميله في القاهرة، وكذلك متابعاً جيداً لمقالاته التي كانت تنشر في صحيفة (الحقيقة) فكتب عنها مقالاً بعنوان (الظاهرة النيهومية) أصبح من أهم المقالات التي توقعت المستقبل الباهر للأديب الصادق النيهوم. كما تطرق السارد عن ردة فعل قراء الصحيفة عن تلك الظاهرة التي تناولها في مقالته فيقول: "قد رأى البعض أن تعبير الظاهرة أكبر مما يجب، ورأى آخرون أنه تعبير صادق عن الصادق"(15)، وتعتبر هذه المقالة النقدية هي الأولى التي تُكتب حول أدب النيهوم وأصبحت لاحقاً مراجعاً لكل دارس لفكر النيهوم الأدبي.

تعالق أجناس السيرة:

السيرة الذاتية عند الدكتور علي فهمي خشيم لا تسير وفق خط زمني مستقيم في استذكار الماضي بالترتيب لأنها "معرضة على الدوام للانحراف بسبب ما تمليه ظروف الكاتب في زمن الكتابة"(16) لهذا نجد ضروب السيرة تتداخل وكي لا ننسى أن الكاتب يذكرنا بأن لديه تجربة مبكرة في كتابة الذات المتجسدة في يوميات أوروبية التي نُشرت في كتابه (الحركة والسكون).

أما التمازج بين أنواع السيرة فقد كانت البداية بما يسمى بالاعترافات لأن؛ أحياناً كثيرة يميل كتّاب السيرة الذاتية إلى "الانزياح نحو الإبداعي، فينقلب بين اللحظة والأخرى جنس السيرة الذاتية من جنسه الخطير، باعتباره جنساً اعترافياً "(17) لهذا نلاحظ تسلل جنس الاعتراف داخل السيرة في بعض المواقف، فعلى سبيل المثال قصته مع الصحفي سهيل إدريس صاحب صحيفة الآداب اللبنانية التي كتب حولها الدكتور خشيم مقالاً كان له صدىً كبيرٌ في الأوساط الأدبية وتسبب في تراجع نسبة مصداقيتها بين القراء وتلك الواقعة أوردها بقوله: "وجدتُ الأستاذ التليسي جالساً في انتظاري ومعه.. سهيل إدريس!(...)

أشار الدكتور سهيل إلى مقالتي عنه قال: ظلمتني يا أخي، قلتُ له: ألم تكن أنت ظالمٌ لجيل بأكمله بمجلتك؟ وتدخل الأستاذ التليسي مصالحاً بيننا.. وجاء الطعام"(18)، وفي زمن كتابة السيرة بعد سنوات طوال من الحادثة يعترف الكاتب فيقول:" والآن أشعرُ فعلاً بأنني كنتُ قاسياً أكثر مما يجب وأحسُّ أنني ظلمتُ الرجل قليلاً، لم تكن الآداب بتلك الدرجة من السوء الذي صوره غضبي وانفعالي

فقد أسهمت في الحركة الأدبية بشكل ملحوظ وأبرزت أقلاماً جديدة فتحت لها صفحاتها"(19).

أما التعالق الثاني بين السيرة وجنس من أجناسها وهو المذكرات، فإننا عندما نتمعن في نصوص السيرة نكتشف أنه لا يوجد برزخٌ شاسعٌ بينها إذ أن كُتّاب المذكرات إقحاماً تتضمن نصوصهم ببعض مقومات السيرة الذاتية، كما أن كتاب السيرة الذاتية كثيراً ما يسترجعون الأحداث العامة التي جرت في فترة من فترات حيواتهم ويميلون إلى تسجيلها فتمتزج نصوصهم بذلك ببعض خصائص المذكرات، وقد لاحظنا هنا أن الكاتب الدكتور علي فهمي خشيم في أثناء كتابة سيرته، يسرد كذلك مذاكراته التي كُتبت في شهري أبريل ومايو سنة 1957م مجموعةً في عشرة مذكرات موثقة بالتاريخ، كانت موجزة بعيدة عن الإطناب، وتختزل القضايا السياسية والاجتماعية آنذاك، وكذلك قضية الأمية المنتشرة في البلاد. وفي نافلة المذكرات التي يذيلها الكاتب الدكتور خشيم برسالة للقارئ ترجع لزمن الكتابة في نهاية تسعينيات القرن المنصرم تقول: "يا مَنْ تقرأُ مذكراتي الآن.. إنْ كانت لك أختٌ أو بنتٌ فحررها، علمّها، فإنَّ مجتمعنا قاسٍ جامد خالٍ من ذلك الشعور النبيل الذي يحدث بين الجنسين فيطفئ النار ويؤدي إلى جليل الأعمال.. الحب"(20) بهذا نجد الكاتب ينبه قرّاءه بأن من أهم القضايا الاجتماعية التي تناولتها مذكراته في نهاية الخمسينيات لا تزال متمددة حتى نهاية قرن وبداية قرن جديد، مركزاً على قضية تعليم المرأة وحريتها ونبذ التمييز الجنسي الذي يشل فاعليتها وجعلها مخلوق من الدرجة الثانية .

ظاهرة التلوين الأجناسي :

يزدهر النص السردي اليوم على ضفاف فورة الأجناس كظاهرة أدبية تتوحد وتلتقي فيها بكل أطيافها، فكانت البداية مع الرواية التي كان لها السبق في استقطاب جميع الاجناس الأدبية في حقلها، ومن ثم تأتي في المرتبة الثانية السيرة الذاتية قريبة الالتصاق بالرواية لتذهب في اتجاه استقطاب الرواية والشعر والمسرح وحتى الغناء الشعبي، وهذا ما وقفنا عليه في (هذا ما حدث) سيرة الدكتور علي فهمي خشيم المكتظة بظاهرة التعالق الاجناسي.

فالسيرة الذاتية "باعتبارها أقرب الأجناس الأدبية إلى الرواية، كانت واحدة من هذه الأجناس التي تلبست بلبوس الرواية حتى تفرّع من جنسها نوع سمّاه جورج ماي ب السيرة الذاتية الروائية"(21)، ولهذا نجد بداية التعالق في نص (هذا ما حدث) بالرواية، ومع أن الأحداث والشخوص والأمكنة واقعية إلاّ أنَّ الكاتب يدخلك في

جو الرواية وأنت تتابع السرد، لكن ثمة فاصل بينهما وهو هيمنة الكاتب والسارد والراوي لأنهم الأنا الواحدة.

ومن آليات سرد الرواية استحضار المنولوج مثلما يورد السارد: "وتسألتُ بيني وبين نفسي ما الذي يجعل زنقة شلاكة عذباً على اللسان، حلواً عند الاستشهاد في مواطن تقليل الشأن؟ لماذا لا تذكر زنقة زعطوط مثلاً أو زنقة عين الدوارة أو حتى زنقة حوا علجية؟! أهو اسمها يا ترى"(22)، الكاتب ينقل حوارات ذاته عن مدى عمق الزنقة التي سكنها وسكنته، وأحيانا كثيرة ينقل ديالوج أو حوارات واقعية حدثت بينه وبين أشخاص أخرين من كتّاب وصحافيين وزملاء الدراسة. أما عن الشخصيات المذكورة بالنص فقد هيمنت عليها شخصيات السيرة الذاتية الواقعية، فجاء الوصف واقعياً نتيجةً لأبعادها الحقيقية نفسها والتي نعرفها عن شخصيات النخبة الثقافية آنذاك.

أمكنة السيرة :

المكان في النص السردي له دور كبير في بناء وتشيّيد النصّ، وفي (هذا ما حدث) ظل المكان مألوفاً لكاتب السيرة وقارئه معاً لأنه داخل ليبيا متنقلاً بين مدنها وإن تفاوت ذاك التنقل بين مكان وآخر.

روحُ المكان:

المكان المألوف والقابع في دهاليز ذاكرة ووجدان الكاتب الدكتور علي فهمي خشيم جعله قريباً من روح المتلقي، واستطاع أن يرسم زنقة شلاكة بريشة رسام متمكن، وروائي بارع الوصف "قد يسألُ القارئ: مالك أنتَ يا أخي ومال زنقة شلاكة؟ ما علاقتك بزنقة عرضها شبر وطولها شبران في قلب المدينة القديمة بطرابلس العتيقة؟"(23)، وفي (هذا ما حدث) ظلت زنقة شلاكة وما حولها هي عتبة المكان في الجزء الأول للنص وقد أرد الكاتب أن يخلده لأن هناك جذوراً عميقةً تربطه به، باعتباره المكان الأول الذي يزوره خارج مسقط رأسه مصراته، وظل هذا المكان لا يفارقه طوال السرد مصمماً دائماً على سبر دهاليزه وذلك من خلال الوصف العام والمفصل الدقيق أحياناً لمعالم المدينة القديمة والزنقة تحديداً، ينقله لنا بروح عاشق يعتبرها الملاذ والاحتواء والحب، لأنها لهذه الزنقة تنتمي تؤام روحه وحبيبته التي أصبحت لاحقاً أماً لأولاده، وهو لا يتوقف عن وصف المدينة الملهمة فحسب إنما رصد صوت الحياة فيها ساعياً لإبراز تجلي الهوية الليبية وسطها من عادات وتقاليد متمثلة في الزي الليبي الأصيل وكذلك المناسبات الاجتماعية والاحتفالات الدينية وطقوسها الشعبية.

• • •

أماكن الغربة:

رصد الكاتب الكثير من الأماكن أثناء سرد سيرته الذاتية من بنغازي إلى تونس والقاهرة وكذلك الدول الأوربية، ولكن ثمة أمكنة عاش فيها الغربة والاغتراب معاً، وعلى سبيل المثال مدينة درهام البريطانية التي يصفها الكاتب بقوله: "البرد، والملل، والوحدة، والشوق وأنا قابعٌ في غرفتي أرقبُ قطرات المطر تخبط زجاج النافذة وأتاملُ جذوة النار الغازية في المدفأة الصغيرة (...) ماذا أفعلُ هنا بحق الله، محروماً من بيت دافئ يفيض حناناً(24) هكذا نستطيع نفهم ونقف على مدى ارتباط العلاقة بين المكان الواقعي والكاتب الواقعي في أدب السيرة وذلك من خلال المكان المألوف والمكان الغريب.

أما التلوين الأجناسي الثاني فقد تمثل في أن الكاتب أستطاع أن يجعل من هذه الظاهرة كمصاهرة بين الفنون، وكانت البداية مع الشعر وتمثل ذلك في الصداقة التي تربطه بالشاعر علي الرقيعي والتذكير بأبيات شعره داخل السيرة عندما تحدث على ثيمة الفقر المسيطرة على خطابه والتي يعاني منها الشاعر والشعب الليبي كافة. ومن ثم يُدخل الكاتب قصيدته البكر ضمن سرد السيرة التي كتبها أول مرة في نهاية الخمسينيات ولم تنشر آنذاك، وليس هذا فحسب فالأبيات الشعرية أخذت حيزاً كبيراً داخل المتن وهى كتعبير عن مراحل حياته ومواقفه مع أصدقائه الشعراء. ولقد ظل التعالق الأجناسي يتمدد مع امتداد الذاكرة في النص حيث نجد أيضاً نصوصاً من الشعر والغناء الشعبي حين يأتي الكاتب بمقطعٍ منها :

"أي والله حوال يبكّن مصراته معاد تسكّن"(25).

ويأتي الكاتب بهذا المقطع الغنائي ليوضح معاناة الليبيين إبان الاستعمار الإيطالي في الهجرة بين المدن وكذلك الهجرة خارج أراضي الوطن.

وفي نافلة ظاهرة التلوين الأجناسي نقفُ على حضور المسرح داخل السيرة لأنه أخذ مكاناً سردياً حين أتى بالمسرحيات التي مُثلت في مسرح المدرسة الابتدائية والأخرى على مسرح الحمراء بطرابلس، وبهذا وبذاك نصل إلى أن الكاتب تمكن من جعل النص السيرذاتي مهرجاناً تتواجد فيه الأجناس السردية كافةً.

عتبة الخروج .

كتاب (هذا ما حدث) للأديب الراحل الدكتور علي فهمي خشيم يمثل سيرةً ذاتية تؤرخ إلى مهد الثقافة الليبية الحديثة حتى معاصرها، مركزاً على جزئياتها الصغيرة،وتفاصليها الدقيقة، خطوة بخطوة، تذكر الكاتب خلالها ووثق أهم

مراحلها، وبالتالي فإن (هذا ما حدث) يعتبرُ مصدراً ثقافياً عند الرجوع إلى كل ما يخص جوانب الأدب الليبي، أما عن زمنه فهو لا يسير وفق نظام الكون، وإنما يسير وفق أسلوب الأدباء الروائيين في تناغم وانسجام بين حالتي الاستباق والاسترجاع، وإن ظل الرواي ينبه قارئه بأن بزمن الكتابة كان بين 1999 إلى 2001م.

وأخيراً فإن كتاب السيرة الذاتية (هذا ما حدث) للدكتور علي فهمي خشيم رحمه الله مؤلف دسم يغصُ بنصوص نثرية وشعريه مسرحية وغنائية صحفية وإذاعية، فلسفية وتاريخية، مقالات نقدية وكتب وشخصيات عديدة وأمكنة مختلفة استطاع أن يجعلها حديقة غناء متنوعة تعبق بالذكريات الممتعة في كل صفحاتها.

الهوامش:

(*) ماجستير في اللغة العربية والنقد والأدب العربي، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، طرابلس - ليبيا

1 محمد التونجي المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1999، ص 536.
2 فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، الناشر المركز الثقافي العربي، ط1 1994، ص22.
3 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث ص56.
4 هذا ما حدث، ص 180، 181.
5 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث، ص81.
6 المصدر نفسه، ص213.
7 المصدر نفسه، ص214.
8 المصدر نفسه ص112.
9 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث، 123.
10 المصدر نفسه ص 124.
11 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث، ص56.
12 المصدر نفسه ص56.
13 المصدر نفسه ص74.
14 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث ص94.
15 المصدر نفسه، ص216
16 مال الرياحي، حركة السرد الروائي ومناخاته، ص22
17 كمال الرياحي، حركة السرد الروائي ومناخاته، ص24.
18 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث ص236 .
19 المصدر السابق، ص236.

20 علي فهمي خشيم، ص151152.
21 كمال الرياحي، حرة السرد الروائي ومناخاته في استراتيجيات التشكيل، دار مجدولاي للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط2005،1م، ص17.
22 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث، ص1.
23 المصدر نفسه، ص12
24 علي فهمي خشيم، هذا ما حدث، ص270
25 المصدر نفسه، ص12

النجمُ الذي أفل

محبةٌ واحترامٌ ودعمٌ وتشجيعٌ أبرزُ العناوين(*)

يونس شعبان الفنادي

الحياةُ أُضمومةُ حُبٍّ وتعارفٍ وصُدَفٍ وصَداقاتٍ نبيلةٍ نتداولها وتُهديها لنا الأيام غالباً دون سابق تمهيد أو تلميح، مثل عديد الأقدار والأحداث والمواقف، ولعل من بين هذه المصادفات الجميلة التي وهبتني صداقة ودودة مع شخصية اتسمت بالمثابرة والعشق للوطن فصاغته كتاباتٍ صحفيةً، ونشاطاتٍ فنيةً مسرحيةً ورياضيةً، ودراساتٍ أدبيةً واهتمامات تسجل سبق توطينها الأدب الليبي في التعليم الجامعي ألا وهي شخصية الصديق والأستاذ الدكتور الراحل الصيد أبوديب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

يرى البعض أن أهمية العلاقات والصداقات ليست مرتبطةً بطول مدتها الزمنية أو ظروفها أو مناسباتها ولكن بما تمثله لكل طرف من محطة فارقة في حياته، وإني لا أدّعي معرفةً قديمة وطويلة بالراحل الدكتور الصيد أبوديب، ولكن ما أسطره بهذه الكلمات التوثيقية حول علاقتي به والتي عنونتها (محبةٌ واحترامٌ ودعمٌ وتشجيعٌ) ليست من باب الإطراء الزائف، أو المجاملة المتملقة، أو التبجيل غير المستحق لرجل غادرنا إلى مسكنه الأبدي الأخير ولا نملك له إلا الدعاء بالرحمة والقبول والمغفرة، بل هي توثيق وتسجيل لمواقف شخصية واقعية وأحداث معايشة أحسبها قليلاً من الوفاء، والتقدير، وكلماتِ حقٍ، في رجل قدَّمَ لي شخصياً كلّ العون والمساعدة والدعم والتشجيع في المجال الأدبي، وبالتالي فإنَّ من واجبي ولِزَاماً عليّ أنْ أكون باراً به، ومُحسِناً إليه، ووفياً لرحلة صداقتي المتميزة معه، والتي تأسست على المحبة والجدال والحوار والنقاش والاحترام المتبادل، بلا غايات أو مآرب نفعية مادي.

كما أنها في جانب آخر، مثل العديد من العلاقات بين أناس آخرين، لم تخلو من الاختلاف في الرأي، والخلافات الشخصية البسيطة أثناء العمل التي سرعان ما كانت تزول في أول لقاء أو مكالمة هاتفية بيننا أسمع فيها صوته وضحكاته المجلجلة.

لقد تعاطى الأستاذ الراحل الدكتور الصيد أبوديب مجال الكتابة والأدب منذ بواكير دراسته الجامعية عندما أصدر أول كتبه قبل تخرجه من كلية الآداب بجامعة بنغازي سنة 1968م حول الشاعر الراحل (أحمد قنابة)، كما تقلَّد مهام رياضية بنادي المدينة بباب ابحر مسقط رأسه، وشارك في العديد من الأعمال المسرحية الفنية، وكلُّ هذا يؤكد بأن فقيدنا كان شعلةً من الحماس، وغزارةً في المواهبِ والهوايات، وفيوضاً من العطاءِ في العديد من الفنون، وهذا مؤشر يبرز همته، ونباهته، وروح التعاون الساكنة فيه، التي نالت محبةَ وقبولَ الآخرين له، وذلك لما يحمله من خلق نبيل، وفكر مستنير منفتح على الآخر يبرهن عليه اتساع مشاركاته في الأعمال الجماعية المختلفة .

ولكلِّ ذلك فإنني أعتبر نفسي محظوظاً حين تشرفتُ بمعرفة وصداقة الأستاذ القدير الصيد أبوديب التي بدأت أواخر تسعينيات القرن الماضي حين كنتُ أعمل طبآعاً لدى دار الطالب للطباعة وخدمات التصوير بقلب حي الظهرة والكائنة بوسط شارعها الرئيسي "شارع خالد بن الوليد" لصاحبها صديقي وعرفي الحاج "أبوبكر حمودة بن عمر" حيث كنا نتعامل مع كل شيء يتعلق بالحرف والورق بداية من طباعة الطلبات الشخصية وحتى الكتب والدراسات والأطروحات الجامعية والمجلات والتقاويم والإعلانات وغيرها. وفي تلك الفترة كان الدكتور الصيد أبوديب مديراً لتحرير مجلة "الفصول الأربعة" الصادرة عن رابطة الأدباء والكتاب، ويبحث عن جهة فنية تتولى طباعة المجلة الأدبية المتخصصة، فحضر ذات مساء إلى مقر الدار متأبطاً حافظةً بها عدداً من مخطوطات الكتابات والمقالات والمسودات، راغباً المساعدة في طباعتها وإخراجها وإعدادها للإصدار والنشر. كنتُ حينها مشغولاً بطباعة ديوان الشاعر الراحل الدكتور عبدالمولى البغدادي "على جناح نورس"، واستكمال بعض التعديلات التي أجريها على مجاميع الأديب الكاتب عبدالله مليطان (وقتها لم يتحصل على درجة الدكتوراة) إضافة إلى غيرها من الأعمال الأخرى، ولكن تلبية لتعليمات عرفي وصاحب الدار بعد أن اتفق مع الدكتور الصيد أبوديب على التكاليف المالية ومواعيد التجهيز، استلمتُ الحافظة وباشرتُ طباعة محتوياتها من مقالات وقصص وقصائد شعرية

ودراسات بحثية على الحاسب الآلي وإعدادها وترتيبها لعملية الإخراج التي كانت تتم بحضور الدكتور الصيد أبوديب شخصياً في جلسة لا يخلو منها العلم والطُرُف والتعليقات والابتسام والحوار الممتع الشيق بيننا.

لابد لي من الاعتراف بأنني كنتُ مستمتعاً جداً بذاك العمل بصرف النظر عن مردوده المالي، لأنه أولاً كان يتيح لي مطالعة المجلة قبل صدورها، وثانياً فتح لي أبواب حوارات مع أديب وأستاذ عريق، وصحفي قدير، ومدير تحريرها حول بعض مواضيعها وتقنيات العمل الصحفي ومهاراته، وفي المقابل أزعم أن الدكتور الصيد أبوديب كان كذلك سعيداً بدقة العمل وسلامته بعد أن وجده خالياً من الأخطاء النحوية ومرتباً ومنظماً ومنسقاً بشكل فني أعجب به، فصار يوجه لي طلبة الدراسات العليا لطباعة أطروحاتهم لدي ومن بينهم على سبيل المثال الدكتورة محبوبة الرياني والدكتورة بلسم الشيباني والدكتور نوري عبيريد اللذين صاروا أساتذة متخصصين في الأدب العربي بقسم اللغة العربية وكسبتهم أصدقاء وأحبة ودودين في رصيد علاقاتي ومعارفي.

كان العدد رقم 82 الصادر في يناير 1998م هو بداية تعاوني الأول مع الدكتور الراحل الصيد أبوديب في طباعة مجلة (الفصول الأربعة) بدار الطالب في الظهرة، والتي تواصلت حتى سفري لبريطانيا في أبريل 2002م لاستكمال دراستي العليا في مجال تخصصي العلمي وهو الأرصاد الجوية. وطوال تلك الفترة كان حضوره إلى مقر الدار لمتابعة جاهزية طباعة مواضيع كل عدد يمنحني فرصة لمزيد التعرف عليه من خلال بعض الحوارات والنقود لمنشورات المجلة أو القضايا الأدبية الأخرى، وقد صارت إطلالته الباسمة وخطواته الهادئة تبعث الكثير من البهجة في فضاء العمل حتى مع الزملاء بالدار، خاصة حين يتصادف وجوده مع الصديقين العزيزين الدكتور عبدالمولى البغدادي رحمه الله والدكتور سعدون السويح أثناء متابعتهما طباعة ديوان "على جناح نورس"، مما وطّن انسجاماً وتوافقاً روحانياً وفكرياً بيننا، تخلق وداً وتفاعل سريعاً ليصنع كيمياء قبول واستجابة مشتركة في جوانب فكرية عديدة.

وأثناء طباعة مجلة الفصول الأربعة كان الدكتور الصيد بوديب حريصاً جداً على البدء أولاً بطباعة مقدمة العدد التي كان يكتبها رئيس التحرير المشرف العام الدكتور الراحل علي فهمي خشيم طيب الله ثراه وقبل غيرها من المواضيع، حيث يأتي الدكتور الصيد لاستلامها بوقت مبكر

ومتسع لعرضها عليه ومراجعتها. وقد أخبرني في أحد اللقاءات، إثر عدة أعداد قمتُ بتجهيزها من المجلة بأن رئيس التحرير الدكتور علي فهمي خشيم بعد أن تابع مهارة ودقة الطباعة للمجلة، يرغب في الالتقاء بي والتفاهم على الطباعة وغيرها من الأمور، وقد كنتُ سعيداً جداً بهذا، لأنه يمنحني شرف التعرف أكثر إلى قامة أدبية وفكرية أعتز بها كثيراً. وفعلاً رتّب الدكتور الصيد أبوديب موعداً في إحدى الأمسيات الصيفية لمقابلة الدكتور علي فهمي خشيم في مقر رابطة الأدباء والكتاب بطرابلس، والذي كنتُ قد التقيته قبلها مرة أو مرتين بمكتبه رفقة صديقي الدكتور سعدون السويح أثناء زياراته لطرابلس خلال الإجازة الدراسية في الجامعة المالطية التي كان منتدباً للتدريس بها .

ذهبتُ في الموعد المحدد رفقة الدكتور الصيد أبوديب في سيارته "المرسيدس" التي كانت عرضة للكثير من تعليقاتي، للقاء الدكتور علي خشيم الذي استقبلني بتواضع العلماء الحقيقيين، ورحب بي بكل حرارة، وأثنى على مستوى الطباعة والمراجعة اللغوية، وأبدى ارتياحه التام عن ذلك، فشكرته باسمي وباسم دار الطالب وصاحبها عرفي الحاج "ابوبكر حموده" ودار بيننا حوار متنوع حول العلم والأدب والثقافة ومهارات الطباعة التي ظل يسأل عن أدق تفاصيلها باعتباره صحفياً عريقاً، ورساماً ومخرجاً مارس مهنة الصحافة منذ بواكير نبوغه وولعه وشغفه بها. وخلال الحوار الشيق الممتع معه حول الأدب والشعر عرضتُ عليه نصي (تمهلْ أيها العاشقُ دوماً) المُهدى للدكتور سعدون السويح فسَّرَ به كثيراً، متوقفاً ومعلقاً بالتأكيد على بعض مفرداته اللغوية، وعارضاً بكل سرور نشره بالمجلة، إلاّ أني كنتُ آنذاك قد أرسلته لصحيفة العرب اللندنية للنشر بها، كما ذكَّرته بدفاعه المستميت عن رواية (متى يفيض الوادي) للأديب صالح السنوسي وظهوره على شاشة المرئية وهو يخاطب الحضور أمامه وجمهور المشاهدين بشيء من الثورة والغضب ويناشدهم (أستحلفكم بالله أن تقرأوها) فسألني الدكتور خشيم.. أي والله ورب الكعبة.. تصوروا أن العالم الجليل الدكتور خشيم يسألني أنا!! ويقول لي (قل لي يا يونس.. كم عمرك في ذاك الوقت؟)، ثم تجرأتُ وبادلت سؤاله بسؤال حين قلتُ له: لماذا لا تكتب سيرتك الذاتية يا دكتور؟ وفعلاً كأنه استجاب لرغبتي وسؤالي الاستفزازي حين أصدرها تحت عنوان (هذا ما حدث) سنة 2004م ووصلتني نسختي الخاصة في بريطانيا حيث كنتُ أواصل دراستي.

بعد إنتهاء ذاك اللقاء التاريخي بالنسبة لي ودَّعتُ الدكتور علي فهمي خشيم رحمه

الله وركبتُ السيارة "المرسيدس" مزهواً مع رفيقي الدكتور الصيد أبوديب، وشكرته على صنيعه الطيب وإتاحته الفرصة للالتقاء بالعلامة الكبير، وتقديمي بكل الاشادة والثناء، استمر بعدها التواصل بيني وبين الدكتور الصيد أبوديب والمناقشات والحوارات وحتى المشاكسات اللذيذة حول العديد من المواضيع طوال طباعة أعداد مجلة (الفصول الأربعة)، ومن بينها نقاشنا عمّا كتبه الدكتور العراقي عبدالإله الصائغ أستاذ الأدب العربي بكلية التربية بجامعة طرابلس سابقاً، عن الشاعر العربي الكبير نزار قباني، وما مدى صدقية ما أورده عنه في تعقيبه المعنون (نزار قباني وعبدالمولى البغدادي... والقصيدةُ وأنا) على قصيدة (بكائياتٌ أمام مقام العشق النزاري) للشاعر الراحل عبدالمولى البغدادي والمنشور مع القصيدة في كتاب قمتُ بطباعته سنة 1999م وأصدرته مكتبة طرابلس العلمية العالمية حين كان مديرها ضو تيبار رحمه الله.

وأيضاً عند طباعة العدد رقم 86 من مجلة الفصول الأربعة الصادر في شهر يناير 1999م حدث نوع من التحدي بيني وبين الدكتور الصيد أبوديب عند نشر قصة (موتُ سعد البكوش) للأديب الراحل كامل المقهور والتي كتبها في العاصمة الايطالية روما سنة 1998م وأهداها للصحفي الكبير الأستاذ محمود البوسيفي، فقد كنتُ أرغب في حذف عبارتين وردتا وسط القصة رأيتهما خادشتين للحياء، وربما يسببان مشكلة للمجلة مع إدارة الرقابة على المطبوعات تؤدي بالتالي إلى قرار منع توزيع عددها، مثلما سببته القصة نفسها عندما ضمنها الدكتور عبدالإله الصائغ كتابه (إشكالية القصة وآليات الرواية) الذي تناول فيه دراسة أعمال القاص كامل المقهور الصادر عن دار النخلة للنشر سنة 1999 حيث منعت الرقابة على المطبوعات الكتاب من النشر والتداول بعد طباعته، بسبب العبارتين الواردتين بالقصة بالقصة على لسان "الشيخ" أحد شخصياتها والتي تقول الأولى وهو ينادي "موسى" زوج "مغلية" حرفياً (يا تيس.. يا بو القرون)، أما العبارة الثانية فكانت كلماته التي يتغنى بها لزوجته (لُطفية) حين يخاطبها متدللاً عليها (حُولِي حِرِيرْ وَانْتِي زِقْطَاطَا... بَزَازِيلكْ زَيْ البَطَاطَا) وتقبّل أستاذي وصديقي الدكتور الصيد أبوديب ملاحظاتي ومخاوفي بكل استحسان إلاّ أنه قرر الإبقاء على العبارة الأولى وحذف الثانية، متحملاً بكل شجاعة مسؤولية ذلك، وفعلاً استجبتُ لرغبته وأبقيتُ العبارة التي طلبها كما هي بالقصة، وصدر العدد وتم تداوله بين القراء دون أية مشاكل، وجائني يوم صدوره ضاحكاً ومقهقهاً فرحاً.. ومنتصراً. وقد

نُشرت القصةُ لاحقاً كاملة سنة 2000م بالمجموعة القصصية للأديب الراحل كامل المقهور (يا سمي صبي المي) وتشمل ستة قصص هي (محبوبة، الرقية والرجال الخمسة، صخرة المصير، القبر، يا سمي صبي المي، الزمزامات) إضافة إلى رائعته (موت سعد البكوش).

ولمَّا كنتُ أحظى خلال أحاديثنا ولقاءاتنا الدورية بدروس وتوجيهات مجانية من الدكتور الصيد أبوديب في مجال الأدب والشعر باعتباره قامة من قاماته وأحد أساتذته بالجامعات الليبية، فقد استثمرتُ كل تلك اللقاءات والفرص لتطوير قدراتي الأدبية خاصة فيما يتعلق بالمناهج والتحليلات النقدية، وأدواتي الفنية في الكتابة والنشر بالمطبوعات الليبية والعربية، وانتهزتُ كل سانحة لأطلعه على كتاباتي المختلفة حيث نتناقش حولها ونرصد الخلل الذي قد يظهر بها، والإشادة بجمالياتها أو تحسينها، ومن ثم يوجهني ويخبرني عن مدى صلاحيتها للنشر من عدمه سواء بمجلة الفصول الأربعة أو يقترح إرسالها إلى مطبوعة أدبية أو صحفية أخرى .

وفي العدد رقم 84 من مجلة الفصول الأربعة الصادر في شهر يوليو 1998م نشر لي الدكتور الصيد أبوديب ولأول مرة بمجلة (الفصول الأربعة) مقالتي ("وأخيراً طلع القمر" حوارية بين الشاعر الكبير المرحوم نزار القباني والدكتور سعدون السويح)، وقد أصر على أن يظهر لقب الشاعر العربي الكبير معرفاً (القباني) بدلاً من المشهور والمعروف به (قباني)، وأذكر أنني حين سلمته صورة مستنسخة من جريدة الحياة اللندنية المنشورة بها مقالة الدكتور سعدون السويح المعنونة (إيقاعاتُ الأنوثة والتصوف في شعر نزار قباني) التي أشعلت حريق الخلاف بين الشاعر العربي الكبير والصحيفة اللندنية، وتهديده لإدارة تحريرها بإيقاف كتابة زاويته الأسبوعية بها، أنبهر الدكتور الصيد أبوديب بها، وأصر على إظهارها برفقة مقالتي، وعمل شخصياً على إخراجها ووضعها في المكان الذي عليه بالصفحة .

بعد ذلك توالت منشوراتي بمجلة (الفصول الأربعة)، منذ العدد رقم 87 الصادر في شهر أبريل 1999م حين نشر لي نصي (الطلقة الخطأ)، وحتى العدد رقم 110 الصادر في يونيو 2006م عندما نشرتُ مقالتي المطولة (الصادق النيهوم بين المقال والقصة) التي راجعها وأثنى عليها، وأفادني بعدة معلومات وملاحظات استفدتُ منها كثيراً في قراءاتي وتحليلاتي البسيطة لمقالات وقصص الأديب الراحل الصادق النيهوم.

وأثناء طباعة الفصول الأربعة عرض علي الدكتور الصيد أبوديب تعديل مخطوط كتابه (معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث) فقمتُ بإضافة وطباعة مسودة ورقته المعنونة (بيلوغرافيا الرواية الليبية المطبوعة 1937-1998) التي أعدها وقدمها ضمن فعاليات (ندوة الرواية العربية وقضايا الأمة) التي نظمتها رابطة الأدباء والكتاب بطرابلس خلال شهر يوليو 1999م وغيرها من الإضافات التي استحدثت حتى سنة 2000م، وحرصتُ على إنجاز ما طلبه مني وتجهيزه في الوقت الذي حدده، وقد استحسن ذلك تماماً وخصَّني بشكر وتقدير مع آخرين يقول فيه (والصديق "يونس شعبان الفنادي" الذي طبع الاضافات والتنقيحات في شيء من الصبر ورحابة الصدر) على الصفحة التاسعة من الكتاب الذي صدر لاحقاً سنة 2006م ضمن منشورات مجلس الثقافة العام .

ولما كنتُ قد جمعتُ نصوصي التي أحسبها على جنس الشعر بين طيات ملف، سلَّمتها له لإبداء الرأي وتشريفي بكتابة مقدمة لها، فقبل رحمه الله ذلك، ولبى طلبي ورغبتي بكل تواضع ودعم وتشجيع، وهو القامة الأدبية الكبيرة ذات المشوار الطويل في مجال الأدب والكتابة والصحافة، وقدَّم لكتابيّ الأول الذي صدر سنة 2010م عن الجمعية الوطنية لرعاية الشباب بعنوان (العينيكِ أغنِّي) الذي أهديته (إلى ليبيا ولادة النجباء على مر التاريخ)، وأصررت على إظهار اسمه مع اسمي على غلاف الكتاب الخارجي (تقديم د. الصيد محمد أبوديب أستاذ الأدب العربي، كلية التربية، جامعة الفاتح) ويقول في مقدمته التي أهداها لي بعنوان (هذا الديوان هذا صاحبه) وكتبها في 2001/2/5م (.. إذا كان صاحبُ هذا الديوان يتعامل مع الطبيعة في السماء وعلى الأرض من واقع دراسته العلمية وتأهيله الأكاديمي، فهذا الديوان جعله يتعامل معها شاعراً رومانسياً يحسٌّ بها تشاركه أحاسيسه ومشاعره، أفراحه وأحزانه، عازفاً مع نسيمها ورياحها وأعاصيرها، فارشاً سحبها ونجومها، ساهراً مع قمرها وسحره، مناجياً شمسها ودفئها).

ويضيف قائلاً (ولم يكتفِ صاحبُ الديوان بذلك فقد آثر أن يغني للوطن كما يغني للحبيبة، والإنسانُ بطبعه يعشق الغناء، لأن فيه حياةً أخرى منشداً ومردداً ومستمعاً. يطرب للأصوات الشجيّة، ويرهف السمع للألحان الحزينة، يتداخل عنده حبُّ الوطن بحبِّ الحبيبة، لذلك إنْ تَغَنَّى لها فذلك يعني أنه يُغني للوطن، فالوطن في الروح كما الحبيبة في القلب، وهو ما يفصح عنه عنوان الديوان (لعينيكِ أُغنِّي)، وهو ما يبوح به صاحب

الديوان (يونس شعبان الفنادي) الذي يغني لعينيّ حبيبته، كما يشدو بالغناء (لعينيّ ليبيا)... الولاّدة للنجباء على مدى التاريخ – كما يقول في إهدائه – وهذه درجة عالية وسامية من درجات العشق.).

وعندما أكملتُ مخطوط كتابي (النصُّ الشعريُّ عند سعدون السويح) حملته إليه في مقر الهيئة العامة للثقافة سنة 2006م تقريباً، وسلمته له طالباً مراجعته وموافاتي بملاحظاته حوله، فقام بذلك ولازلتُ أحتفظ بتصويباته واستبدلاته التي سجلها على بعض صفحات مخطوط الكتاب الذي صدر بعد سنوات طويلة عن دار الرواد سنة 2013م.

وفي سنة 2009م حين سافرنا معاً إلى مدينة بنغازي للمشاركة في ندوة الصادق النيهوم شجعني أثناء تقديم ورقتي (المقال والقصة عند الصادق النيهوم) وأثنى عليها في مداخلته، ثم في جانب آخر دعاني للجلوس معه على المنصة ومشاركته تقديم المحاضرين في إدارته لإحدى جلسات الندوة الأدبية حول المفكر الراحل، كما ترافقنا لمشاهدة مسرحية (هبوط اضطراري) بالمسرح الشعبي ببنغازي صحبة ثلة من المشاركين في الندوة أبرزهم الدكتور علي فهمي خشيم والدكتور أحمد إبراهيم الفقيه والفنان أحمد الغزيوي رحمهم الله جميعا والدكتورة فاطمة الحاجي وآخرين.

وفي سنة 2010م حين تولى الإشراف على الفعاليات الأدبية المصاحبة لمعرض طرابلس الدولي للكتاب في دورته العاشرة. اختار ورقتي (الوفاء للمكان والبيئة في حكايات شارع الغربي) للأديب خليفة حسين مصطفى ضمن ورقات العرض في محور محاضرات السرد والرواية الليبية، وكانت هذه المرة الأولى التي أشارك فيها في فعاليات ثقافية بدورات المعرض

وحين باشرتُ إعداد وتقديم برنامجي التلفزيوني (المشهدُ الثقافي) على القناة المرئية الوطنية كان لابد أن أختاره ضمن كوكبة أدبية بدأت بالشاعر الراحل عبدالمولى البغدادي وانتهت بالدكتور جمعة عتيقه وشملت الفنان علي العباني والمحامية عزة المقهور والراحل الدكتور محمد مسعود جبران وغيرهم، فوجهتُ له الدعوة التي لاباها بكل سرور دعماً وتشجيعاً لي، وشرفني بأن حل ضيفاً على الحلقة الثانية من البرنامج التي سجلتها بتاريخ 2010/8/26م ومحاورته حول موضوع (غيابُ النقدِ وتأثيراتُه). وبعدها بسنوات اخترتُ كتابه (القضاءُ والقضاةُ في برقة وطرابلس) الصادر سنة 2009م عن المؤسسة العامة للثقافة ليكون ضمن حلقات برنامجي المسموع المسجل

(كتابُ اليوم) الذي أعددته وقدمته على أثير إذاعة صوت طرابلس المحلية سنة 2017م.

أما في رحاب الجامعة، ففي نهاية سنة 2016م وتحديداً صباح يوم الإثنين الموافق 28 نوفمبر 2016م استضافه مختبر السرد والدراسات النقدية في حوار انتظم بكلية اللغات بجامعة طرابلس تحت إشراف وإدارة الدكتورة فريدة المصري أستاذة الأدب العربي لمناقشة موضوع (الروايةُ الليبيةُ: تاريخٌ.. نقدٌ.. تجربةٌ) بحضور الأديب الروائي محمد المغبوب. وقد كتبتُ على صفحتي بالفيس بوك عن ذلك اللقاء الممتع قائلاً (استمتعتُ كثيراً بما عرضه الدكتور الصيد أبوديب من توضيح موثق وسرد إحصائي وتاريخي لمشوار الرواية الليبية، وحسم بما عرضه من إصدارات قديمة أحضرها من مكتبته المنزلية الخاصة، الجدل التأريخي المتعلق بصدور أول رواية ليبية، أهي رواية (مبروكة) للمرحوم حسين ظافر بن موسى أم رواية (اعترافاتُ إنسان) للراحل محمد فريد سيالة؟) وأضفت مشيداً مثنياً عليه (أشكر الصديق العزيز الدكتور الصيد أبوديب على حديثه العلمي الشيق والمثمر الذي استفدتُ منه كثيراً وخلصتُ إلى هذا الرسم البياني من واقع البيانات الببيولوغرافية التي قدمها اليوم خلال حديثه عن الرواية الليبية).

وأخيراً، كثيرةٌ هي المواقف والأحداث التي جمعتني بالأديب والصديق الراحل الدكتور الصيد أبوديب، وإن اخترتُ في هذه المقالة السردية الحصرية ما علق بالذاكرة من وقفات، واستحضره القلم من شذرات، فقد بقي الكثير الكثير غيره يسكن القلب في صمت وكتمان كان محل استذكار بيني وبين فقيدنا من حين لآخر، حتى بث الناعي يوم 10 مايو الماضي خبراً حزيناً هزّ كياني وأفزعني، بتأكيده أنّ الموقدَ قد انطفأ، والنجمَ الذي كنتُ أهتدي بأنوار توجيهاته قد أفل، ورحل عنا الأستاذ العزيز الدكتور الصيد محمد أبوديب عندما اختار المولى سبحانه وتعالى له مسكناً آخر، وأبدله أهلاً وصحباً ونعيماً دائماً مقيماً، ونهراً فردوسياً لا ينضب. ولكن كما يقولون إنه حين يغادر أديبٌ أو كاتبٌ أو أستاذٌ فإن نقوشات حروفه تظل باقية تتنفس فينا، وكلماته حاضرة على ألسنتنا، تستوطنها قلوبنا وعقولنا، وطالما أن فقيدنا الراحل الدكتور الصيد أبوديب قد ترك لدينا وفينا علماً وفيراً وعطاءً غزيراً، وسيرةً عطرة، وأثراً وكُتباً عديدةً بين أرفف مكتباتنا، فستظل تبعث حضوره فينا، لتنهل منها أفكارنا، لأن روحه وقناديل إشعاعه ستبقى وإن فارقنا ورحل الجسد.

في ذلك اليوم بكيته، وعلى صفحتي في الفيس بوك نعيته، وهو أقل واجب أشاطر

به أسرته وأهله وأحبته حزناً على فراقه، والثناء على صنيعه ودعمه وتشجيعه، والذي أحسبه في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم، ورحم الله الصديق الأستاذ الدكتور الصيد محمد أبوديب.

طرابلس في 28 يونيو 2021م

(*) ألقيت في حفل تأبين الدكتور الراحل الصيد أبوديب، يوم الخميس الموافق 1 يوليو 2021م بمعهد الموسيقى والفنون التطبيقية بزاوية الدهماني، طرابلس.

العقول السِّريانية والنُّقول الفلسفية: التَّرجمة والتَّفسير والتأثير (2/1)

أ.د. سليمان حسن زيدان*

مقدمة

اليونان والفلسفة قرينان، وفي الآن نفسه قرينتان دالتان على حَرَاك فكري عقلي في أزمنة سابقة قام به فلاسفة ومفكرون أنبأ الزمان عبر النقل عن أسمائهم، وما خرج من عقولهم من أفكار وتحليلات منطقية، ورؤى فلسفية، وذَكَرَ فَذَكَّرَ بما اجتهدوا فيه فأفلحوا في بثِّ آرائهم في سيرورة الحياة البشرية، فكان لزامًا على الأزمنة اللاحقة من أن تَرِدَ أحواضها لتستقي منها بغض النظر عن الممرات الفكرية التي ترتادها، وكان لزامًا ألا يَرِدَ الحوض إلا ذو خبرة بالمسالك والدروب الموصلة إليه، المتفطن درجات الانسياب واتجاهاتها، وهذا ما توافر في بعض ممن وُهِبوا نعمة الذكاء الفطري، أو الاجتهاد الذهني؛ فساروا إلى ما سار إليه السابقون من الفلاسفة ورجال المنطق، وأناخوا رحالهم على ضفافه، وشرعوا ينهلون منه من صافي الطرح ليعودوا ببضاعة تدر عليهم أثرًا وذكرًا، وعلى من جايلهم، ومن جاء بعدهم نفعًا علميًا وفكريًّا وروحيًّا، وحثًّا اجتهاديًا لفرز الخطاب المقبول الموافق للضوابط المجتمعية، أو الفكرية، أو العقدية.

ولم يخلُ الأمر من تفاوت في قدرة الذكاء ودرجات المعرفة وبخاصة في اللُّغة التي كانت الأداة والآلية لنقل هذه المعارف الفلسفية من ظلماء الجهل بها إلى فيحاء الاطلاع عليها وكشف غوامضها للاستئناس الفكري بها. ومن هنا برزت المناظرات اللُّغوية بين البارزين في ميدان اللغة، وقد كان الحصاد من ورائها وافرًا منيرًا؛ إذ حُكِّمت النقول؛ فاستوضح الناس مضامينها؛ فعلموا غثَّها من سمينها، وأدركوا مقاصدها ومراميها التي يجب أن تؤول إليها، وتُفْهَمَ على أساسها القويم الذي لا غاية ولا دسَّ فيه.

كما أجبرت في الوقت عينه من نذروا أنفسهم لشأنها على تقوية مخزونهم على المستويين: اللُّغوي والفكري لتفادي أن تكون الغَلَبةُ عليهم، وهم يرجون أن تكون لهم.

وكثيرة هي الشَّواهد على الاجتهادات المعرفية التي أسهمت ماضيًا وتسهم حاضرًا في تأسيس منهجية فكرية على أسس فلسفية، استنادًا إلى اللُّغة التي يستخدمها كلُّ إنسان خالٍ من أي معوِّق يمنع من ذلك. وليست لغة الخاصة كلغة العامة، كما أنَّ بين الخواص فروق تظهر بالمناظرات، وهو ما جعلنا نثبت بعضها لكونها عينات اشتغالنا البحثي الذي نتبوأ مقعد المسؤولية العلمية فيه وعنه، لبيان ماذا أريد من مفهومات تُجنى من عتبة العنوان؟ وإنَّ من أبرز المناظرات تلك التي كانت بين السيرافي، ومتى بن يونس الذي كانت له كتب تفسيرية من السريانية الى العربية في الفلسفة والمنطق. كما أسهم مع عدد من أهل الفلسفة والمنطق من السريانيين فيما يمكن أن يُطلَقَ عليه (الفتوحات الفلسفية) لتلج الفلسفة اليونانية الساحة الفكرية العربية عبر نقول وجودية بعد أن تكفَّل فلاسفة اليونان في بادئ الأمر بالنقول الميتافيزيقة، وأعملوا فيها العقل ليتدبروا ماهية السلوكيات الفكرية والعملية، كي يجدوا لها مرجعية لا تنقطع عن الفطرة؛ فَسُخِّر النقل لاستثارة العقل، وألزِمَ العقل باستيعاب النَّقل والتعاطي معه في خطوة أولى في الرحلة من الغيبي إلى الوجودي. وسننتهج الاستقراء والتتبع في كشف أسرار وسب أفكار هذه الرحلة، لنَصِفَ ونحلل، ونقابل ونعلل في محاولة نحسب أنَّها صائبة مفيدة نجدد بها الرؤية التي نقرُّ فيها بالدور الفاعل الفاضل لعلماء ومفكري السريان في كثير من النقول اليونانية الذين نذكر بالإضافة إلى من ذكرنا منهم: إبراهيم قويري ويحيى أبو بشر الذي أسهم في حركة الترجمة العربية، فنقل عددًا من الكتب عن اليونانية والسريانية ضمن نشاط بيت الحكمة العباسي. كما نعرِّج على أغراضهم بصبغ المنقول بمعتقداتهم وثقافتهم المسيحية محاولين في حظر الموازنة بين الفكر الوافد ومعتقدهم الديني، وهو ما تأثر به المسلمون من بعدهم، وفطنوا به فحاولوا هم ايضا التوفيق بين الفكر اليوناني والعقيدة الاسلامية وخاصة الفارابي وابن سينا وابن رشد. وما نشأ من تباين بين الباحثين العرب في تقدير دور هؤلاء النقلة كعبد الرحمن بدوي الذي أثني على جهودهم ويعتبرهم جزءًا من الحضارة الاسلامية، وعمر فروخ الذي يتهمهم بدسِّ السم في العسل لتمرير عقائدهم والتبشير بها.

إنَّ كلَّ هذه الاجتهادات حمالة وعي ذي دلالة على وجود كفايات علمية وفكرية

تستحق أن ننوه بها، مذكرين بأدوارها، وهو ما سنقف عليه في طورين اثنين:

الطور الأول: الميتاقيزيقي
الطور الثَّاني: الوجودي
المناظرة: مناظرة اللغة والمنطق

الطور الأول: الميتاقيزيقي

إذا ما أردنا أن نقف على ما قدَّمت العقول السريانية من خِدمات علمية علينا أن نعرف ما أسدت نقولهم من فلسفات اليونان من إضاءات للعقل البشري القاصر عن التأمل بغير تمهيد من ذوي المَلكة الفكرية لإظهار الموجود غير المُدرَك، وهو ما يندرج تحت مصلح الميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة)، وهو " مصطلح فلسفي يعبر عن العالم غير المرئي أي وجود عالم ما فوق السماء مقابل للعالم المادي المحسوس"1؛ إذ "بدأ استخدام المصطلح في القرن الاول ق، م للإشارة الى جزء من تراث أرسطو، فقد دعا هذا الجزء من مذهبه، الفلسفة الأولى، وهي تلك التي تدرس المبادئ الأعلى لكل ما هو موجود والتي لا تبلغها الحواس، ولا تستوعبها الا بالعقل المتأمل والتي لا غنى عنها لكل العلوم"2.

وإذا ما أرجعنا هذا الفضل في النقل إلى الحضارة العربية الإسلامية؛ فإنَّنا لن نخطئ، فنسند الأمر لغير أهله، وأول أهله الأولى بالذكر: المنصور (أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) الذي عدَّه المؤرخون أول خليفة عباسي يقوم على رعاية حركة الترجمة والنقل؛ فترجمت في عهده المؤلفات المختلفة من مصادر عدة، وكان من فضائله التي حفظها له التَّاريخ أن قرب إليه المترجمين والعلماء بجنسياتهم وأديانهم المختلفة. كانت الرؤى الفكرية الفلسفية هي العنوان الأوضح والسمة الغالبة لما طُرِح من آراء تأملية فيما هو كائن فوق السماء، أو ما بعد الطبيعة حيث الوجود في مقابل اللاوجود؛ فاشتغل المهتمون من فلاسفة اليونان على حقيقة الموجود اللامرئي لعموم الموجودين، فشرعوا يؤولون ويفسرون عددًا من الظواهر الكونية ليقربوها من المجتمع ويسخروها لخدمة الإنسان.

أوصل التفكير العميق في شؤون الكون إلى رؤيا واقعية سيطرت على بعضٍ من ذوي الصفاء الذهني العالي؛ فأخذوا يعملون عقولهم ببصيرة ثاقبة يقصر عنها سواهم ليحققوا مآرب رؤيويه بصبغة فلسفية تبحث فيما وراء الإدراك الحسي للتنبيه عمَّا هو غير ظاهر مع وجوده، وأهميته لتفسير سيرورة الحياة. وعندما نتناول هذا الموضوع نجد أنفسنا نطرق سِيَرَ أرسطو، وأفلاطون، وسقراط وغيرهم من فلاسفة اليونان الأوائل الذين ذاع صيتهم على مرِّ العصور بما قدموا من جهد فكري

للإنسانية. ومن هذا الجهد التأمل في الوجود ومحاولة كشف غوامضه وتفسيرها.

بُعيد انطلاقة الوعي الإنساني بما هو ذي علاقة تأثيرية في صراط معيشه، وفي مبتدأ البحث عن حقيقة وجوده؛ وجد الإنسان نفسه في صراع فكري بين ما هو مثالي وما هو مادي الأمر الذي جعله في جدلية مباشرة مع الطبيعة: أهو مُنْشَأٌ منها، أم هو مُنَشَّأٌ لها؟ أهي من يحكم ناموس كينونته، ومن ثمَّ يموِل ويحرك وجوده؟ أكانت الطبيعة بحاجة له لكي تضمن فاعليتها وتُحدث تأثيرها، أم هو الذي بحاجة إليها ليدرك خواص الأشياء ومن ثمَّ علم الكون (كوسمولوجيا)؟ إذ كوَّنت هذه المعطيات الذهنية التخمينية " الفلسفة الأولى أو الإلهيات أو الحكمة وهي أسماء مختلفة لعلم واحد هو العلم الذي يبحث في الموجود الأول الذي أبدع الكون ولما كان علم الطبيعة يبحث فيما هو ظاهر للحس فإن علم الموجود الأول يبحث فيما هو خفي لا يقع تحت الحس، فالفلسفة الأولى أو الإلهيات أو الحكمة هي ذلك العلم الذي يبحث الوجود غير المرئي أو العلم الذي يبحث في الوجود كما هو موجود"3.

كما أنَّ هذه التساؤلات الإسقاطية وغيرها كانت هي الطاقة والزاد للجدل بين العقل والرؤيا: بين المحسوس المدرك والمحسوس الموجود في الوجود دون إدراك له، وهو ما جعل المنشغلين المشتغلين من الحكماء والفلاسفة اليونانيين من رواد المدرسة الملطية) أولى مدارس الفلسفة في طور النشأة مثل: طاليس، وفيتاغواس، وفبارميندس، وأمبادوقليس، (وأنبادوقليس) الذي رأى أن النار والهواء والماء والأرض (التراب) هي أصل الكون4، ومن ثمَّ تمَّ تقسيم الحروف على أساس من هذه الرؤية؛ إلى: نارية، وهوائية، ومائية، وترابية على حساب تنوع العناصر؛ فالألف للنار، والباء للهواء، والجيم للماء، والدال للتراب..."5.

ولا يمكننا أن نغفل عن ذكر المرحلة السابقة لهذا الطور (الميتافيزيقي) التي سادت فيها الخرافات والأساطير، والتي كانت تموج بالعقل الإنساني في حال من الفوضى الفكرية، إذ اشتغل العقل الإنساني على التهيؤ والنظر فيما وراء المثالية. واستمرت الحال على ما هي عليه حتى شعت مرحلة جديدة أو طور آخر (الميتافيزيقا) فانتقل الانشغال إلى ضرورة الحد من الأثر الأسطوري على الحياة البشرية " ففي هذه المرحلة التي بدأت مع طاليس يظهر لنا مدى التطور العقلي للإنسان، وأثر هذا التطور في إيجاد أفضل الأفكار... إن الفكر الإنساني ما هو إلا أثر من آثار الأفعال الإنسانية، فكلما تطور

العقل الإنساني تطورت الأفكار التي تزيد من الرصيد الحضاري للإنسان، والتي كانت فيما بعد سببًا من أسباب تحضر الإنسان وتطوره الفكري، فطاليس يعتبر الفيلسوف الذي أنزل آلهة الأساطير من عليائها، ليجعلها تسكن الأشياء"6.

ومن حاصل هذه الرؤية الفعلية التي كانت قفزة في الاتجاه الصحيح، أنَّها نزعت بالوعي الإنساني نحو ضرورة إعادة النَّظر في مستوى إدراكه لمحيطه؛ إذ أنَّ " هذه الخطوة لها اعتبار خاص ومزدوج في تطور الفهم الإنساني، فهي من ناحية أغادت للفكر وحدته باستيعاب ثنائية الوجود القائمة على الفصل بين الفيزيقا والميتافيزيقا، ومن ناحية أخرى حصرت هذه المبادرة التفكير العلمي في أطر محدودة يسهل على العقل تناولها خطوة خطوة"7.

ولا شكَّ في أنَّ هذه التأملات قد فتحت الآفاق أمام العلوم كافة فطفق كلُّ ذي اهتمام بشأنها في دراستها والتنظير لها وعلى رأسهم سقراط الذي أنزل الفكر الإنساني من السماء إلى ما دونها، وحوَّل النظر عمَّا وراء الطبيعة إلى الطبيعة، وكذلك نهج ما جاءوا بعده وصولاً إلى أرسطو؛ إذ أقروا أن فاعلية الكون خاضعة للقانون الطبيعي. وتأسيساً على مقتضى ذلك توصلوا في معرض التفسير لوجود الكون وحركته إلى أنَّ " قيام علاقة ضرورية بين الحوادث تشبه بل تماثل علاقة الاستلزام القائمة بين مقدمات البرهان الاستنباطي ونتيجته، أو بين مقدمة القضية الشرطية التحليلية وتاليها. العلاقة التي يقرها القانون الطبيعي علاقة ضرورية بسبب كونها منطقية، ومن ثم فإنه يتسنى للبشر، من حيث المبدأ على أقل تقدير دعم قوانين الطبيعة دون ما ركون إلى أية خبرات حسية أو قوى غيبية. إنما كونها حقائق منطقية خالصة إنما يستوجب إمكان اكتشافها بالعقل وحده، وهكذا تتم الاستعاضة عن الخطاب الغيبي بالخطاب العقلي"8 ومن ثمَّ بدأت رحلة الإنسان مع التغير الفكري في رؤية الكون، والتعاطي معه وصولاً إلى فهم ظواهره وسبر معالمه بتدبر أسراره عبر طرق مجالات ذات آفاق عملية أعم وأشمل فكان التوجه إلى العلوم وما تستوجب من نظريات تستدعي التطبيق. تلك العلوم التي هي ركيزة ممارسته لحياة ما تحت السماء؛ كعلم الحساب والهندسة والطب والفلسفة... وغيرها.

والشاهد في هذه التجاذبات العقلية والروحية بين المثالية والواقعية، وما هو كائن كائن، وكائن لم يكن، أنَّها كانت فاتحة لكثير من الردود، فأسست لميلاد مؤلفات إسلامية عدة لتُصوِّب هذا الفكر المغلوط المجانب لناموس الفطرة، المخالف

لقانون الكون، المتناغم مع الزيف الفكري والانزياح العقلي، لذا عجَّل العلماء المسلمون، والفلاسفة في مقدمتهم بتصحيح المفاهيم التي ساقتها الفلسفة والمنطق الغربيين إلى ساحات الفكر العربي الحديث إحاطة بهما، والدراية بأثرهما وفاعليتها في العقل العربي، وهو ما يفسر جنوح بعض الطوائف والفرق التي جدَّت على الدولة الإسلامية كالمعتزلة والخوارج... إليها، باعتبار أنَّها وجدت فيها وسيلة قوية الأثر في تحقيق غاياتها. وكان للعقول السريانية الفضل في وصولها للحضارة الإسلامية عبر الترجمة.

الطور الثّاني: الوجودي

كان الطور الأول ميتافيزيقي الطابع إذ كان ميدانه ما وراء الطبيعة، لذا ترتب عليه ظهور طور آخر يبحث في الطبيعة وما بعدها حتى سمي بعلم الطبيعيات، وقد حدد ابن رشد القصدية الاصطلاحية من هذا العلم؛ فقال " نسبة هذا العلم الى سائر العلوم النظرية نسبة الغاية والتمام لان بمعرفته تحصل معرفة الموجودات بأقصى أسبابها الذي هو المقصود من المعرفة الانسانية، ولأنه هو الذي يصحح مبادئها ويزيل الغلط الواقع عليها"9. وهو الذي يهتم بدراسة ما بعد الطبيعة وما هو أعلى من الظواهر الجزئية المتغيرة. إنَّه يدرس الوجود ككل ويبحث في خصائصه ويحاول كشف القوانين الكلية الثابتة التي تفسر حقيقته وتكشف عن جوهره، كالبحث في قوانين المادة والحركة، وهل الحركة عشوائية أم منتظمة؟ وما علاقتها بالله تعالى؟ وما صلاته بالموجودات؟ وهل الوجود في حقيقته مادي خالص، أم روحي خالص، أم مزيج بينهما؟

لم تكن الإجابات من جنس التساؤلات، ولا من فرضيات الأسئلة، بل جاءت من بين التنظير والتطبيقات المؤكدة له؛ فنشأت على ضفاف الوعي حزمة من العلوم ذات الصلة القريبة بالإنسان، مؤكدة لعلمه اليقيني بأسبقية وجوده وفطنته إلا أنَّ " هذا الوجود السابق على كل ماهية، مثالية أو مادية يقتضي مع ذلك أن تكون له ماهية، وهذه تتطلب الفعل العمل وهذا ما يجعل الفعل أو العمل مرتبطًا ميتافيزيقيًا بالوجود. لا يمكن لموجود ألا يفعل، لأنه لا يمكنه أن يكون وجودًا بدون ماهية، حتى عدم الفعل، التقاعس يكسبه ماهية، لأن هذه ليست جاهزة مسبقًا، بل عليه أن يصنعها لنفسه بنفسه. إنه إذن ما يصنعه بنفسه"10.

لم يبق أمام الإنسان من خيار إلا أن ينفض عنه غبار الإلهيات، وما توهم من تخمينات ذاتية الطابع الذهني في كثير من أحوالها، فأخذ يدبر شؤون الوعي الكامن

فيه؛ فجاءت النتيجة أن اهتدى إلى حزمة من العلوم، كانت علوم الطب والهندسة والفلك من بواكيرها، وهو ما وقع في أولويات ما حرص الخلفاء العباسيون المهتمون بنقل كلّ إرث إنساني حضاري نفعي للدولة الإسلامية، وفي مقدمهم الخليفة المنصور (أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس = 95 هـ 713م / 158 هـ 774م) أول خليفة عباسي يقوم على رعاية حركة الترجمة والنقل التي بدأ أمرها في العصر الأموي إذ استقدم العلماء، وقرَّب إليه المترجمين والحكماء"؛ فانبرا المترجمون ومنهم السريانيون المُجيدون للغة اليونانية والعربية إلى نقل هذه العلوم، وتفسيرها ليسهل فهمها والتعاطي معها، بعد أن ترجموها إلى لغتهم (السريانية) أولاً، ومن ثم نقلوها إلى لغة العرب. وهنا يجدر التذكير بوجود " فرق بين الترجمة والنقل، فالترجمة تشمل المصنفات التي تُرجمت مباشرة من لغتها الأصلية التي كتبت وعرفت بها إلى لغة ثانية، أما إذا عرفت لغة ثالثة ذات المصنفات وعن طريق اللغة الثانية التي ترجمت إليها مباشرة هذه المصنفات من لغتها الأصلية التي كتبت وعرفت بها فهذا هو النقل"11. وعلى أساس من هذا نقول أنَّ عهد المنصور قد شهد ترجمات ونقول كثيرة منها " كتاب السِند هند وهو أحد المذاهب الهندية الثلاثة في علوم النجوم وحركاتها، أمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب لتتخذه العرب مرجعًا في حركات الكواكب، وسمي بعد ذلك ب (السند هند الكبير)12. وزاد الحرص على تزويد الحضارة العربية بما أنتج العقل الإنساني من مؤلفات علمية وفكرية؛ حيث " ترجم في ذلك العصر [أيضًا] كتاب لأرسطو، وكتاب المِجسطي لبطلميوس، وهو كتاب في الفلك، وكتاب أقليدس ويسمى كتاب "الأصول" أو " الأركان" وهو كتاب مشهور في الهندسة ومبادئها... وكذلك كتاب الأرثماطيقي وسائر الكتب العجمية في الحساب والطب ةالفلسفة وغير ذلك من العلوم"13.

هذا الطور؛ الطور الوجودي وهو المعني به التحول في كيفية التعاطي المباشر مع الطبيعة الظاهرة وما تعج به من المدركات والمحسوسات العينية المرئية؛ جسَّد نقلة توعوية في وعي الإنسان بالكون والاهتداء إلى كشف أسراره، ومن ثمَّ البناء عليها بناءً واقعيًا لا غيبيًّا؛ فازدهرت المحصلة النفعية، فتطورت الحياة البشرية، فنمت أواصر التواصل بين الحضارات التي أسهمت وسائط عدة متنوعة في مدِّ جسورها، ومنها العقول السريانية والتي وجدت في اهتمام الخلفاء العباسيين بإدخال علوم الآخرين إلى البيت العربي الإسلامي بغيتها؛ فلم تركن إلى تجاهل هذا

النداء المقرون بالسخاء، فتسابقت العقول وتواترت النقول وحان لعلوم اليونان المثول بين ضفاف المكتبة العربية، وتلبية حاجة حضارة العرب للتمدد المعرفي، ومواكبة التطور الكوني.

وكان لحركة الترجمة شأنها في رقي المسلمين باطلاعهم على علوم الأمم الأخرى، والاستفادة منها في صيرورة القيم العلمية المعرفية والفكرية على كونها عامل تنوير. وكان لجهود السريان من النقل المركب تارة من اليونانية إلى السريانية، ثم من السريانية إلى العربية وتدعيم هذا النقل وهذه الترجمة بشروح لما غَمَضَ، وتفسير لما طُرِحَ من رؤى فلسفية وفكرية لم يكن للمسلمين عهد بها، ولا سابق تداول لها؛ عظيم أثر في تيسير هذه العلوم على العقل العربي المتلقي لها عن شغف، ومن ثمَّ الانطلاق منها إلى متون هذه العلوم والزيادة عليها، والتأليف فيها، وإضافة فروع لها. هذا ما كان جليًّا " من أثر نشاط حركة النقل والترجمة في عهد المأمون العباسي، أن اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية، وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها وإصلاح أغلاطها.

نخص بالذكر من هؤلاء يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي نبغ في الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم. وقد حذا في تأليفه حذو أرسطو وترجم كثيرًا من كتب الفلسفة وشرح غوامضها"14 وكذلك هو شأن جابر بن حيان مع علم النجوم. إنَّ الزمان شاهد عيان على أنَّ تطور الترجمة إلى العربية منذ بدئها في القرن الأول الهجري في العصر الأموي؛ جاء في البدء في هذه الفترة شحيحًا ضعيفًا لحداثة العهد به، وعدم النضج الثقافي بالمادة المترجمة، أو اللغة المُتَرجَم منها أو المُتَرجَم إليها، إلى أن جاء العصر العباسي؛ فكثَّف عديد خلفائه من العناية بنقل سائر العلوم إلى العربية التي أحدثت نقلة في الوعي العربي، وبدأ الاشتغال العلمي عند المسلمين.

بعدما اتسعت الدولة الإسلامية، ووطَّد السلاطين والخلفاء أركان حكمهم، ووعوا لشؤون ملكهم " تشوقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الأساقفة والأقسة... فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم* مترجمة فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصًا على الظفر بما بقي منها. وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصًا، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي، وبعث المترجمين

لذلك"15 فتنوع النقل من كتب الأخرى لكنَّ التركيز كان على العلوم العقلية.

والطبَّ ذو أولوية للإنسانية، وأنَّ العلم به ذو نفع عام لا يرتبط بزمان ولا مكان، ولا تقف الحاجة إليه عند إنسان دون آخر: خادمًا أم ملكًا كان، الأمر الذي جعل علم الطب في صدارة المؤلفات التي سعى المسلمون لاقتنائها في القرن الهجري الأول" ومن المصنفات التي ترجمت في هذا القرن كناش في الطب لأهون القس الذي قام بترجمته إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت 101 هـ 719م أشهر نَقَلة هذا القرن الطبيب ما سرجوية السرياني؛ إذ كان عالمًا بالطب واشتهر أمره في هذا المضمار حيث ترجم الكتاب من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، فلقد كان الأمير خالد بن يزيد والخليفة عمر بن عبد العزيز من أبرز من اهتم بأمر الترجمة والنقل في العصر الأموي"16.

ولم تقتصر عناية العرب بعلم الطب وحده؛ إذ كان لسواه حظ في الحضور في المشهد العلمي الإسلامي، حيث أولى المسلمون علومًا أخرى بالطلب عليها، فأكدوا حرصهم على ضمِّها إلى مكتبتهم، من بينها علوم الفلك، والرياضيات، والمنطق، والموسيقى التي شهدت ممارسة وتطويرًا بليغين في العصر العباسي .

• المناظرات:

إنَّ من أهم موروثات الإنسان الفنية والإبداعية النثرية المناظرات، لما يرشح عنها من قيم معرفية، تسهم في تهذيب الفكر وتقويته بالحجة والحجة المقابلة، لذلك قبل الإنسان برعبة أن يكون ذا إطلاع عليها، ومعرفة بمضامينها التي لن تخلو من فائدة. وإن من أشهر المناظرات التي خلدتها الذاكرة العربية الإسلامية: مناظرة أبي سعيد السيرافي النحوي وأبي بشر متى بن يونس الفيلسوف، التي جرت في مجلس الفضل بن جعفر بن الفرات، وزير الخليفة المقتدر سنة 320 هـ، والتي كانت ذات صبغة حوارية حجاجية مُطلَقة، وقد كانت النزعة الفكرية هي الغالبة، إذ كانت المُوجِّه لحجج الاثنين، الأمر الذي أظهر الخلافات العميقة بين علمي اللغة والمنطق، في كيفية توظيفهما في الخطاب.

لما للمناظرة من حضور في الأثر الإنساني بعامة فإنَّنا لن نستطيع تجاوز ما أفرزته من الآثار العلمية والفكرية، ونجد أنَّه من الأمانة التاريخية أن نذكر ما أسهم العقل السرياني في إضافته منها إلى المخزون المعرفي العربي وبخاصة في العصر العباسي ما كان من علو شأن للمناظرات التي ذاع صيتها في تلك الفترة، وما كان للمناظرة من رصيد قوي في ذاكرة الإنسان كونها ترتكز على الحجج والبراهين التي

يسعى كلُّ طرف من طرفي المناظرة ليلقي بها لإثبات فكرته، أو لدحض رأي، أو إبطال سبب كان قد قدَّمه الآخر مما يمس علمًا أو فكرًا أو توجيهًا له تأثيره سلبًا أو إيجابًا في سيرورة الحياة البشرية " وتزدهر المناظرة، وتكثر مجالسها مع ازدهار النشاط العقلي وكثرة مباحثه خلال النصف الثاني من القرن الأول وإطلالة القرن الثاني للهجرة، فقد شهدت مدينة البصرة ازدهار علم الكلام، وهو علم محيطه العقل، ومادته كل ما يُتَأَمَّلُ من طريق النظر العقلي، فازدهرت المناظرة مع تطور المباحث الكلامية، وتشعب مفردات علم الكلام، واتضاح اتجاهاته، ومدارسه في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وترافق مع ذلك اتضاح المذاهب الفقهية، والمذاهب النحوية واللغوية"17.

الهوامش:

* أستاذ الأدب والنقد جامعة طبرق.

1 مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة القاهرة مصر، ط2007/4م، ص 611 .

2 د. عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة بيروت ط1981/4م، ص541

3 د. محمد محمد بالروين، دراسات في فلسفة مابعد الطبيعة،منشورات الجامعة الليبية، د.ط/د.ت، ص١٢.

4 ينظر: د. مقبولة مسعود علي بريك العوامي: الفعل الإنساني وأثره في قيام الحضارات وانهيارها " دراسة في فلسفة الحضارة" منشورات مجلس الثقافة العام، دار قباء الحديثة القاهرة مصر، د.ط / 2010م، ص 131 وماقبلها.

5 ينظر: عبد الرحمن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة مصر، د.ط / 2006م، ج3 / ص 1040.

6 نفسه، ص 127/126.

7 نفسه، ص 127.

8 نجيب الحصادي: قضايا فلسفية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط2004/1م،ص101

9 ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة،مراد وهبه، المعجم الفلسفي،دار الثقافة الجديدة، ط٣ /١٩٧٩، ص ٤٣٨.

10 د. رجب بودبوس: تبسيط الفلسفة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان بنغازي ليبيا، ط1 / 1996م، ص 68.

11 د. رشيد الجميلي: حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني. منشورات جامعة قار يونس بنغازي ليبيا، د.ط / 1976م، ص 9

12 نفسه، ص 34.

13 د. أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب بيروت لبنان. د.ط / 1955م، ج1 / ص 346.
14 د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام:السياسي الديني الثقافي الاجتماعي. دار الجيل بيروت لبنان، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر. ط2001/15م، ج2،ص 284 .
• كتب التعاليم هي: الهندسة الارتماطيقي الموسيقى الهيئة.
15 عبد الرحمن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج3 / ص 1010.
16 د. أشرف حافظ: الهوية العربية والصراع مع الذات. دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع عمّان الأردن، ط1 / 2012م، ص 169.
17 أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة. تصحيح وضبط وشرح أحمد أمين، وأحمد الزين. دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر. د. ط / د.ت، ج1، ص104 – 128.

الذوق الرفيع في الشعر الجاهلي

د. سعدية حسين البرغثي*

المبحث الثاني: الذوق الرفيع في الشعر

إنّ تراثنا العربي الخالد يمثل تواصلاً فكرياً ومعرفياً بين أجيال أمتنا السابقة والحاضرة، فالكرم قيمة أخلاقية سامية مجدها الجاهلي إلى حد المبالغة، وراحت القبائل العربية على ألسنة شعرائها تتباهى في إظهاره، ممثلاً بالذوق الرفيع المتأصل فيه، فقد " مجّد العربي هذا الخلق تمجيداً يفوق كل شيء، وكان واقع حياة العرب الاجتماعية، لذلك كان أول ما يذكر من الفضائل في باب المديح أو باب الفخر، وكان أوّل ما يسلب من الفرد أو القوم في باب الهجاء" (5)

وقد تميز العربي بكرمه عند حضور الضيف ويرحب به دون الاستفسار عن حاجته أو غرض زيارته، وحتى اسمه ومن أي القبائل أتى، إلا بعد ثلاثة أيام، حتى يرتاح فيها من عناء السفر وهذا الذوق الرفيع يمثل قيمة إنسانية سامية، فهو صاحب إحساس مرهف وذوق رفيع جعله يمنح غيره أعزّ ما يملك دون منة أو تردد، فالكرم الذي تغنّى به يختلف من حيث الدرجة، فأن يعطي الإنسان شيئاً ما وهو ميسور الحال، ليس بنفس درجة العطاء حين يكون ذلك الإنسان أولى بهذا العطاء، وفي هذا المعنى يقول الشاعر عامر بن الطفيل (6):

إذا سَنَةٌ عَزَّت وَطالَ طِوالُها / وَأَقحَطَ عَنها القَطرُ وَاِصفَرَّ عودُها

وُجِدنا كِراماً لا يُحَوِّلُ ضَيفُنا / إِذا جَفَّ فَوقَ المَنزِلاتِ جَليدُها

يصور الشاعر كرمه وكرم قومه تصويراً ينم عما يتميز به هو وقومه من سخاء مطلق، فهم أسخياء حتى في أحرج الأوقات حين ينقطع المطر وتجدب الأرض بعد طول انتظار، دلالة على أن الكرم شيء متأصل

في نفوسهم، إذ هو من الخصال التي تلازمهم في السراء والضراء.

كما نظر بعض الشعراء إلى أن الكرم سجية متأصلة تورث من الآباء إلى الأبناء، بحيث أصبحت هذه السجية من تقاليد العائلة النبيلة، فزهير بن أبي سلمى يتحدث عن هرم بن سنان الذي ورث الجود عن أبيه فيقول (7):

لَهُ في الذاهِبينَ أُرومُ صِدقٍ / وَكانَ لِكُلِّ ذي حَسبٍ أُرومُ

ووعودَ قومه هرمٌ عليه ومنْ عاداتهِ الخلقُ الكريمُ

كما قدْ كان عودَهُم أبوهُ / إذا أزمتْ بهم سنةٌ أزومُ

فالخلق الكريم والجود تورث من الأجداد إلى الآباء والأبناء والحفدة، نجدها متجذرة عند يزيد بن خذاق العبدي، فيقول (8):

وجدتُ أبي قد أورثه أبوهُ / خلالاً قد تعدُّ من المعالي

فأكرمُ ما تكون عليَّ نفسي إذا ما قل في الأزمات مالي

فتحسن سيرتي، وأصون عِرْضي / ويجمُلُ عند أهل الرأي حالي

فإن نلت الغنى لم أغلُ فيه / ولم أخصُصْ بجفوتي الموالي

كما أنّ بعض الأجواد في العصر الجاهلي قد بلغ بهم الذوق الرفيع أن يطيّبوا نيرانهم التي تجلب لهم الأضياف، فإذا انبعثت الرائحة الزكية في الجو حضر الأضياف، فهذا عدي بن زيد العبادي يفتخر بناره التي أوقدها من النار فيقول (9):

قد اصطلى ناره حيناً ويضرمها / إذا خبا ضوؤها الهندي والغارا

ويقول أيضاً (10):

أبصرت عيني عشاءً ضوء نار / من سناها عرف هندي وغار

أدنت في عرف موقدها / فأضاءت لمع كف بسوار

يروي الألوسي أنهم يوقدون النار بالنبات الطيب ليهتدي إليهم العميان (11)، وهذه دلالة ذوقهم الرفيع في استقبال الضيوف.

نرى أنّ العربي في ذلك العصر قد سما به الذوق الرفيع إلى حد أنه كان يستمتع حين يكرم ضيفه، فأضاء ناره من أجل الضيفان، وعطرها بالطيب وبهرها بالمطيبات ترحيباً بالضيوف .

وهذا حاتم الطائي يطلب من غلامه أن يوقد النار في ليل الريح العاتية والبرد الشديد، ويعده إن حلّ بسبب هذه النار ضيف أن يعتقه، فيقول (12):

أوقِد فَإِنَّ اللَيلَ لَيلٌ قَرٌّ / وَالريحَ يا موقِدُ ريحٌ صِرُّ

عَسى يَرى نارَكَ مَن يَمُرُّ / إِن جَلَبَت ضَيفاً فَأَنتَ حُرُّ

ومن الإشارة الدالة على الذوق الرفيع الذي بلغه هذا الإنسان مع ضيفه أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل إكرام الضيف يقول الشاعر (13):

مطيّة الضّيف عندي تلو صاحبها / لن يأمن الضّيف حتى تكرم الفرسا

فهذا التصرف مدعاة إلى ارتياح الضيف إلى أقصى درجات الراحة.

ومن آداب الذوق الرفيع اهتمام العربي بالابتسامة وانطلاق الوجه بالبشر والتهليل وهو يقدم العطاء للمحتاج؛ حتى لكأنه – وهو يعطي – يكون الآخذ والحاصل على المعروف، يقول زهير ابن أبي سلمى في مدح حصن بن حذيفة الفزاري (14):

تَراهُ إِذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعطيهِ الَّذي أَنتَ سائِلُ

فَلَو لَم يَكُن في كَفِّهِ غَيرُ نَفسِهِ / لَجادَ بِها فَليَتَّقِ اللَهَ سائِلُه

فقد اهتم العربي ببشاشة الوجه وهذه سجية من أرقى درجات الذوق الرفيع وخاصة إذا كانت في أثناء تقديم المعروف، فهذا أمية بن أبي الصلت يذكر ممدوحه ببشاشة الوجه، فيقول (15):

إلى مَلِكٍ أدرَّ لنا العطايا / بُحسن بشاشة الوجه الطليق

وكما نعلم أنّ الناس تحب ليّن الجانب، باسط الوجه، والقلوب تقبل على من تواضع لها، وهذه السجايا من علامات الذوق الرفيع.

فالكرم من القيم الأخلاقية التي لها وقعها الكبير في النفوس وهو من الأخلاق العريقة التي عرفت منذ الأزل، وهو في مقدمة الفضائل التي يحب العربي أن يتحلى بها، فما ساد أحد في الجاهلية ولا في الإسلام إلا كان من كمال سؤدده إطعام الطعام، وإكرام الضيف في طلاقه الوجه، وطيب الكلام.

ومن الذوق الرفيع أن يبذل الغالي والنفيس في سد جوع عابر أو ضيف نازل، وإثاره على نفسه في أحيان كثيرة يقول حاتم الطائي (16):

وَإِنّي لَعَبدُ الضَيفِ ما دامَ ثاوِياً / وَما فِيَّ إِلّا تِلكَ مِن شيمَةِ العَبدِ

وهذا عروة بن الورد يتغنى بذوقه الرفيع وهو يقول في شعر له، إن فراشه فراش الضيف، وأن بيته بيت للضيوف، يجالس الضيف ويحادثه، فالحديث جزء من القرى (17):

فِراشي فِراشُ الضَيفِ وَالبَيتُ بَيتُهُ / وَلَم يُلهِني عَنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ

أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَديثَ مِنَ القِرى / وَتَعلَمُ نَفسي أَنَّهُ سَوفَ يَهجَعُ

أما طرفة بن العبد فيشيد بفضائل قبيلته وقد خلع على قومه صورة مثالية للذوق الرفيع وللكرم والنجدة فيقول (18):

إِنّي مِنَ القَومِ الَّذينَ إِذا / أَزِمَ الشِتاءُ وَدوخِلَت حُجَرُه

يَوماً وَدونِيَتِ البُيوتُ لَهُ/ فَثَنى قُبَيلَ رَبيعِهِم قِرَرُه

رَفَعوا المَنيحَ وَكانَ رِزقُهُمُ / في المُنقِياتِ يُقيمُهُ يَسَرُه

تَلقى الجِفانَ بِكُلِّ صادِقَةٍ / ثُمَّت تُرَدَّدُ بَينَهُم حِيَرُه

كما أدرك الشاعر أهمية الذوق الرفيع وعرف قيمته وحاجة السادة إلى إذاعة محامدهم ونشر فضائلهم بأشعار تجعلهم يهتزون تيهاً وطرباً، فتحملهم على العطاء والبذل، فهذا طرفة بن العبد يرسم صورة إنسانية من ذوقهم الرفيع يمدح فيها قتادة بن مسلمة الحنفي مؤكداً ذوقه الرفيع قائلاً (19):

أَبلِغ قَتادَةَ غَيرَ سائِلِهِ / مِنهُ الثَوابَ وَعاجِلَ الشَكِمِ

أَنّي حَمِدتُكَ لِلعَشيرَةِ إِذ / جاءَت إِلَيكَ مُرِقَّةَ العَظمِ

أَلقَوا إِلَيكَ بِكُلِّ أَرمَلَةٍ / شَعثاءَ تَحمِلُ مَنقَعَ البُرمِ

فَفَتَحتَ بابَكَ لِلمَكارِمِ حي / نَ تَواصَتِ الأَبوابُ بِالأَزمِ

وَأَهَنتَ إِذ قَدِموا التِلادَ لَهُم/ وَكَذاكَ يَفعَلُ مُبتَني النِعَمِ

فَسَقى بِلادَكَ غَيرَ مُفسِدِها / صَوبُ الغَمامِ وَديمَةٌ تَهمي

يقدم الشاعر الشكر إلى صاحب الذوق الرفيع والفضل الذي تفضل على عشيرته حين أصابتها سنة مجدبة، ففتح لهم قتادة أبوابه، وأغدق عليهم العطاء في هذا الوقت الشديد على الناس، ودعا الشاعر أن تظل دياره عامرة خصبة كثيرة الخير ليقصدها كل محتاج، نلمس من خلال هذه الصورة الرائعة أن مديح طرفة نابع من قلب صادق، تشيع فيه أنداء المودة، ويفوح منه عبير الوفاء والعرفان لقتادة الذي يعد من أجواد العرب.

وهذا زهير بن أبي سلمى يقول في مدحه لصاحب الذوق الرفيع هرم بن سنان الذى لا يسد أبوابه بوجه سائل أو محتاج، ولذلك وجد الطالبون إلى أبوابه طرقهم حيث يقول (20) :

قَد جَعَلَ المُبتَغونَ الخَيرَ في هَرِمٍ / وَالسائِلونَ إِلى أَبوابِهِ طُرُقا

هُوَ الجَوادُ فَإِن يَلحَق بِشَأوِهِما / عَلى تَكاليفِهِ فَمِثلُهُ لَحِقا

ويمدح أيضاً حصن بن حذيفة، لأنّ فواضله وعطاياه لا تنقطع عمن يطلبون من عنده، وهو لا تتلف الخمر ماله بل عطاؤه، وهو يستبشر بمن يطلب منه، فكأنه يعطيه ما يطلب منه، فيقول (21):

وَأَبيَضَ فَيّاضٍ يَداهُ غَمامَةٌ عَلى مُعتَفيهِ ما تُغِبُّ فَواضِلُه

أَخي ثِقَةٍ لا تُتلِفُ الخَمرُ مالَهُ / وَلَكِنَّهُ قَد يُهلِكُ المالَ نائِلُه

تَراهُ إِذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلاً / كَأَنَّكَ تُعطيهِ الَّذي أَنتَ سائِلُه

يمدح زهير صاحب الذوق الرفيع والخلق الكريم، وصفات الخير التي يحملها، يقول طه حسين الذي أسرف في تبيان إعجابه بمدح زهير بن أبي سلمى: " كان مدحه خليقاً أن يبقى وأن يحفظه الناس؛ لصدقه وارتفاعه عن السخف وبعده عن الإحالة وتوخيه هذه الخصال التي يحبها الناس، ويحبها العرب خاصة" (22).

كما وصف زهير حصن بن حذيفة الفزاري في هذه الأبيات بالعفة؛ لقلة إمعانه في اللذات ولذوقه الرفيع حيث لا ينفد ماله فيها، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات، وعده من رجال الخير والإصلاح.

المبحث الثالث: نماذج من صفات الخير التي يحملها ذو الذوق الرفيع

الذوق الرفيع من صفات الخير التي يحملها هرم بن سنان حيث جعل بيته أوسط البيوت يقول زهير (23):

يَسِطُ البُيوتَ لِكَي يَكونَ مَظِنَّةً / مِن حَيثُ توضَعُ جَفنَةُ المُستَرفِدِ

حَزماً وَبِرّاً لِلإِلَهِ وَشيمَةً/ تَعفو عَلى خُلُقِ المُسيءِ المُفسِدِ

ويبدو أنّ زهير بن أبي سلمى رأى في صفات هرم بن سنان والحارث بن عوف أكمل صورة للسيد البدوي، فزهير ذو ذوق بدوي رفيع، يمدح وفق ما تمليه عليه صفات الممدوح إذ يقول: " إن بيته يتوسط البيوت ليكون معلماً لضيفانه طالب الرفد وهذه من صفات الكرم وكثرة الضيافة والاستعداد للضيفان والمبالغة في برّهم وإكرامهم.

من هنا يتضح لنا أنّ العربي في العصر الجاهلي قد سما به الذوق الرفيع إلى حد أنه كان يستمتع حين يكرم ضيفه، وهذا

دليل نشوته في هذا الصنيع المتقدم في السلوك القويم والذوق الرفيع.

ومن ذوقهم الرفيع ومكارم أخلاقهم حفظ غيبة الجار في زوجه، وفي ذلك يقول حاتم الطائي (24):

فَلا وَأَبيكَ ما يَظَلُّ ابنُ جارَتي / يَطوفُ حَوالَي قِدرِنا ما يَطورُها

وَما تَشتَكيني جارَتي غَيرَ أَنَّها / إِذا غابَ عَنها بَعلُها لا أَزورُها

إنّ مكارم الأخلاق نتاج أجيال وأجيال، وخلاصة تاريخ أمة صاغها الشعراء في شعرهم قصائد حية نابضة تعبّر عن موروثهم الإنساني في ذلك العصر، باعتبار أن الشعر يرسم صورة للواقع ومرآة تعكس لنا الحال آنذاك.

كما بلغ الذوق الرفيع عندهم أنهم لا يفرقون بين الغني والفقير وبلغ تواضعهم أنهن يخالطون الفقير المعدم، وأخلاقهم حميدة، يقول حسان بن ثابت مادحاً ملوك الغساسنة (25):

لِلَّهِ دَرُّ عِصابَةٍ نادَمتُهُم / يَوماً بِجِلَّقَ في الزَمانِ الأَوَّلِ

الضارِبونَ الكَبشَ يَبرُقُ بَيضُهُ / ضَرباً يَطيحُ لَهُ بَنانُ المَفصِلِ

وَالخالِطونَ فَقيرَهُم بِغَنِيِّهِم / وَالمُنعِمونَ عَلى الضَعيفِ المُرمِلِ

ولعل من أبرز مكارم الأخلاق والذوق الرفيع في ذلك العصر خلق العفة، والذي يعد ثمرة حقيقية لما أدركه الجاهليون، ومن أبرز ما يشير إلى احتفائهم بخلق العفة قول عنترة (26):

أَغشى فَتاةَ الحَيِّ عِندَ حَليلِها / وَإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشاها

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي / حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ / لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها

وفي ذلك دلالة على أنّ الذوق الرفيع يرتقي لأسمى درجات العفة من حيث البعد عن الشبهات وغض البصر، وكف النفس عن الانقياد لوسواس الشهوة، وقد طرح عنترة قبيل هذه الأبيات مظهراً من الذوق الرفيع وهو عدم مراودته لأي امرأة في الحرام حتى يوفي وليها مهرها في الحل، ذلك قوله (27):

ما اِستَمتُ أُنثى نَفسَها في مَوطِنٍ/ حَتّى أُوَفّي مَهرَها مَولاها

بل يرى زهير أنّ من الذوق الرفيع الحفاظ على العرض ويثبت لها الأسبقية والأفضلية عن كل القيم يقول (28):

وَمَن يَجعَلِ المَعروفَ مِن دونِ عِرضِهِ / يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّقِ الشَتمَ يُشتَمِ

وتبعاً لذلك المعنى يقرر زهير أن المتهاون في صيانة عرضه يعيش أبد الدهر محتقراً مرذولاً بين الناس ذلك في قوله (29):

وَمَن لا يَصُن قَبلَ النَوافِذِ عِرضَهُ / فَيُحرِزَهُ يُعرَر بِهِ وَيُخَرَّقِ

ومن الذوق الرفيع عندهم أن تكون العفة وما يتعلق بها من صيانة العرض من القيم المطلقة، وليست مجرد خلق يمتدح به، ومن هذا المنطلق كانت كراهتهم للدعارة وما يتصل بها، يشير إلى ذلك طرفة بن العبد في نهيه عن مصاحبة البعيد عن العفة الممارس للدعارة حيث يقول (30):

وَقِرافُ مَن لا يَستَفيقُ دَعارَةً / يُعدي كَما يُعدي الصَحيحَ الأَجرَبُ

ولم يغب عن النظر الجاهلي كون العفة من علامات تدين أهل الأديان السماوية، الأمر الذي ظهر في مدح النابغة للغساسنة – وهم نصارى – بالتعفف بطريقة غير مباشرة، يقو (31):

رِقاقُ النِعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُم / يُحَيّونَ بِالريحانِ يَومَ السَباسِبِ

ومن الذوق الرفيع الذي عرفه الجاهلي أيضاً الأمانة وقد شاع في شعرهم الندب على الحفاظ عليها والوفاء بها، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى مفتخراً بحفظه للأمانة (32):

وَحِفظي لِلأَمانَةِ وَاِصطِباري عَلى ما كانَ مِن رَيبِ الزَمانِ

ولا غرو أن خلق الأمانة كان ثمرة للذوق الرفيع، ويفتخر لبيد بن ربيعة بحفظ قومه للأمانة ووفائهم بها، يقول (33):

وَإِذا الأَمانَةُ قُسِّمَت في مَعشَرٍ / أَوفى بِأَوفَرِ حَظِّنا قَسّامُها

وقد عرف الجاهليون طرفاً من الذوق الرفيع المتمثل في صلة الرحم كخلق دال على التراحم بينهم، إذ إنّ العصبية القبلية كانت هي الجذر الأساس لذلك الخلق، ومن المواضع المشيرة إلى هذا الخلق قول زهير بن أبي سلمى مادحاً حصن بن حذيفة الفزاري الذي يصل ذوي النسب البعيد بكثرة معروفه حتى يغنيهم فيتفضلون به على غيرهم لغناهم منه (34):

وَذي نَسَبٍ ناءٍ بَعيدٍ وَصَلتَهُ / بِمالٍ وَما يَدري بِأَنَّكَ واصِلُه

ويثبت زهير ذوقه الرفيع في موضع آخر بحسن صنيعه مع رحمه، برغم عدم معاملة هذا الرحم له بالمكافأة بالمثل، فيقول (35):

وَمَولىً قَد رَعَيتُ الغَيبَ مِنهُ / وَلَو كُنتُ المُغَيَّبَ ما قَلاني

ومن ذوقهم الرفيع الذي عرفوه الحلم والصدق واللذان يعدان ثمرة لهذا الذوق الذي يغلب العقل والأناة على السلوك، ومن المواضع التي جمعت بين الحلم والصدق قول زهير بن أبي سلمى (36):

وَفي الحِلمِ إِدهانٌ وَفي العَفوِ دُربَةٌ / وَفي الصِدقِ مَنجاةٌ مِنَ الشَرِّ فَاِصدُقِ

وهذا طرفة بن العبد يبرز ذوقه الرفيع ويمتدح خلق الصدق ويستقبح الكذب في قوله (37):

وَالصِدقُ يَألَفُهُ الكَريمُ المُرتَجى / وَالكِذبُ يَألَفَهُ الدَنيءُ الأَخيَبُ

وقد أشار الجاهليون إلى ذوقهم الرفيع وبراعتهم في صياغته، ومدحهم خلق (الوفاء للصديق) وندبوا عليه، ومن ذلك قول النابغة (38):

وَاِستَبقِ وِدَّكَ لِلصَديقِ وَلا تَكُن / قَتَباً يَعَضُّ بِغارِبٍ مِلحاحا

وكذا قول زهير بن أبي سلمى (39):

أَبيتُ فَلا أَهجو الصَديقَ وَمَن يَبِع / بِعِرضِ أَبيهِ في المَعاشِرِ يُنفِقِ

وأيضاً في قوله (40):

أَكُفُّ لِساني عَن صَديقي وَإِن أَجَأ / إِلَيهِ فَإِنّي عارِقٌ كُلَّ مَعرَقِ

وقد أشار امرؤ القيس إلى ذوقه الرفيع في حفظ اللسان في قوله (41):

إِذا المَرءُ لَم يَخزُن عَلَيهِ لِسانَهُ / فَلَيسَ عَلى شَيءٍ سِواهُ بِخَزّانِ

أما النابغة فقد دل على الذوق الرفيع في امتداحه خلق الرفق في قوله (42):

فَالرُفقُ يُمنٌ وَالأَناةُ سَعادَةٌ / فَتَأَنَّ في رِفقٍ تَنالُ نَجاحا

كما كان من ذوقهم الرفيع استهجانهم لبعض السلوكيات والأخلاق لتعارضها مع ما قر في أذهانهم من مكارم الأخلاق، ومن ذلك استقباحهم للظلم الأمر الذي قصده زهير بن أبي سلمى على حبّه للسلام بقوله (43):

وَمَن لا يَذُد عَن حَوضِهِ بِسِلاحِهِ / يُهَدَّم وَمَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ

إلا أنّ طرفة بن العبد يشنع ذلك السلوك بذوقه الرفيع موضحاً مغبته مستشهداً بما

حدث بين بكر وتغلب من حروب بسبب الظلم، يقول (44):

وَالظُلمُ فَرَّقَ بَينَ حَيَّي وائِلٍ / بَكرٌ تُساقيها المَنايا تَغلِبُ

قَد يورِدُ الظُلمُ المُبَيَّنُ آجِناً / مِلحاً يُخالَطُ بِالذُعافِ وَيُقشَبُ

وهذا زهير بن أبي سلمى يرسم ملامح شخصيته التي هي أصل كل إنسان أبي كريم من خلال ذوقه الرفيع، فيقول (45):

أَبيتُ فَلا أَهجو الصَديقَ وَمَن يَبع / بِعِرضِ أَبيهِ فِي المَعاشِرِ يُنفِقِ

أَكُفُّ لِساني عَن صَديقي وَإِن أَجَأ / إِلَيهِ فَإِنّي عارِقٌ كُلَّ مَعرَقِ

وَفِي الحِلمِ إِدهانٌ وَفِي العَفوِ دُربَةٌ / وَفِي الصِدقِ مَنجاةٌ مِنَ الشَرِّ فَاِصدُقِ

وَمَن يَلتَمِس حُسنَ الثَناءِ بِمالِهِ / يَصُن عِرضَهُ مِن كُلِّ شَنعاءَ موبِقِ

وبعد هذا العرض والشواهد الغنية ألا يأخذنا الأعجاب ويشدنا للتوقف عند هذا الشعر العظيم بمعانيه والقوي بأساليبه.

فقد نبت هذا الشعر في تربة خصبة وأعطى ثمرة ناضجة من الذوق الرفيع لحياتنا وقيمنا، وهل هناك أسمى من هذه القيم التي تهذب النفس وتصقلها؟ ألم يحث ديننا الإسلامي الحنيف عليها؟

لقد صور الشعراء لنا مواقف إنسانية راقية نابعة من جوهر التعاليم الإسلامية السمحة، على الرغم من عدم إدراكهم الإسلام وفي ذلك دلالة على ما لهؤلاء الشعراء من أخلاق حميدة ونفوس كبيرة استمدوها من فطرتهم السليمة وذوقهم الرفيع.

الخاتمة:

نستطيع أن نتبين بوضوح مدى ما وصل إليه بحثنا من نتائج مبهرة، وبخاصة أن العرب كانوا أصحاب ذوق رفيع وحس مرهف، ولذلك صبغوا أشعارهم بصبغة أدبية فخرجت في أجمل صورة، مما غرس في نفوسنا الميل الشديد إلى حب كل تصرف حميد يحمل معاني إنسانية راقية وذوقاً رفيعاً وإحساساً فنياً صادقاً.

- اتضح لنا أنّ العربي القديم كان أكثر ذوقاً وتأدباً في معاملة الآخرين، وهذا ما أكده شعرنا القديم.

- أنّ الذوق الرفيع يمثل قيمة إنسانية سامية، فالعربي صاحب إحساس مرهف وذوق رفيع جعله يمنح غيره أعز ما يملك دون منة أو تردد، كما بلغ بهم الذوق أن يطيبوا نيرانهم التي تجلب لهم الأضياف.

- ومن آداب الذوق الرفيع اهتمام العربي بالابتسامة وانطلاق الوجه بالبشر والتهلل وهو يقدّم العطاء للمحتاج.

- اتضح أنّ العربي كان أكثر ذوقاً وتأدباً في تعامله مع الآخرين، وهذا ما أكده شعرنا القديم .

- في آيات القرآن الكريم ما يتجلى فيها مظاهر الذوق الرفيع والأدب وفن التعامل مع الآخرين في أسمى صوره ومعانيه، فديننا الحنيف يجمع بين القيم والمثل الإنسانية التي تجسد الصورة المثلى للأخلاق الحميدة والذوق الرفيع.

- ومن الذوق الرفيع عندهم أنّ العفة وما يتعلق بها من صيانة العرض من القيم المطلقة، وليست مجرد خلق يمتدح به.

- ثبت ذوقهم الرفيع في عدة نواح منها الأمانة والوفاء والحلم والصدق وصلة الرحم، وكلها ثمرة لهذا الذوق ودلالة على ما لهؤلاء الشعراء من أخلاق حميدة ونفوس كبيرة، استمدوها من فطرتهم السليمة وذوقهم الرفيع.

الهوامش:

* أستاذ مشارك - جامعة بنغازي / كلية التربية / قسم اللغة العربية - بنغازي 2019م

5- سعيد منصور، القيمة الخلقية في الخطابة العربية، ص 39.

6- ديوان عامر بن الطفيل، ص 16.

7- زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 210 – 213.

8- القالي، الأمالي 2 / 203.

9- العبادي، الديوان، ص 51.

10- المصدر نفسه، ص 93.

11 -الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 2 / 161.

12 -حاتم الطائي، ديوان شعره وأخباره، ص 271.

13 -الأبشيهي، المستطرف في كل مستظرف، ص 249.

14 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 68.

15 -ابن أبي الصلت، الديوان، ط2، ص 426.

16 -حاتم الطائي، الديوان، ص 9.

17 -عروة بن الورد، الديوان، ص 22.

18 -طرفة بن العبد، الديوان، ص 128 – 129.

19 -المصدر نفسه، ص 145 – 146.

20 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 46 – 49.

21 -المصدر نفسه، ص 111.

22 -طه حسين، المجموعة الكاملة المجلد 2، ص 114.

23 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 198. يسط البيوت: أوسطها، المسترفد: الذي يسأل الرفد والمعونة.

24 -حاتم الطائي، الديوان، ص 247. يطورها: يدنو منها.

25 -حسان بن ثابت، الديوان، ص 247. جلق: قيل هي دمشق، وقيل موضع بقربها / البيض: جمع بيضة وهي الخوذة، بنان المفصل: أطراف الأصابع.

26 -عنترة بن شداد، الديوان، ص 308.

27 -المصدر نفسه، ص 307.

28 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 30.

29 -المصدر نفسه، ص 252.

30 -طرفة بن العبد، شرح الديوان، ص 112.

31 -النابغة الذبياني، الديوان، ص 58.

32 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 348.

33 -لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 180.

34 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 143.

35 -المصدر نفسه، ص 349.

36 -المصدر نفسه، ص 252.

37 -طرفة بن العبد، شرح الديوان، ص 113.

38 -النابغة الذبياني، الديوان، ص 67.

39 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 250.

40 -المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

41 -امرؤ القيس، الديوان، ص 90.

42 -النابغة الذبياني، الديوان، ص 67.

43 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 30.

44 -طرفة بن العبد، شرح الديوان، ص 112.

45 -زهير بن أبي سلمى، شرح الديوان، ص 67.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850)، المستظرف في كل مستظرف، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي 1224هـ – 2007م، دار الحديث، القاهرة.

2- الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ط3، 1342هـ.

3- ابن أبي الصلت، أمية، الديوان، جمع وتحقيق ودراسة صنعة عبد الحفيظ السطلي، 1977م، ط2.

4- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، طبعة مصورة من طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت).

5- ابن أبي سلمى، زهير (ت 609هـ)، شرح الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، 1379هـ، 1960م.

6- إبراهيم أنيس، ود. عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط أشرف على الطبع حسن علي عطية، محمد شرف أمين، مطبعة دار الأمواج، بيروت، لبنان 1407هـ، 1987م.

7- القالي، أبو علي، الأمالي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبان 1407هـ، 1987م.

8- ابن الورد، عروة، الديوان، شرح ابن السكيت، يعقوب بن اسحق (ت 244هـ)، حققه وأشرف على طبعه، ووضع فهارسه عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق (د.ت).

9- ابن طفيل، عامر، الديوان.

10- الطائي، حاتم، الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، مكتبة دار صادر، بيروت، 1953م.

11- ابن العبد، طرفة (ت 564هـ) الديوان، دار صادر دار بيروت، 1380هـ، 1961م.

12- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة 1984م.

13- العبادي، عدي بن زيد، الديوان، حققه د. جمعة محمد جبار المعيد، 1965، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد.

14- ابن ثابت، حسان، شرح ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، ط3، بيروت 1983م.

15- ابن شداد، عنترة، الديوان، تحقيق ودراسة د. محمد سيد مولوي المكتب الإسلامي، بيروت ط2، 1983م.

16- ابن ربيعة، لبيد بن ربيعة العامري، د. يحيى الجبوري، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد، مطابع التعاونية اللبنانية، بيروت ط1، 1970م.

17- الذبياني، النابغة، الديوان تقديم وشرح وتعليق د. محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1996م.

18- سعيد حسين منصور: القيم الخلقية في الخطابة العربية الهيأة العامة للكتاب 1979م.

19- عيد سعيد يونس: التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب، ط 2006م.

20- فتحي عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1976م.

21- طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1982م.

22- الألباني، صحيح سنن الترمذي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف 1419هـ، 1998م، ط1.

23- البخاري

الرواية التاريخيّة وأسئلة الحاضر المعقّدة

فراس حج محمد (فلسطين)

الرواية ليست عملاً سهلاً مطلقاً، لاسيما أنّها تعتمد على التخييل الكامل، وما يفرضه ذاك التخييل من استحضار الملكات جميعها وتجلّي الموهبة في أصفى تجلّياتها، بحيث يشعر القارئ أنّه يعيش وسط عالم حقيقيّ؛ له علاقاته المعقّدة وشخصيّاته المفكّرة والحيّة الفاعلة، عالم منقول من الورق إلى الذهن والشعور. العمليّة بهذه الشاكلة تستدعي النباهة والذكاء، وشيئاً من الإحاطة على أقلّ تقدير .

هذا الأمر في بناء الرواية المطلقة غير المقيّدة بسيرةِ شخصٍ، أو بوقائع تاريخيّة محدّدة، أسهل على أصحاب الموهبة السرديّة، أصحاب الملكة التخيّلية التخييليّة العظيمة من بناء رواية تاريخيّة، تقوم على شخص عاش في حقبة معيّنة، وما يزيد الأمر صعوبة أحياناً قلّة تلك المصادر التي توفر معلوماتٍ كافية لبناء عالم روائيّ محكم، ولذلك فإنّني أرى أنّ بناء رواية على حدث تاريخيّ أشدّ صعوبة من رواية قائمة على التخييل المطلق، لما يحتاجه الروائيّ من تطويع ملكاته دون أن يخسر منها شيئاً لخدمة أمر محدّد سلفاً .

العمليّة مرهقة، وتكتنفها كثير من المصاعب، فلا يستطيع الروائيُّ التلفيق أو الاختراع في الأحداث الكبرى التي تحكم الرواية، ولكنّه معنيّ بالاستفادة منها قدر ما يخدم الفنّ الروائيّ، فالروائيّ- وإن لم يكن تاريخيّاً ولا مؤرّخاً- إلّا أنّه لا يحقّ له مخالفة التاريخ أو نقضه إلّا في حالات فانتازيّة محدّدة الهدف ومبررة فنّيّاً، ولهذا شأن آخر غير ما أنا بصدد الحديث عنه في هذه الوِقفة التمهيديّة.

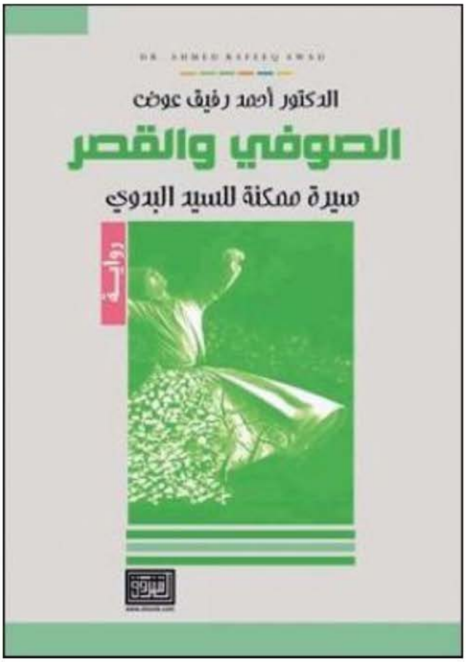
ثمّة أمر آخر لا بدّ من الإشارة إليه فيما يتّصل بالرواية التاريخيّة، ألا وهو النوازع الشخصيّة الدافعة للكاتب لأنْ يتناول قضيّة تاريخيّة ليكتبها على شكل رواية، إنّها طريقته الفنّيّة في مواءمة الماضي مع الحاضر، وقراءة الحاضر قراءة متعمّقة بناء على السيرورة التاريخيّة، كأنّ التاريخ يعيد نفسه. إنّ كُتّاب الروايات التاريخيّين لا يكتبون من أجل إحياء التجربة الخاصّة الماضية للحدث وللشخصيّات دون أهداف شخصيّة بحتة أوّلاً. إنّهم يمارسون عمليّة التناظر بين واقعين، إنّهم يطمحون إلى إدانة الواقع وتعريته بطريقة غير مباشرة. إنّهم يختبئون خلف دروع التاريخ والسرد والتخييل الروائيّ التي تحميهم من المساءلة. أعتقد أنّ هذه المسألة مهمّة جدّاً، وخاصّة في إدانة الواقع سياسيّاً واجتماعيّاً كما فعل ذلك الروائيّ أحمد رفيق عوض في روايته "الصوفي والقصر- سيرة ممكنة للسيّد البدوي .*"

في هذه الرواية الكثير من النوازع الشخصيّة للكاتب، والكثير من إدانته للواقع، وقد كشفت عنها الرواية بكلّ عناوينها التي امتدّت إلى ثماني عشرة عنواناً التي حاولت تقديم مقترح ممكن لسيرة المتصوّف أحمد بن علي بن يحيى الحجازي الذي عاش في فترة الحروب الصليبيّة، وعاصر أحداثاً كبرى وشارك في بعضها، وسافر إلى كلّ تلك الأماكن التي صارت عناوين لفصول هذه الرواية، موظّفاً لغة قريبة من الواقع الذي تتحدّث عنه، فليست هي اللغة المعاصرة تماماً، ولا هي اللغة التراثيّة التي تجعل القارئ مصاباً بعقدة الانفصام اللغويّ عن الواقع، فقد أدّت اللغة بهذه الكيفيّة دوراً مهمّاً في توصيل رسالتها والدلالة على قضيّتها المركزيّة.

ما يلفت النظر ابتداءً في هذه الرواية المتكاثرة الأحداث والمتعدّدة الأماكن والشخوص، أنّ سيرة صاحبها- كما أشار الروائيّ في البداية- "لا تتعدى فقرات قليلة متناثرة في الكتب" (ص7)، ولذلك فالمسألة ليست سهلة، في تناول شخصيّة غامضة تاريخيّاً، بمعنى أنّها ليست محوراً في الكتب أو المصادر؛ ما يعني أنّ هذه الصفحات الممتلئة بالأحداث المتشكّلة بين دفّتي كتاب (الرواية) هي أيضاً "ممكن سرديّ" لسيرة ممكنة "تجاور وتحاور الحكايات السابقة" التي اعتمد عليها المؤلّف .

هذه الكيفيّة الممكنة من الخلق السرديّ لبناء سيرة "السيّد البدوي"، تتعدّى مهمّة ملء فراغات تاريخيّة وأحداث بسيطة هنا وهناك، بل إنّها ربّما جنحت إلى اقتراحات

شخصيّة لسيرة هذا الرجل وافتراضات حَدَثيّة وسرديّة وعلاقات أشخاص، كان لخيال الروائيّ الخصب الذي اشتغل على المادّة التاريخيّة العامّة المتّصلة بالعصر كلّه النصيب الأكبر منها، ليستطيع وضع هذا الاقتراح الجماليّ الروائيّ لسيرة شخص غير واضح تاريخيّاً إلى جعله مركز الأحداث وصانعها .



إضافة إلى أنّ هذه السيرة ممكنة على الحياة المفتوحة لصاحبها، فلم تتوقّف الرواية عند موت السيّد البدوي (أحمد بن عليّ بن يحيى)، ما يومئ إلى إمكانيّة استمراه الوجوديّ الحيويّ كشخص فاعل في الحياة، متمثّلاً في آخرين يأتون من بعده، ويعلمون على طريقته، ويكونون من أتباعه، سواء أكانوا صوفيّين أم لم يكونوا، فليس هذا المهمّ، بقدر ما خلّفه من سيرة فيها إمكانيّة الاقتداء بها أيضاً. ربّما بهذا الفهم كذلك يريد الروائيّ الدكتور أحمد رفيق عوض أن تكون هذه السيرة ممكنة، فلم تصبح حياة الشخص هي الممكن الوحيد، بل فإن العصر نفسه فيه هذه الإمكانيّة المبتغاة، بناء على ما قدّمت من الهدف من كتابة الرواية التاريخيّة.

لم يكن الحضور الممكن مقتصراً على العصر فقط، بل إنّه من الجدير بالإشارة إليه أنّ الثماني عشرة عنواناً التي بنيت منها الرواية كانت كلّها تشير إلى تلك الأمكنة التي ترى مخيّلة الكاتب أنّ هذه الشخصيّة من الممكن أن تكون قد زارتها، فليس مهمّاً عندئذٍ إن كانت زارتها كلّها أو بعضها أو لم تزرها كلّها، لكنّها استطاعت أن تقدّم بكثير من القناعة الروائيّة المتماسكة أنّها سيرة ممكنة بالفعل لهذا المتصوّف. بذلك تكتمل الصورة الشخصيّة المحوريّة لأحمد بن عليّ بن يحيى، ومن معها من شخوص آخرين والسياق التاريخيّ الزمنيّ المتتابع والأمكنة الحاضنة للأحداث جعلت من هذه السيرة سيرة ممكنة فعلاً، وقد توفّرت فيها كلّ عناصر السيرة الغيريّة، بالإضافة إلى عناصر الفنّ الروائيّ، فقد التزم الكاتب فيها "الترتيب الكرونولوجي"، فجاء "تنظيم المواقف والأحداث وفقاً لترتيب حدوثها"، (قاموس السرديات، جيرالد

برنس، ترجمة: السيد إمام، ص32) ما جعلها أكثر إقناعاً في رسم الصورة المتخيلة لهذا الصوفيّ.

والآن، ما هي الصورة التي قدّمها الروائيّ للمتصوّف السيّد البدوي؟ وماذا أراد أن يقول من خلاله؟ هذان سؤالان جديران بالبحث عن إجابتهما وبعمق في هذه الرواية، لأنّ الرواية التاريخيّة- كما قلت آنفاً- لا بدّ لها من غرض ترمي إليه، وهو غرض شخصيّ بالدرجة الأولى، فكلّ كتابة مهما ادّعى صاحبها من الموضوعيّة، فهي تحمل وجهة نظر كاتبها، شاء الكاتب الاعتراف بذلك أم لا. إنّها هي الهدف من وراء كلّ كتابة، يحاول أيّ كاتب اقتراف جرمها.

لقد برزت صورة السيّد البدوي صورة متصوّف مختلف عن غيره من المتصوّفة، متصوّف منتمٍ إلى مدرسة أبي حامد الغزالي، رحمه الله، تلك التي وضع أسسها في كتابه "إحياء علوم الدين"، تلك الصورة التي وجدت في أستاذ السيّد البدوي وشيخه عبد القادر الجيلاني، وتقوم على أنّه- والحديث هنا عن الجيلاني-: "أكل من عمله، وتعلّم الفقه وعلّمه، وبنى مدرسة، وتصدّى للسلاطين". (ص147)

وعند التفرّس في هذه الصورة تجدها هي نفسها الصورة التي يجب أن يكون عليها المثقّف الحقيقيّ بلغة أهل هذا العصر، في أن يكون الشخص المتصوّف، المثقّف، صاحب مبدأ؛ أيْ صاحب طريقة، بمعنى أنّه صاحب رؤيا، لذلك لن يتوه مهما تكالبت عليه الظروف، ولن يتغيّر مهما تغيّرت عليه الدول والأحوال، تماماً كما هو السيّد البدوي، فقد عاش في كلّ تلك الأمكنة ولم يذب فيها ولم يتغيّر، وظلّ وفيّاً لفكرته التي آمن بها. هذه أولى دعائم المفكّر الأصيل أو المثقّف الحقيقيّ الذي بنى نموذجه أحمد رفيق عوض في هذه الشخصيّة، أضف إلى أنّه أيضاً لا يمالئ حاكماً ولا يسير في ركابه ولا يمدحه ولا يواطنه إلّا بقدر ما يتّفق مع مبادئه. كما أنّه ليس معتزلاً كبقيّة الصوفيّة بل كان مع الناس الكادحين والفقراء، بلغة الاشتراكيّة المعاصرة، يعمل معهم ولأجلهم على بصيرة، ولا يخصّ نفسه بشيء عنهم سواء أكانوا من مريده أم كانوا من الناس العاديّين، لم يكن يأمرهم بأمر دون أن يكون في مقدّمتهم، شجاع في قول الحقّ وشجاع في الحرب والقتال، لا يريد المال ولا المتاع إلّا بقدر حاجته، بل إنّه يرفض أعطيات الولاة والسلاطين. ممتلئٌ يقيناً في كلّ مراحل حياته، وإن لم يكن له رفقاء وأعوان. إضافة إلى كلّ ذلك تميّزت لغة الشيخ أحمد بالوضوح، بعيداً عن شطحات الصوفيّة، فقد كان في كلّ مجلس لا يتحدّث إلّا بما يُفهم ويُدرك مقصده بشكل مباشر، فلا يحتاج أحد إلى أن

يشرحه أو يفسّره أو يختلف على تأويله. بمعنى أنّه ذو خطاب واضح لا لَبْس فيه، ولا يحتمل المراوغة.

إنّها صورة مثاليّة لعالم وعابد ومجاهد وتقيّ وصوفيّ، جلبت له هذه الصورة الكثير من المعجبين والعديد من الحاسدين، لكنّه كان مثالاً واقعيّاً مقنعاً إلى حدّ بعيد، وحتّى وإن لم يكن كذلك في كلّ أموره في الواقع، إلّا إنّ رسالة الرواية غير المباشرة تطمح أن تكون صورة المثقّف هي على هذه الصورة؛ أن يكون متحدّاً مع الأمّة وقضاياها، ولا يتخلّى عنها بحجّة المكابدات الصوفيّة والمجاهدات الروحيّة، أو المشاريع الخياليّة الغارقة في الوهم، كما هو الحال عند بعض المثقّفين المعاصرين الذين يعيشون في أبراج عاجيّة ولا يعرفهم الإنسان العاديّ، ولا يشاركهم في الدفاع عن قضاياهم وتبنّيها إلّا بأنصاف المواقف، وهو خائف مرتجف أن تسلبه السلطة الحاكمة ما تمنحه إيّاه من امتيازات.

لعلّ هذه الصورة تتوضّح أكثر عندما تضيء الرواية مسألة مهمّة، وهي أنّ السيّد البدوي ليس صاحب مصنّفات وكتب وتآليف كبقيّة كبار المتصوّفة، بل إنّه ينفر من التأليف والمؤلّفات ولا يرتبط إلّا بالقرآن الكريم وبأقوال النبيّ محمّد صلى الله عليه وسلم، فهو "لم ينشغل بالفلسفة، ولم ينشغل بما قاله الهنود أو الفرس أو الإغريق، ولم يقرأ الكتب التي تفسد القلب والخاطر". (ص269) واتّفاقا مع هذه المسألة كان علم السيّد البدوي علماً لُدنيّاً، وليس علمَ كتاب، أو علماً مكتسباً، على الرغم من أنّه لا يعادي الفقهاء كونهم أصحاب علم كتابٍ مختلف عن علمه، فلا تناقض بين العلْم اللدنيّ وبين الشريعة، فظاهر الشريعة يدلّ على باطنها كما يقول. إن عدم تأليف السيّد البدوي للكتب لا يقدح في مكانته أو تأثيره في مريديه، بل على العكس، فإنّ له أتباعاً كثيرين يؤمنون به ويصدّقونه؛ فالشخص المؤثّر ليس بتصانيفه بل بتأثيره في الحياة نفسها، وفي السلوك الذي ينتهجه في هذه الحياة، وهذه أيضاً إحدى دعائم المثقّف الحقيقيّ الذي يُعرف بمواقفه وأثره في الحياة وليس في مؤلفاته، فكثير من المثقّفين الفاعلين في الحياة المعاصرة ليس لهم مؤلّفات ولا كتب إلّا إنّ لهم حضورا مؤثّراً في الجماهير، وخاصّة المعارضين السياسيّين.

تتوقّف الرواية عند عشر سنوات من عمر السيّد البدوي من اللحظة التي غادر فيها مكّة، وحتّى اشتراكه في معركة الحربيّة ومعركة المنصورة، وهي العقد الرابع من عمره، من الأربعين وحتّى الخمسين، هذه الفترة أيضاً لها الكثير من الدلالات الموحية، فهذا عمر النضوج والاكتمال

وعمر النبوّة، وعمر استقرار الأمنيات والأحلام والطموحات، فالمرء عادة يكون في هذا العمر قد حسم أموره كلّها الشخصيّة والاجتماعيّة والفكريّة والسياسيّة والعقديّة، وبالتالي فقد قدّمت الرواية نموذجاً لإنسان صلب دائماً غير متأرجح ولا هيّاب، يعرف ماذا يريد بالضبط، فرحلاته كانت موجّهة للعلّم المبنيّ على التجربة أو ما يسمّى "الاختبار الشخصيّ". أراد أن يجرّب بنفسه ما أراد أن يجرّبه، لذلك حمل وطنه معه، فقلبه هو وطنه، كما قال: "وضع الشيخ يده على قلبه وقال: هذا وطني". (ص194)

ربّما من أجل هذا وذاك لم يشعر بالغربة أو الاغتراب، ولم يظهر كشخصيّة مأزومة، بل على العكس تماماً، بدا شخصيّة تتمتّع بكلّ السلام الروحيّ والتآلف الفكريّ والانسجام مع من حوله، يألف الناس بسرعة ويألفونه، ولم تكن المصاعب لتطفئ هذا النور في فؤاده، لذلك فقد ظلّ قادراً على أن يرى الواقع جيّداً، ويساهم قدر استطاعته في تغييره، رافضاً أن يُلبسه الناس أو المخيّلة الشعبيّة صورة أسطوريّة بعيدة عن الواقع، بل يؤكّد في كلّ مرّة أنّ ما يجريه الله على يديه من كرامات ما هي إلّا أمور تقع له ولغيره حتّى للكفّار، فلم يخصّه الله بشيء، ليتميّز فيه، لذلك دائماً كان حريصاً على ألّا يُعرف أو تذكر أفعاله، وينفر من الشهرة.

لعلّ أكثر ما يميّز هذه الشخصيّة هو بعدها عن النساء، بل إنّه لم يتزوّج، ولم تكن له جوارٍ، ولم يتسرّ بأيّ واحدة منهنّ، كان في حياته كلّها وفي فترة هذه العشريّة من عمره امرأتان اثنتان واضحتان، غير تلك المرأة التي رآها في شبابه المبكّر، وظلّت تلوح له صورتها بين الفينة والأخرى. هاتان المرأتان هما فاطمتان؛ أخته، وفاطمة بنت برّي، وهما على نقيض، فأخته التي لم يتوقّف السرد عندها طويلا إلّا في البداية، بدت مثالاً للأخت الرؤوم المحبّة والقويّة، ثمّ تغيب ليحضر اسمها عرضاً في حالة التذكّر وفي مناسبات عابرة في مواضع روائيّة متعدّدة، لكنّ صورتها في الحالتين إيجابيّة، وتملأ النفس أملاً وقوّة وحناناً وحنيناً.

أمّا المرأة الثانية، فاطمة بنت برّي، فهي "امرأة وافرة الجمال، وافرة الخير والخيل، والرجال والمال، سيّدة قومها، وسيّدة أقوالها وأمرها". (ص173)، إذاً، فقد كانت امرأة فاتنة الجمال، صاحبة جاه ومنصب، حاولت أن تغوي السيّد البدوي، كما أغوت كثيرين، وكما فعلت زليخة مع سيّدنا يوسف عليه السلام، فنجا منها، كذلك الشيخ أحمد الذي لم ينج فقط من شركها، بل نجح في كبح جماحها، وردّ فتنتها، بل إنّه ساهم في أن تتراجع عن أفعالها في اختبار الرجال وإغوائهم، فقد وعدته قائلة: "أشهدك يا شيخ، أنّني لن

أفعل هذا مع زاهدٍ أبدا". (ص182)، حيث كانت تفتخر أنّ الرجال، وخاصّة الزاهدين، لا يصمدون أمام جمالها الخارق الذي وصفه كبير الحرس بقوله: "إقبالها مضيء وإدبارها مليء، امرأة مثل تلك التي نحلم بها دائماً". (ص175)

امرأة لها كلّ هذه المواصفات، ولها هذا السحر من التأثير، جمالاً ومكانة، إلّا أنّ الشيخ أحمد ينجح في الاختبار الذي وضعتْه فيه، على الرغم من أنّه قد تأثّر بها آنياً، لكنّه لم ينزلق إلى ما كانت ترجوه منه عندما قابلته، ما جعلها تتعلّق به، وتبعث له برسالة بعد ذلك فيها من التعريض بالحبّ والفراق ما فيها.

بهذه السمات تكتمل شخصيّة السيّد البدوي المتصوّف العارف بالله غير الغارق في الوهم والاعتزال، كبقيّة الصوفيّة، وهو- كما قلت- مثال طموح لمثقّف حقيقيّ معاصر مؤثّر يريد أن يقدّمه الروائيّ بهذه الطريقة المؤثّرة، وكما جاء على لسانه "أنا أريد أن أجعل الناس لا تصمت، أريد أن أمنح الناس قوّة تجعلهم يغيّرون حياتهم البائسة". (ص222)

هذا هو الجانب الشخصيّ الموضوعيّ من فكرة الروائيّ أحمد رفيق عوض مبنيّة مع النقطة الأخرى المتعلّقة بالسؤال الثاني وهو: ماذا أراد أن يقول من خلال هذه الشخصيّة؟

لم يعش السيّد البدوي في بيئة مستقرّة سياسيّاً، بل كانت كلّ البيئات التي زارها تعاني من مشاكل كبرى، اقتصاديّة واجتماعيّة، وتعيش حالة سياسيّة مزرية جدّاً، حالة من الضعف والهوان تعيشها الأمّة في تلك الحقبة، صراع داخليّ بين حكّام الولايات الإسلاميّة، وممالئة الإفرنج والتحالف معهم ضد الحكّام المسلمين، ومؤامرات ودسائس، واحتلالات متعدّدة لبلاد المسلمين، وقطاع الطرق المنتشرين في كلّ الطرق التي سافر فيها تقريباً، حيث انعدم الأمان، هذا هو الوضع الذي كان في برّ الشام، وفي بغداد، وفي مصر إلى حدّ ما، هذا واقع شبيه بحالتنا العربيّة المعاصرة، لا خلاف إلّا في الأسماء، لكنّه الوضع البائس ذاته بكلّ تفاصيله، فالقارئ عندما يقرأ الحالة في بغداد في الرواية هي الحالة ذاتها في بغداد اليوم، وفي الشام، وفي فلسطين، وفي لبنان، وفي مصر حالة تستدعي الحلّ، فكيف الخلاص؟

ظلّ السؤال معلّقاً دون إجابة قاطعة، وليس مطلوباً من الروائيّ على أيّ حال أن يقدّم إجابة، إنّما هو يصوّر ويبيّن، وعليه هو كمثقّف في موقع آخر، وكمحلّل سياسيّ أكاديميّ أيضاً أن يجد حلّاً، على الرغم من أنّ شخصيّة أحمد رفيق عوض السياسيّة لم تغب عن الرواية، فكان محلّلاً للوضع السياسيّ الراهن بأبجديّات الماضي وأحداثه، لما بينهما من تناظر حدّ التطابق

في التجريد السياسيّ العامّ، كما يقول الفكر السياسيّ، وما الأحداث المعاصرة أو التاريخيّة إلّا تجسيد لذلك الفكر، فالفكر هو هو، لكنّه يتجسّد في أشخاصٍ وأحداث تاريخيّة ينبئ تحليلها عن فلسفة تاريخيّة واحدة تحكمها، كالعلّاقة بين الحكّام والرعيّة، واعتقال المعارضين، وكالحال السياسيّة والاحتلال الأجنبيّ للبلاد، وكالحالة الاقتصاديّة المترديّة، واستئثار الحكّام بالمال والرفاهيّة، في حين أنّ الشعب يعاني من الجوع والمرض والقهر والذل. وكالأحلاف السياسيّة بين الأجانب الغرباء والعرب، وبين العرب والعرب والخلافات بين الحكّام إلى حدّ الاقتتال، وما إلى ذلك من قواسم مشتركة تجمع كلّ الأحداث ولن يضيرها أن تكون في القرن السابع الهجريّ أو كانت في القرن الواحد والعشرين الميلادي .

هنا تبدو الرواية التاريخيّة ذات مغزى سياسيّ كبير الدلالة، ولم تكن شخصيّة السيّد البدوي إلّا تفصيل صغير، وحجّة للدخول إلى هذا العالم لإدانته بشدّة والاحتجاج عليه تاريخيّاً، ما يدفع القارئ على أن يحتجّ على الماضي والحاضر معاً، فالواقعان لا يختلفان إلّا في أسماء الأشخاص الفاعلين، فليس مهمّاً اسم الحاكم والوزير، ولا في أيّ عصر يعيش، ولا في أيّ ولاية يمارس سلطته، فكلّهم سواء في الفعل وفي الجُرم.

إنّ الرواية لا تقدّم حلّاً جاهزاً وقاطعاً ونهائيّاً- كما سبق وقلت- إلّا إنّها تفتح القلب والذهن على هذا الواقع للخروج من مآزقه، ويبقى السؤال: كيف لهذا الواقع التعيس أن يتغيّر؟ على الجميع أن يبحث عن الحلّ في الواقع، وأن يتمّ استلهام حادثتي الحربيّة والمنصورة للتغيير. فهل أراد أحمد رفيق عوض أن يقول ذلك، ويعيد للشعب طاقته التغييريّة- كما سبق وذكرت أعلاه- التي أثبتت كثير من التجارب أنّها طاقة جبّارة ومؤثّرة إذا ما وجدت المثقّف الحقيقيّ الذي يقودها، كما فعل السيّد البدوي والعزّ بن عبد السلام؟ ربّما، فكلّ الاحتمالات واردة، بل وممكنة أيضاً كهذه السيرة الممكنة على المستويين الشخصيّ والجماعيّ، والتاريخيّ والراهن المعاصر

.

المتناسون

رافد علي

حدق في سيجارته وهو يصر على سحقها في المطفأة وكأنه يكتم غيظاً لم يصرح به. امتدت يده بعد أن تأكد أن السيجارة قد قضت إلى فنجان قهوته فارتشفه متأكداً أن الفنجان يمنحه آخر قطرة فيه. كانت علامات عدم الارتياح بادية على وجهه، أخرج هاتفه النقال وشرع يداعبه كأنه يقلب مذكرته اليومية، لم تجرؤ السيدة بجانبه على الكلام وكأنها تخشى المخاطرة في فتح جبهة صراع مع رجل متوتر.

نظرت إلى النادل القابع داخل المحل طالبة الفاتورة، وبعجل تقدم النادل لالتقاط آلة المخالصة المتنقلة من على بار المقهى وخرج لمحاسبة السيدة في خطى سريعة، وقف على مقربة منها يتقاضى الثمن بينما كان الرجل المتوتر يطالع الحدث. شكرها النادل، وانصرف لجمع بعض الفناجين على طاولة قريبة من ذلك الزوج الصامت بمقهى الحب والخريف.

نهضت السيدة من على كرسيها وقالت لرفيقها المتوتر في صمت وهي تصفف شعرها ناظرة انعكاس صورتها على الواجهة الزجاجية للمقهى:

-أنا ذاهبة الآن يا عزيزي.

فالتقطت حقيبتها الموضوعة على الطاولة وانحنت لتقبله مودعة، فسارع قائلاً:

-إنها ستمطر قريباً، ابقِ قليلاً.

ردت عليه وهي تنهي تقبيله قائلة:

-يجب أن أذهب لإكمال بعض الأعمال، فغداً إجازة مدفوعة الأجر، غداً عيد الموتى يا عزيزي!

انتفض الرجل القلق متذكراً أنها العطلة، وقال بصوت مسموع وهو ينهض من على كرسيه:

-علي التحرك اذاً، طالما ان الموتى سيقتلون نهاري غداً!

فقالت ممازحة:

-لا شيء أيقظك من موتك الصباحي اليوم إلا عيد الموتى، وأردفت في ابتسامة :

-حسناً إذاً يا عزيزي أراك لاحقاً!

وانصرف كل منهما في اتجاهه، ليشقا يومهما قبل حلول يوم الموتى.

مخـــاض

عبدالرحمن سلامة

أوقف سيارته أمام مستودع بناه داخل السور الكبير الذي يحيط ببيته كالطوق، نزل من سيارته وفتح ذلك المستودع وانهمك في رص صناديق الزيت والطماطم في صندوق عربته التي لها فضل كبير في ثرائه المفاجئ، وما أن فرغ من تعبئة الشحنة وربطها بحبل متين حتى ركب سيارته وانطلق بسرعة غير آبه بصراخ زوجته الحامل مكتفياً بنظرة إلى منزله وردد في نفسه: (يستر الله)، وأطلق العنان لتلك السيارة لتبدأ رحلة مكرورة صوب الشرق تشق الظلام الدامس، محدثة إطاراتها ضجيجاً تارة، وتارة يختفي هذا الضجيج عندما تدغدغ تلك الإطارات الرمال الناعمة، فلا تسمع سوى صوت احتكاك نبات المثنان الذي يلامس زجاج نافذتي السيارة، أو خشخشة حطب الرمث الذي تدوسه هذه العربة المجنونة.

كان مسرعاً وعيناه تراقبان المكان عن كثب، وأضواء البيوت التي انطلق منها تتلاشى رويداً رويداً، وكذلك نباح الكلاب، وضع يده في جيبه وأخرج علبة تبغ (مارلبورو) وأشعل سيجارة ووضعها بين أسنانه، وسحب الدخان بقوة ثم نفث دخاناً مشكلاً دوائر بيضاء ملأت المكان وتكثفت على زجاج السيارة، ولم ينتبه لرداءة الرؤية أمامه، لأن ذهنه كان مشتتاً بين التفكير في شريكة حياته التي تعاني آلام المخاض، وبين مجهول ينتظره في طريق غير آمن نحو الحدود.

كان يقلب الأمور في رأسه ويحصي الأموال التي سيجنيها من هذه الصفقة ليضعها في رصيده، ليبدأ التفكير في صفقة أخرى في مشواره لتحقيق حلم حياته، فهو كان يمني النفس ببناء قصر في مدينة طبرق، وأن يلم شتات أبنائه من أقسام الداخلي في هذه المدينة التي لا

غنى لسكان القرى المجاورة عنها، أفكار تدور برأسه، ثم تذكر أنه في مهمة خطرة فأطفأ السيجارة وشغل مساحات الزجاج لكي تتضح الرؤية أمامه.

دقائق معدودة مرت قبل أن يصل إلى ربوة محاذية للسلك الذي يفصل بلدة أمساعد الليبية عن بلدة السلوم المصرية، أوقف السيارة عندما رأى عدداً من الرجال يحملون (شيلات) فارغة ووضعوا داخلها كل هذه الصناديق وحملوها وانطلقوا مسرعين ليذوبوا في الظلمة الحالكة، بعد أن قبض من كبيرهم الذي علمهم التهريب ثمنها، ودلف راجعاً صوب بيته كالسهم، وكان يدعو الله أن يجد زوجته في حالة طيبة ويحاول الوصول في وقت قصير، فهو يعلم أن بلدته تخلو من طبيب ولادة متخصص، وأن القابلة التي بالحي ذهبت منذ أيام إلى الأراضي المقدسة لأداء العمرة.

نظر إلى ساعته وجدها تقترب من الرابعة صباحاً وخيوط الفجر بدأت تتشكل خلفه، بينما أضواء بلدته شرعت في رسم علامات إصرار للوصول في زمن قياسي، كان يحاول أن يسبق الزمن ويدور في براح الأسئلة، هل سيجد زوجته في حال طيب؟ أم أن لعنة التهريب قد حلت ببيته؟ وما أن وصل إلى ذاك البيت حتى دخل مسرعاً، لتهدأ نفسه عندما وجدها على قيد الحياة، فحملها بين ذراعيه ووضعها على مقعد السيارة بجانبه وعمد مدينة طبرق محاولاً قطع مسافة مائة وأربعين كيلو متراً في أقل زمن ممكن، كان يحاول تفادي السيارات المحاذية والمواجهة له في الطريق الضيق، ينظر أمامه ودقات قلبه تتصاعد، وأذناه أصمهما صراخ زوجته التي تقبض على مسند المقعد بكل قوة أحياناً، وتحاول أن تمسك يد زوجها اليمنى من شدة ما تعاني أحياناً أخرى، لكنه في كل مرة ينتزع يده منها انتزاعاً خوفاً من أن تنقلب بهما السيارة، وقبل أن يقطع نصف المسافة انقطع صراخ زوجته فجأة، ليسمع بعدها صراخ مولوده بين رجليها، أصابه ذعر شديد، وأوقف السيارة على يمين الطريق، وكان مرتبكاً، نظرت إليه زوجته بعد أن حملت وليدها وقالت له: مبارك عليك ابنتك!!

سينما لاجيتيه

من متوالية قصصية بعنوان (مقامات زمن العنبر)

محمد عبدالوارث (مصر)

سينما لاجيتيه مِلك لعائلة يونانية، وهي تقع في منتصف شارع لاجيتيه (أي البهجة) الموصل الى محطة ترام الإبراهيمية. وعلى بعد أمتار منها يقع مسرح (اللونابارك) ومعناه (ساحة آلهة القمر) عند اليونانيين، والذي طالما شهد عروضاً مسرحية رائعة على أيامنا.. فؤاد المهندس (السكرتير الفني) فريد شوقي (شارع محمد علي)، عادل إمام (شاهد ما شافش حاجة).. لكن فؤاد المهندس كان هو الأكثر تقديماً لمسرحياته في اللونابارك.

ليوم الخميس فعل السحر في نفوسنا فبعد أن ننتهي من مباريات الكرة. فجأة يخلو ملعب المعسِل تماماً وكأن لا أحد كان هنا يلعب أو يصرخ او ينادى زميله ليبادله الكرة، أو يلفته لخطأ ما، أو يصيح مهللاً فرحاً لهدف أُحرز.. سكون وصمت خيم على الملعب الذي خلا من الحياة. بعد أن انطلق أغلبنا أو مجموعة منا، إلى منازلهم أو لنقل الذين يملكون قروشاً تفي بقضاء سهرة حفل الساعة التاسعة بسينما لاجيتيه.

تتحرك المجموعة في جو من السرور والانشراح الذي يعمنا جميعاً.. كان حضور تلك السهرة الأسبوعية على المستوى الشخصي هو الانفكاك من أسر الأيام التي انقضت بين الدراسة والمذاكرة، ونادراً ما يقابل أحدنا الآخر إلا لو كان يقطن ذات المنزل.. تحولت هذه السهرة فيما بعد الى اجتماع هام وضروري لنا كشباب، حتى إن السينما تتحول إلى ما يشبه قاعة تعارف صامت بين كثير من مرتادي السينما، من الشباب الطامح إلى سبر أغوار عالم المراهقة.. فيكون في وجود الفتيات من رواد السينما ممن يقاربننا في السن فرصة صامتة

وهادئة لكنها ملفتة لإنعاش الخطوات الأولى في هذا العالم المليء بالأحلام والرؤى الرومانسية، بالنسبة للبعض منا أما الباقي فلا نعلم فيما يفكر بالضبط ..

أنا ورفيقي "ميمي" نتبادل الرأي في الحضور.. فهذه فتاة جميلة مليئة بالخجل، أو فائقة الجمال، أو متوسطة، ويكون سبب تصنيفنا لمستوى الجمال راجعاً إما لأن هذه لها عين زرقاء، أو خضراء أو بنية، أو شعر كستنائي ناعم، أو أن هذه ذات بشرة بيضاء مخضبة بالدماء وناعمة، أو تلك التي ترتدى ثوباً فائق الجمال من المخمل الأحمر أو الأزرق، مما كان يوقد في نفوسنا جمرات الحيوية والخيال. وتكون تلك الرؤية ملهماً أصيلاً وزاداً لا ينفد لساعات طوال من أحلام اليقظة تلك التي كنا نتبادلها في كتمان أنا وصديقي، والتي سرعان ما تتبدل حال مشاهدتنا حفلاً آخر بعد أسبوع أو أسبوعين عند الحديث عن فيلم جديد يثير الجدل حوله.. فتتبدل المشاهدات والرؤى، وتتبدل بالتالي بطلات أحلامنا الخياليات في أحلامنا الحقيقية أو اليقظة.

لدخول سينما لاجينيه طقس بروتوكولي، نستحضره غالباً وفقاً لظروف تواجد عناصرنا النشطة المتميزة بالاندفاع أو التهور المحسوب. فإذا زادت هذه العناصر في المجموعة المتوجهة إلى السينما كانت السهرة مشحونة بشتى صنوف الضحك والقفشات اللاذعة، والتي عندما أتذكرها الآن؛ مزعجة جداً بل ومقرفة.. كانت لقاءتنا تعني أن ساحة المنافسة انتقلت من كرة القدم إلى مجال آخر، فالكل يحاول الظهور والتميز بأي شكل حتى لو كان التصرف غير لائقٍ أو مجافياً للذوق واللياقة..

صديق لنا كان والده تاجراً يبيع الدواجن بسوق (شِيدّيَا) البعض ينطقه شادية.. الصديق هذا كان مغرماً غراماً شديداً بإصدار صوت التجشؤ عالياً وصارخاً، مما يبعث على الضحك.. لكن كان من الحضور من يضيق بهذا الصوت ويستاء.. عن نفسي كنت أضيق جداً بهذا الصوت، لكن ضرورات الجماعة والائتلاف بيننا تجعلنا نتغافل عن التجشؤ هذا، منشغلين بأمور أخرى.. قد تحدث داخل مجموعتنا أو من مجموعة أخرى تماثلنا وترغب في إثبات حضورها والمنافسة.

يبدأ طقس دخول السينما بعد حجز تذاكر الدخول، والتي غالباً ما يتم قطع عدد تذاكر يقل عن عددنا الفعلي، وكان "ميمي جروبي" قائد المجموعة يقوم بجمع سبعة قروش ونصف ثمن التذكرة من كل منا، والذي غالباً ما يقوم بعد ذلك ببيع تذكرة أو اثنتين خفية ..

عند الدخول نصطف في طابور يزاحم نفسه فيدفع الذي في الخلف الذي أمامه، وهكذا الذي أمامه حتى نجبر المسئول عن الدخول للسماح بالدخول، وتكون التذاكر جميعها مع أول الصف الذي ما إن يمر من الرجل وينشغل بمن يليه فيدخل ويتوارى عن الانظار عبر الستار المخملي السميك ذي اللون الأخضر الكالح ويجلس داخل القاعة في انتظارنا. ويدخل باقي الجماعة إلى القاعة واحداً وراء الآخر، و"ميمي جروبى" مازال يحصى العدد للمسئول بالخطأ حتى يمر آخر واحد منا. ويدخل السينما.. فيما تندفع مجموعة أخرى بالدفع للدخول على نحو ما نفعل نحن..

المهم إننا بعد دخولنا القاعة نتحرى عن مواقعنا. وكنت أنا وصديقي "حودة" أكثر المجموعة ميلاً للالتزام والتشبث بمقاعدنا والتي غالباً ما تكون نائية وبعيدة عن الشلة المشاغبة، التي تأتي ليس للمشاهدة مثلنا بل لإحداث أكبر قدر من الجلبة والضوضاء. تلك المحاولات التي كنت أنا و"حودة" نعتبرها محاولة استعراض عضلات الشخص لنفسه مستغلا هذا الجمع ولم نكن نحن بحاجة إلى مثل تلك التصرفات لإثبات وجودنا.. ينادى أحدهم على "ميمي"، فهو من معه التذاكر وبالطبع "ميمي" يكون قد اختفى في دورة المياه تحسباً لهذا الموقف، ولا يعود إلا بعد انطفاء الأضواء وبداية العرض.. ما إن يبدأ العرض ويخيم السكون على الصالة فيما عدا صوت الفيلم. حيث تصبح كل العيون معلقة بتلك الخيالات الملونة التي تشدنا وتأخذ بمجامعنا معها.. أحياناً يكون هناك تعليق لمشهد ساخن أو ظهور ممثلة صارخة الجمال.. فيلقى التعليق استحساناً، فنضحك وأحياناً يكون التعليق مجافياً للذوق، فلا يلقى تجاوباً فيصمت قائله ولا يعاود الكَرّه.

قرب منتصف الليل نخرج من السينما تصافحنا نسمات بليلة ناعمة، ربما تتوافق مع ما شاهدناه من فيلم رومانسي أو مغامرات.. وإن كنت أنا وصديقي "حودة" من هواة الأفلام رومانسية الطابع أو واقعية الأحداث.. حتى أفلام المغامرات كنا نجردها من مشاهد الرومانسية والغرامية فنستخلصها لكي تكون مادة حوارية نتبادل بها القفشات والدعابات مع بعضنا .

في العودة من السينما بعد أن نكون قد انفصلنا عن باقي الشِلّة التي يبدو أن لها برامج أخرى بعد هذه الامسية السينمائية.. نمشي بشارع لاجيتيه والبراهيمية تكون قد أقفلت أغلب محالها وأطفئت أنوارها.. ولم يعد ينير الشارع سوى تلك المصابيح العالية ولم يعد في الطريق من صوت سوى وقع أقدامنا ورنين ضحكاتنا في هذا المساء.. نعبر طريق (السِكة

الحمرا)، وسرعان ما يختفي ظلينا داخل شوارع الجهة التي تكون قد غطت في نوم عميق في هذا الوقت، وأسدلت أستار سكونها الليلي الجميل.

السِكّة الحمــرا

السِكّة الحمرا -هي طريق الحرية أو شارع "أبوقير" كما يسميه السكندريون-، كانت من أوائل الأمور التي حذرتنا منها "خالتي" أم جروبي، وشددت علينا عند عبورنا أن نأخذ جانب الحيطة والحذر، وأن ننظر يميناً وشمالاً ثم نعود وننظر يميناً ثم نعبر الطريق متحسبين أن تدهمنا سيارة مسرعة من هنا أو هناك.. وكانت هذه التنبيهات تنتقل بدورها إلى "ميمي جروبي" الذي كان يلقيها على زملائنا، من الجيران إذا ما دعت ضرورة إلى عبور السكة الحمرا.

السكة الحمرا اسم على مسمى، فكم سردت لنا "خالتي" أسماء من وقعوا في هذه السكة وفاضت أرواحهم إلى بارئها وهم يعبرون من حي الحَضَرَة البحرية -حي الطبقة المتوسطة-، إلى حي الابراهيمية -معقل الخواجات اليونانيون والطلاينة وغيرهم-. فإذا ما قصدت ركوب ترام (الرَمّل) ذي الطابقين، وجب عليك عبور السكة الحمرا بسلام، ومن ثم تقطع شارع لاجيتيه إلى محطة ترام الإبراهيمية، ماراً بالمحلات والبيوت والسينما الشهيرة التي يملكها خواجة يوناني مشابهاً لخواجة آخر يملك سينما (أوديون) بحي (كامب شيزار).

وكان يونانياً أنيقاً غاية الأناقة، يرتدى بدلة وعليها بالطو فاخر، ويعتمر قبعة تذكرنا بكبار الرؤساء الامريكان الذين كنا نشاهدهم في جريدة مصر الناطقة التي كانت تعرض في السينما في عقب فترة الاستراحة.

لكن لهذا الشارع وقفة أخرى، فجأة ترى بعض النسوة يهرولن صارخات نائحات وهن بملابس منزلية فيما يلحق بهن الشباب وهم في حالة استنفار وترقب وعصبية متوجهين صوب السكة الحمرا، وعندما نستفسر من أحد الصبيان المهرولين خلفهم فيخبرنا بأن صبياً منهم قد صدمته سيارة عند عبوره السكة الحمرا.. ومثل هذه الهرولة وعلى مدى سنوات شاهدنا منها الكثير..

بعد انطباعات السكة الحمرا..

أصبح أغلبنا من صبيان الحي بارعين في عبور السكة الحمرا، لكن مع كثير من الحذر. عندما تواتر الخبر بأن الرئيس "جمال عبد الناصر" سيمر من السكة الحمرا، قادماً من محطة قطار (سيدي جابر)، التي ما زالت محتفظة بطابعها القديم تزدان باللافتات والأعلام والأهم من هذا وذاك تلك الروح التي توشم الجو وتشعرنا أننا في طقس غير بشرى.. كنا نهرع الى السكة الحمرا فنرى الناس قد تجمهرت على الجانبين وقوفاً متراصين يتحادثون مع بعضهم يتبادلون كلاماً مثيراً ومشجعاً عن الرئيس مما يحفز رغبتنا نحن الصغار في رؤيته.. جنود البوليس يقفون على مسافات متقاربة يمنعون العبور من الاتجاهين، وفي همة ينظمون الواقفين وكونستبل المرور يمر بين الفينة والأخرى ونحن نرمقه لأننا كنا ندرك أن موكب الريس يقترب من تحركات كونستابل المرور.. حركة الشارع توقفت تماماً لا سيارات ولا أشخاص.. السكة تتحول إلى شيء مختلف تماماً عن حالها السابق.. السكون ران على الشارع العريض الذي يبدأ من (باب شرق) ماراً بأحياء الحضرة والابراهيمية واسبورتنج ثم سيدي جابر... حيث محطة القطارات الشهيرة.

السكون في السكة الحمرا يحيل لحظات الانتظار إلى التأمل للمنازل التي اصطفت على شرفاتها الناس.. وإلى الأشجار والفيلات. نقطة بوليس الإبراهيمية مازالت قابعة في هذا الموقع منذ زمن بعيد تطل على مفارق الطرق التي يسميها الناس السكة الحمرا..

ما تزال الجموع متحلقة على جانبي الطريق في انتظار الركب. وبين حين وآخر نرى سيارة شرطة تأتي مسرعة فيظن الناس أن الركب قد اقترب. ونحن تتعلق اعيننا في أفق الطريق فلا نرى شيئاً. يمر ضابط مرور بدراجته البخارية من عكس الاتجاه تشرئب الأعناق ننظر خلفه لعل الركب قد وصل. ونعاود مراقبة أفق الطريق القادم من سيدي جابر فلا نلمح إلا لفحات الشمس تضئ الطريق والرؤوس السوداء المتراصة قد ازدادت في تلك اللحظات التي احسبها من التاريخ.. فجأة يظهر ضابط كبير الرتبة نعرفه من امتلاء اكتافه بالنجوم يقود موتوسيكلاً من نوع الـ(هارل) أمريكي الصنع.. الضابط ما يفتأ ينبه الضباط والجنود المتراصين بالانتباه وحفظ النظام. ما يشعرنا بأن هناك امراً سيحدث.

فنقذف عيوننا لهفة إلى الافق فنرى كوكبة تسير محاذية بعضها متراصة وتحدث جلبة كأنها كتلة واحدة تتحرك باتجاهنا لكن في بطء.. فيما نسمع هتافات تتعالى متناقلة من جانب إلى

آخر كأنما هي كهرباء تسرى في سلك كلما وصلت الى مكان ضج الهتاف والصياح والجلبة بين الصفوف والشرفات المتراصة يطل منها الناس ملوّحين بالأعلام والمناديل البيضاء .

الركب يتقدمه مجموعتان من راكبي الموتوسيكلات الهارل يعقبهم سيارة سوداء فارهة أمريكية مكشوفة يتوسط مقدمتها الرئيس "عبد الناصر" بجبته السمراء اللامعة وضحكته المميزة بأسنانه البيضاء التي تبدو واضحة وهو يلوح مبتسماً بإشارته وحركة يده المألوفة محيياً الحشود التي تراصت لتشاهده وتراه رؤية العين وهى تهتف باسمه وله عاش جمال عبد الناصر. الهتاف يسرى بين الناس من بعضهم البعض كانه مس سحري. حتى الواقف في صمت منهم تجده في لحظة قد انفعل ورفع يده ملوحاً أو مصفقاً هو يهتف مشاركاً الجموع.

نغادر أنا و"ميمي جروب" و"حودة" والجميع طوار السكة الحمرا عائدين ألى حينا، تعلونا سعادة ونحن نتبادل ملاحظاتنا في تلك اللحظات الهامة التي مرت بنا عند السكة الحمرا. نعود لنحتمي بمداخل منازلنا من هجير الشمس تلك التي كنا نقف تحتها منذ قليل ما يزيد عن الساعتين دون أن نشعر بلظاها الحارق الذي يلهب الرؤوس..

خشونة الهجر

هاني هويدي

تزوج قبل خمسة أعوام، لديه ثلاثة أبناء ويُقيم مع أمه في بيتٍ واحد، امرأة مُسنّة تستيقظ دون منبه، وتنام عندما تستقر الطيور على أغصان الشجر، يملئُ الوشم وجهها، تُحب الشاي بالنعناع وأقصى ما تتمناه زيارة بيت الله الحرام..

عجوزٌ خفيفة الظل يُحبها كل من يعرفها، إلا زوجته التي لن يهنئ لها بال حتى تنفرد بالبيت لوحدها، وكأن تلك العجوز المسكينة تضع رِجلًا في كل غرفة..

ومع مرور الأيام وكثرة "الزن" وهو أشد من السحر في أذن زوجها، وافق ذلك المنكوب على أمره بأن يتخلص من الرحمة في قلبه على أن يذهب بأمه لدار العجزة حيث تقيم أم أخرى لابنٍ عاق آخر، أخبرها بأنه سيحملها لتزور جارتها القديمة، فهي لم ترها منذ أن انتقلت إلى حيٍ آخر قبل خمسة عشر عامًا...

العجوز المسكينة، تضع الكحل وهي تمضغ "السواك" بفكيها دون سنٍّ واحدة تُساعدها في ذلك، ثم ارتدت جردها ووضعت أكياس البخور والفاسوخ الذي ستهديه لجارتها، يا لنقاء قلبها وطيبتها فهي لا تعرف أن ذهابها هذا بلا عودة..

خرج بها صباحًا، ركبت السيارة وهي تلتفت لترى ابتعادها عن بيتها، إنها تشعر بأنها آخر مرة... وصل بها لدار العجزة، ولأنها أُمّيّة فهي لا تعرف أنها هناك، حيث حدّثتنا عجائز الحي مرارًا على بشاعة المكان واحتكاك الروح من خشونة الهجر ...

• • •

لم يُكلف نفسه حتى إدخالها، قام بإنزالها أمام الدار ورحل، رحل ورحلت معه رحمة الله... دخلت وقاموا بإعطائها غرفة لوحدها... ثلاث سنواتٍ وهي تنتظر، كُلما حل الظلام وأنزل الليل ستارته جهزوا لها سريرها للنوم، لكنها وككل ليلة تقول لهم: (ما علي مقعد.. أولدي قريب ايجي) إلى أن ماتت..

المطر وصدفة اللقاء

فريحة المريمي

مصادفة التقينا، لم يك بيننا ما يثير، سوى الدهشة التي خلقها المطر بتراتيلهِ السامية. قال لي:

-أنت آخر الفصول التي لم تأت بعد، تسكنين الأشياء وتنتشرين مثل أوهام الثلج والزهر!

قلت له:

- ولكنك تأخرت!

قال، وكأن سحابة سقطت من عينيه:

- سأنتظرك بعد فوات الأوان.

أحسست صوت المطر ينقر بعنف خلايا قلبه، فركضت بكآبةٍ لذيذةٍ، وبفرحٍ حزين، بينما راحت عيناي تمسح الأرض المبتلة بالماء وبالحياة.

سفر اللون

مفتاح البركي

كل الذين تركوا
قمصانهم الدامعة
على أسرة الليل
وأناشيدهم الوطنية
وأعلام بلادهم في الجُب
نكاية في الموت

وضحكاتهم الحزينة
نكايةً في القبح
أمام النوافذ السادرة
في الخيبة والرحيل

مضوا في تفاصيل الغيب
رحلوا على عجل
بأجسادهم العارية

كانوا انصاف ملائكة

ودراويش لهم شهوة الخريف

والفقد اللذيذ!

ظلوا رغم خذلانهم

يهمسون للنجم الذاهل

على ألواح مُسرفة في اليباس

أن يقود ضحكاتهم الطاعنة

بعيداً عن رحم الظلمة

أن يختم على أشرعتهم الممزقة

بتعاويذ الرحيل

بصيحات عمياء

بأسرار المواويل المالحة

لعل أبوابهم تطرقها رسائل المطر

فتعيد قراءة أسفارهم

على مشرحة الموج

ساعة الغرق المُرجأة

وما بين الريشة واللون

سفر الحب..

ونكاية في العتمة

ثمة موسيقى خضراء دامعة

وأرواح مُزهرة

وغناءٌ وحشدٌ هائل

من قرنفل يحرسُ لوحة الحب..

الثلاثاء 27 يوليو.. 2021

كأنها البلاد

جابر نور سلطان

هذه كأنها البلاد
كأنها المدينة
كأنها مكتبة الفضيل وعمارة السفينة
كأنها الشوارع التي أسكنتها الأفراح والأتراح
كأنها الأزقة التي تلوح لي من تحت الركام
كأنها العمائر المشنوقة تسرب لي الكلام
ولا كلام
كأنها الحرائق لمّا تزل تشتعل تحت الرماد
هذي كأنها البلاد
كأنه مقهى الغزالة وكأن هذه الأشباح المذعورة
بعض من الرواد
كأنه مصور الوفاء يطل مغبراً من أسفل الفناء
كأنها ألف راحة تسلم علي منزوعة الأصابع
كأن ألف كومة من الفجائع
تخمد الكلام وتقبر الذرائع

•••

كأن لا أحداً هنا سوى البارود والمدافع

كأنها البلاد قد أصبحت مدافناً

قد أصبحت مدامع

كأنها الطريق التي تقودني كلما

ضاقت بي الخطى

كأنها السماء التي تظلني

كلما كدر المدى

كأنها الصوامع التي

تنيرني كلما ضل الفؤاد

كأنها البلاد

كأنها الأشلاء

أم كأنها بقايا أصدقاء

أم كأنهم ضجيج الأمس

قد صاروا رماد

كأنها السفارة وكأنها العمارة

وكأنني أشاهد الأولاد

هم ذاتهم الأولاد

حين ساءهم إهانة رسولهم

فامتشقوا العناد

صراخهم لما يزل

يحاصر المكان

ولا مكان

كأنني خرفت

أم كأنه كابوس

أم كأنني سكرت

أم كأنني جننت

أم كأنني لست أنا

لست أنا فلم

يعانقني أحد

ولم يستوقفني أحد

سوى شبحٍ مذعور

إصبعه ميت على الزناد

هذي كأنها البلاد

وكأنني أنا

أم كأن عيني بهما قذى

أم كأنني هنا يترصدني قناص

يكبّر حين يمطرني رصاص

هذي كأنها البلاد

كأنه الطريق

كأنه الضريح

أو كأنه ولد جريح

لا يبكي جرحه سمعته

يبكي الرفاق والزقاق

ويلعن الأوغاد

هذي كأنها البلاد

صوت يجيء من أقصى

الفؤاد

توقف عن ذاك الهراء

ههه ههه.. هذي البلاد

مسكين دارت بشاربك العقار

واختلط الليل والنهار

وارتبكت الأزمان والآماد

ههه ههه.. أهذه البلاد؟

أ هذا هو الميدان

لقد خرفت يا صديقي

كف عن الهذيان

ههه ههه.. هذه هي البلاد..

لم نلتق.. أنا وأنت

إلى روح أبي الذي لم أعرفه "عمر سعيد سالم القطعاني" منطقة قصر الجدي..

نعيمة الزني

ومن خلل الأرض
أشم رائحتك
تلك الأرض التي
لم أولد
ولم أعش فيها
ولكنها أنبتتك أبي...

لم نلتق أنا وأنت..
قذفتني بذرة
وتركت العالم.
كآخر قطعة من نبضك
قبل الرحيل.
كآخر ورد تجود به الفصول
صحيح نحن لم نلتق

لم أناديك أبي؛ يوماً..

لكنني أحسك تحيا هنا

في صدري

وتسري في دمي

وتسعى في روحي

شابّ نضراً... لا يشيخ..

4 أغسطس 2016

قصيدة ليست لي

حنان محفوظ

قصيدة ليست لي ..

ككل الكلام المنمق في العيون

كتبتَ للغريبة هذا الهراء

ومسحت عن وجهي

كل ملامح البلاغة

هنا حيث لا حقول تنتظر الغيوم المكتظة بعرق الوله

الغريبة تكنس غيمك الساقط في الفراغ

تذهب به بعيدا عن الأحداق

تؤجج في السماء ناراً تحرق قمري

أين أنا؟

منذ عمر طويل ...قصير لا أدري

منذ عمر .... شوه السديم روح القمر

أحرقت الغريبة مفردات لغة السماء

سماء تتلون بلون غيومها

كلما مر لون كان لونها

كلما مات لون فر بريقها

ماتت الكلمات في حلق المفاجأة

ومات عند باب الخوف

بعد أن رحل الأمااان

ماتت قصيدة نمت في رحم لغتي

لقيتها متيبسة على رصيف الحياة

هذه القصيدة ليست لي

انتزعتها الغريبة من بلاغة لسانك

وفصاحة لغتك..

فاحترقت غيوم السماء ...

الفناء

سليمة بن نزهة

وأسدل على وجنتي روحي التراب
تسحقني الفجيعة،،
تتجهم أوردتي الوردية
يسوّد فجري وتبيض مقلتي ...
وأُشيّع قلبي على (بريلة) مهترئة.

يتملكني الوجوم وأغرق في الوجع
أهمس:
يا روحي ... ولا مجيب !
باردة أطراف أصابعي الطرية
والسكينة تفترس شغبي!
للأمواج أن تتقاذف الجسد النحيل،،
وللأصوات المبحوحة أن تشيعني!
وللدمع الذروف أن يغسلني!
يلفني النسيان في بياضه الأزلي!

...

أنا السطر المنفي في لوح

لم يكن محفوظا!

يا وجه قلبي الحبيب

ليتني عانقتك حد الفناء !

توبياس يرفع زجاجته نحو النور

للكاتب الألماني: والتر رينير*

ترجمة: د. محمد قصيبات

.1

رفع توبياس زجاجته نحو النور،

أنتابه عندها خوف عظيم إذ لم يبق في الزجاجة غير القليل.

كان الخوف يمسك رقبته بقوة.

"يا إلهي لم يعد ثمة كوكايين"!

.2

وطلع الفجرُ، شرع نهارٌ آخر بغيض يخرج ببطء من ذاكرةِ الزمنِ، نهار جاء ليلقي به وسط عالم يراه مفعماً بالقلقِ والنعاسِ والأعداء.

شرع توبياس يتلوى على سريره في يأسٍ عميقٍ فيما أخذ عقله يتخبط في ذلك الخوف الذي لا يعرف له بداية ولا نهاية.

أخذته رغبة عارمة في تناول جرعتين أخريين.

شرب ما تبقى في الزجاجة لكن لسانه كان مخدراً، كان يبدو ناعماً كأنه مغطى بالفراء، وضع إصبعه حتى حلقومه فوجد لسانه ناعماً دون حس.

لقد أصبحت الأشياء لديه دون معنى، ماذا عليه أن يفعل الآن؟ ما قيمة الزمن وما جدوى الحياة دون ذلك السم الذي يخترق جسده وينعش روحه، ذلك السم الرعاف!

.3

لقد نسي الآن خوفه من اللصوص ومن الحرّاس ومن مستشفى المجانين.

ملأه شيء واحد، شيء واحد فقط توهج في أعماقه: السم الذي يعني عنده الهواء والشراب، الحياة والوجود!

.4

بأيد مرتعشة أضاء الشمعة، كان يريد التأكد من أنه لم يبق في الزجاجة شيء.

حقًا لم يبق له شيء ولكن رغبته العارمة تتحدى منطق تفكيره دون توقف.

."ربما تبقي شيء قليل في الزجاجة"

وظن أن عنده زجاجة أخرى فأخذ يبحث في كل مكان من الغرفة لعله يجد القليل. إنه لا يكاد يصدق أنه شرب كل الزجاجة.

حمل الزجاجة نحو ضوء الشمعة..

."كلا! كلا"!

الزجاجة فارغة.

قلب توبياس الزجاجة رأسًا على عقب وأدخل لسانه في عنقها. لا شيء، لا شيء البتة.

.5

ملأ ما يشبه الرعدَ البعيدَ الغرفة.

دخل ضوءٌ ضارب إلى الحمرة عبر النوافذ واستيقظ الصباح.

نهض توبياس من فراشه وسقط على ركبتيه وشرع يبحث من جديد عن السم تحت الفراش فيما أخذت ركبتاه في النزيف.

لم يصدق عينيه فتحسس بيديه كل الأشياء، كان يأخذ الأشياء بين يديه ثم يحملها قرب عينيه.

." ألا يكون هذا الشيء زجاجة كوكايين؟ ربما ذلك. كلا ربما هذا الشيء"

ثم من قال إن عينيه تميزان كل الأشياء؛ وذلك الشيء الذي يشبه الحذاء. هل هو حذاء حقًا وليس شيئًا آخر؟ من يدري لعلها زجاجة.

.6

لا يهم كم من الوقت قضى يفتش عن زجاجة. لم يجد شيئًا لكنه وجد في نهاية المطاف مسدسًا وبعض الرصاصات..

وجدها هكذا بين يديه، ووضع ما وجد على الكرسي.

ذهبت عنه أحزانه قليلاً فغط في سبات عميق.

.7

استيقظ آناء الليل وقرر ألا يخضع هذه المرة لذلك الوسواس الشيطاني، قرر الهروب من الشيطان الذي يلقي به كل يوم في ظلمات الأشياء.

كانت حياته تخلو من كل علامات السعادة، عرف الحرمان وأحس أنه منبوذ ومريض وملعون وكان لا يملك في رحلة ضياعه لا أكل ولا نقود.

كان الفراغ يغلف حياته، وكان ذلك السم يغطي المدينة وكأنه أجنحة سوداء هائلة.

كان يحس بأفعى تمتص عروقه.

8.

مدّ يده صوب المسدس، وضع المسدسَ في فمه، أحس برعشة تعبر جسده.

وأنطلق صدى الطلقةِ نحو الأفقِ مثل طائرٍ هارب.

وسقط توبياس على ركبتيه.

كان يبدو كأنه في خشوعٍ وصلاة.

---

* والتر رينير: كاتب وشاعر ألماني مغمور، ولد عام 1895 وكان من جماعة الكتاب المعروفين ب "حلقة كُتاب درسدين التعبيريين"، وكان هؤلاء الكتاب يعارضون نشوب الحرب العالمية الأولى، وبسبب تلك الحرب تحول الكاتب إلى مدمن كوكايين وفقد نتيجة ذلك موهبته الأدبية ثم حياته في عامه الثلاثين، وتقبع أهمية هذه القصة ليس في أسلوبها الأدبي وحسب بل في تفاصيل علامات الإدمان التي ينقلها الكاتب في صدق مما جعلها تدرس في كليات الطب كأنموذج لما يشعر به المدمنون.

صمت يرحل صمت يأتي

هايكو- التانيشيي- يوكا*

إشبيليا الجبوري

عن اليابانية أكد الجبوري

عنك صمت يرحل،
عنك صمت يأتي
لا شيء عن النهر، لا شيء عن القمر!
في المصير البشري شيء مذهل؛ مظلم
أنت دعوة الأسد المجنح إلى الارتقاء!

قلبك النبيل
مثل شعار النبالة في "مسلة حمورابي"
في الأوقات الماضية
كرست لهم الوجود قيمة الفعل؛
جدوى النبالة العظيمة
لأجل البشرية الأرضية ترتقي،
كل البشرية تحلق بلا أجنحة!

إذا كانت أرض السواد صافية وفخورة،
المطر سوف يبتعد عن أرضنا،
لديها اثنان من أفضل الأنهر:
هذه هي عيناك الشهمة!

وعند النهرين السر الذهبي
سيكون من المثير للدهشة؛
أن اللوح مصطلح يتحقق،
سيرفع سعف النخيل أمامه بعد ذلك،
كدفاع الأسد المجنح،
والقمر وشاحك الأبيض!

أوراق الصفصاف على جسر خشبي
الخريف ينزل مثل الملاك
يهمس بأخبار جديدة، في الهواء
كل شيء سوف يتجدد!

بعد ظهر يوم حار في تموز
تتمايل أشجار النخيل في النسيم
ضعفي،
غير قادرة على التخلص من هذا

التنافر المعرفي!

أصبحت كلمات السهر رياح باردة
تهب عبر الحقول المجمدة
لم يبق أحد للاستماع
لم يترك أحد ليأويهم!

السهر هناك على الشجرة
أوراق انتقال إلى الخريف
الأغاني صفراء،
وبرتقالية،
وذهبية
السهر يتكبد نشر الفرح حتى النهاية!

سوف يندحر الصوت الخافت
في جوف مرتعش،
سيرافقك السر وسيختفي في ارتفاع....
تتواضع بالدفاع،
والقمر وشاحك الأبيض
الارتقاء؛
عنك صمت يرحل،
عنك صمت يأتي

لا شيء عن النهر،

لا شيء عن القمر!.

ــ

المكان والتاريخ: طوكيو. 07.14.21

. الغرض: التواصل والتنمية الثقافية

. العينة المستهدفة: القارئ العربي (المترجمة)

* التانشي أو اليوكا، تكتب بأربعة أشطر، وبوزن (7.7.5)، فالتانشي إشارة إلى قصائد الهايكو، غير إن لها ما يشتمل على؛ الهايكو التقليدي، والمعاصر والتجريبي، وللهايكو أجناس، متميزة بهويتها، لها من الخصائص ما يعينها بوظيفة معينة ومحددة، تؤطر أغراض الخطاب به. وهذا النوع، عند الإشارة إليه "يتراوح طول أسطره الأربع من الهايكو. علما إن للهايكو المعني بتراوح طولها بين سطر وستة أسطر، له أنواع، مثل: السينيو، وهايكو التانكا، وتاغوغيوشي، والسيدوكا، والدودوسيتو، و"اليوكا أو اليوركا"، والمونوسيتاشي، ويو روكو، وأي أختلاف بأسلوب الكتابة لأي نوع يطمس معناه بالبيان واللمع بالمعنى. أي يبعد عن معنى للخطاب المراد به، الموجه بخطوطه المعرفية بتعريفه. والآن، أعلاه هو (الهايكو. التانشي، "الهايكو الرباعي")، وواضح لوزنه وخطابه المتميز في قصائد الهايكو، ولكل نوع، هويته الخاصة وسعيه بفرض كتابته الهايكو. مما دفعني بالاختيار والتوضيح، أهميته العابرة في انفتاح المعنى، ولفظته المركبة الدلالة وندرة الكتابة به عربيا، بل شحيح تداوله في النشر. (المترجمة)

أخبار الرابطة..

وزيرة الثقافة تلتقي رئيس رابطة الأدباء والكتاب الليبيين

بمقر وزارة الثقافة والتنمية المعرفية عقد صباح الأحد 20 يونيو 2021م، اجتماع ضم كل من وزيرة الثقافة، السيدة "مبروكة عثمان توغي"، ورئيس رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، الدكتور خليفة احواس.

في بداية الاجتماع قدم الدكتور خليفة تقريراً مفصلاً عن مناشط الرابطة والمشاركات، بعد تفعيل عضوية رابطة الأدباء والكتاب في العام 2018، وعودتها للمشاركة في مناشط اتحاد الأدباء والكتاب العرب.

كما تتضمن التقرير أيضاً ما يخص مجلة الفصول الأربعة والعمل الذي تقوم به هيئة تحريرها لإصدارها في الموعد.

وتعقيباً على ما عرضه رئيس رابطة الأدباء والكتاب، وعدت الوزيرة بالتعاون مع الرابطة وتذليل الصعوبات من أجل تفعيل عملها وبناء الأمانة العامة على أسس النظام الأساسي المعتمد الرابطة.

مناشط وفعاليات..

الهيئة تطلق جائزة الدولة التقديرية للفنون

أطلقت الهيئة العامة للخيالة والمسرح والفنون الليبية جائزتها التقديرية للفنون، في الأول من يونيو 2021م. وهي جائزة تكريمية تقديرية لتكريم أفضل الفنانين الذين أثروا الحركة الفنية في البلاد أو الأعمال الفنية التي تركت بصمة لدى المجتمع وأوصلت رسالة سامية في محتواها ولما لها من أهمية كبيرة وذلك لتحفيز المتميزين على تقديم المزيد وإبرازها للمجتمع كمثال جيد يشجع العديد من الآخرين على إتباع نفس المسار.

تمنح هذه الجائزة لأفضل فنان أو عمل فني متكامل الجوانب على الإطلاق بحسب تقييم لجنة التحكيم المشكلة لهذا الغرض. الهدف من هذه الجائزة تحفيز الأداء الفني للفنان. هذه الجائزة ستكون جائزة كبرى لتقييم الفنان أو أعماله لتشجيع الفنانين والمبدعين لبذل المزيد من العمل والإنتاج والإتقان.

3 شعراء ليبيين في مجانين قصيدة النثر 2

ضمن مشاركته بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الأخيرة، صدر الديوان الثاني لـ(مجانين قصيدة النثر 2 – مختارات شعرية)، والذي يضم مجموعة مميزة من النصوص الشعرية في قصيدة النثر، عن ومركز إنسان للدراسات. الكتاب احتوى مشاركة ثلاث شعراء ليبيين؛ الشاعر مفتاح العماري (نص: تحطيب)، الشاعرة رحاب شنيب (نص: عواء)، الشاعرة عزة رجب سمهود (نص: جرعة يود زائدة).

المجمع يحتفي بالمؤسس

يقيم مجمع اللغة العربية خلال شهر ديسمبر القادم 2021م، ندوة علمية تقديرية في الذكرى العاشرة لوفاة الدكتور "علي فهمي خشيم" مؤسس مجمع اللغة العربية والذي ترأسه حتى تاريخ وفاته. تأتي هذه الندوة العلمية تحت عنوان (الدكتور علي فهمي خشيم (1936-2011) العالم اللغوي الأديب – وآفاق حراكه الثقافي). حيث تتناول هذه الندوة

نتاج الراحل التاريخية والفلسفية واللغوية والأدبية، من خلال مجموعة من الأوراق والشهادات، بمشاركة مجموعة من الأساتذة، والبحاث والمهتمين.

البشتي تفوز بجائزة فاطمة محمود التقديرية

أعلنت مجلة أوراق مبعثرة نتائج مسابقة يوسف القويري في المقالة الأدبية، ومسابقة فاطمة بن محمود في القصة القصيرة جدًا. في العدد 50 من المجلة الصادر الأربعاء 16 يونيو 2021.

وقد منحت جائزة فاطمة بن محمود التقديرية للقصة القصيرة جدًا للكاتبة والروائية الليبية الدكتورة "غادة البشتي" عن مجموعتها (لا تقرباً). أما جائزة يوسف القويري التشجيعية لأدب المقالة، فمنحت للكاتبة العراقية الدكتورة "زينب ميسم" حسون عن مقالتها (السخرية بوصفها أداة نقدية تعليمية).

ومنحت جائزة المقالة الأدبية من نصيب "محمد الفاتح خضر" من السودان وعنوان مقالته (يوم سقط الثور الأبيض). وفاز بجائزة القصة القصيرة الروائي والقاص "حسن سالمي" من تونس عن مجموعته (أنا وظلي).

مجلة أوراق مبعثرة، مجلة إلكترونية، ثقافية تعنى بقضايا الفكر والأدب والثقافة. يرأس تحريرها الدكتور جمال الزوي.

ليلى النيهوم تفوز بالترتيب الثاني

فازت الشاعرة الليبية "ليلى النيهوم" بالترتيب الثاني بمسابقة الشعر السنوية الـ22، التي تنظمها مكتبة مقاطعة فرزنو بالولايات المتحدة الأمريكية العامة، عن قصيدتها (Bahia Honeymooners)، فئة الكبار. والتي صاغتها العام 2008، وأُ عنها في 18 يونيو 2021م.

عن القصيدة تقول الشاعرة: (هي قصيدة كنت كتبتها في العام 2008 ولم يسبق لي نشرها. وهي ضمن مخطوط مجموعة شعرية باللغة الانجليزية كان مزمع دفعه لدار نشر غربية آنذاك وضاع المخطوط بين الأيدي ولم يصل الى الناشر وضاعت نسختي المطبوعة في ركام بيت أبي وضاعت نسخة أخرى كانت تحتفظ بها قريبتي ايضاً في ضياع بيتهم ايضاً. منذ مدة كنت أصنف بعض السيديهات القديمة التي عندي وعثرت على المخطوط في أحدها).

وتضيف حول مشاركتها بالمسابقة: (منذ شهرين لفت نظري إعلان عن المسابقة في موقع المكتبة في الفيسبوك فدفعت لهم بثلاث قصائد من مخطوطي وكان ما كان).

المؤتمر العلمي الدولي الأول للثقافات المحلية

نظمت وزارة الثقافة والتنمية المعرفية بإشراف مكتب الثقافة غريان يومي الثلاثاء والأربعاء 22 و23 من شهر يونيو الجاري 2021م، المؤتمر العلمي الدولي الأول للثقافات المحلية في ظل المتغيرات الحالية، تحت شعار (معًا من أجل ثقافة تجمعنا)، على مسرح كلية العلوم بجامعة غريان وذلك بمشاركة واسعة لمجموعة من البُحّاث والأكاديميين الليبيين والعرب اللذين شاركوا بورقات علمية متنوعة.

في ختام أعمال المؤتمر ألقى الأستاذ" المختار بن يونس" والأستاذ"ميلود دلعوب" كلمتي البرنامج الختامي أعقبها قراءة لجملة من التوصيات من بينهما تشجيع وتحفيز الدراسات العلمية على التراث وتجمعيه وتحقيق ملامحه عبر التاريخ لحمايته من التلاشي والنسيان والإشارة لتوصية البحاث إلى أن يعقد المؤتمر بصورة سنوية، ختامًا تم توزيع عدد من الدروع وشهادات التقدير والتكريم ممن ساهموا في إنجاح المؤتمر من موظفيّ مكتب الثقافة في غريان والمشاركين في أعمال المؤتمر ومجموعة من الإعلاميين والصحفيين ورجال الأمن والشرطة بالمدينة.

السياسات الثقافية في ضوء المراجعات والاقتراحات

أقام المركز الليبي للدراسات الثقافية ضمن موسم (الإثنين الثقافي) في سادس أنشطته حلقة نقاش بعنوان (السياسات الثقافية: مراجعات واقتراحات) وذلك مساء يوم الإثنين 28 يونيو 2021م في دار حسن الفقيه حسن للفنون بالمدينة القديمة طرابلس.

قدم الكاتب والباحث "حسام الدين الثني" ورقة بحثية بعنوان (السياسات الثقافية في ليبيا.. نظرة موجزة)، التي حدد فيها أوجه النقاش في ثلاثة محاور: مفهوم السياسات الثقافية وواقع السياسات الثقافية في ليبيا ودور المجتمع المدني في تحسين أداء سياسات القطاع الحكومي الثقافية. وتطرق الباحث لتاريخ السياسة الثقافية الليبية مشيرًا إلى أن صناع القرار قد انتبهوا لجملة من الاعتبارات منها قضايا التنوع والأمن الثقافي والحقوق الثقافية والدبلوماسية الثقافية والاقتصاد الثقافي وأضاء على بعض السياسات الليبية في إدارة الواقع الثقافي وأكد إن الدولة الليبية لم تراعي في رسم سياساتها الثقافية أبعاد التنوع فركزت فقط

في إدارة هويتها الوطنية داخل قالب الثقافة العربية والإسلامية متجاهلة بذلك مصادر ومنابع التنوع الهوياتي الأخرى.

ومن جهة أخرى أوضح الباحث كيفية النهوض بقوى المجتمع المدني من خلال لعب دورين رئيسين لتحسين أداء القطاع الحكومي الثقافي، الأول في اقتراح سياسات ثقافية بديلة تواكب التغيرات تنبع من مقاربة تشاركية والثاني يتمثل في تحشيد قوى فاعلة لبلورة كتلة حرجة قادرة على ممارسة الضغط على السلطة الرسمية لإعادة النظر في سياساتها الثقافية القديمة.

وزيرة الثقافة والتنمية المعرفية تشارك في افتتاح معرض القاهرة الدولي للكتاب

شاركت صباح الأربعاء 30 يونيو2021 وزيرة الثقافة والتنمية المعرفية، الأستاذة "مبروكة توغي عثمان"، في مراسم حفل الافتتاح الرسمي للدورة ال 52 لمعرض القاهرة الدولي للكتاب.

وكانت فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب انطلقت بحضور الدكتور مصطفى مدبولي رئيس مجلس الوزراء المصري، ووزيرة الثقافة المصرية الدكتورة إيناس عبد الدايم، والدكتور هيثم الحاج علي رئيس الهيئة العامة للكتاب المصرية، والسيدة مايا غويكوفيتش نائبة رئيس الوزراء وزيرة الثقافة والإعلام بجمهورية صربيا، والسفير محمد عبدالعالي مصباح القائم بالأعمال في السفارة الليبية القاهرة، إلى جانب عدد من المسؤولين، والإعلاميين، والكُتاب المصريين.

وشاركت ليبيا في هذه الدورة بجناحين عرضت فيه عدداً من الإصدارات والمنشورات الليبية بحضور عدد من الأدباء والكتاب الليبيين من مختلف أنحاء الوطن، حيث يشارك في هذه الدورة 25 دولة، و1218 ناشرًا، وبلغ عدد الأجنحة في المعرض 756 جناحا. تحمل هذه الدورة شعار "في القراءة حياة"، كما تتضمن الفعاليات إطلاق مبادرة ثقافتك كتابك.

حفل تأبين الدكتور الراحل الصيد أبوديب

(كتب: مهند سليمان) أقامت جمعية أصدقاء المسرح مساء يوم الخميس 1 يوليو 2021م حفل تأبين للدكتور الراحل "الصيد أبوديب" وذلك على مسرح المعهد العالي للفنون بزاوية

الدهماني طرابلس، وقد شاركت كوكبة من الكتّاب والفنانون والبُحّاث والأكاديميين وأصدقاء الراحل في فاعلية التأبين مُضيئين على مناقب وشمائل الدكتور الراحل مهنيًا وإنسانيًا، وألقى الأستاذ "عبد الرزاق العِبارة" رئيس جمعية أصدقاء المسرح كلمة ترحيب بالحضور وترحم على الدكتور الراحل وإستهل الحفل بسرد تعريف موجز عن الراحل فهو من مواليد مدينة طرابلس عام 1945م التحق بكلية الآداب والترجمة بالجامعة الليبية في بنغازي حتى تخرجه من قسم اللغة العربية عام 1968م ثم استكمل دراسته الأكاديمية في كلية الآداب جامعة عين شمس بالقاهرة ليحصل منها على درجة الماجستير في الأدب الليبي عام 1973م ونال في عام 1980 درجة الدكتوراة من جامعة(درم) البريطانية عن رسالته في الأدب العربي المعاصر.

وأدار الكاتب والروائي "أحمد رشراش" مجريات الحفل الذي بدأ بتلاوة آيات من الذكر الحكيم قرأها الفنان القدير "علي الخمسي" أعقب ذلك مداخلة للكاتب المسرحي "البوصيري عبد الله" فتناول علاقة الراحل بالمسرح فمن خلال عشرة مقالات عبّر أبوديب عن آواصر عمق صلته بالمسرح تنوعت أجناسها ما بين مقالة ولقاء ونقد تباين أسلوبه فيها واختلفت في أماكن تواريخ نشرها والملاحظ حسب البوصيري أن جميع هذه المقالات نشرت في صحف تصدر عن مؤسسات الدولة.

وأضاف البوصيري بأن أبوديب حاول استجلاء أزمة المسرح منذ بداية ستنينات القرن المنصرم بتشخيصه للمشاكل الجمّة التي يعاني منها المسرح الليبي، وشارك أيضًا الدكتور "فتحي القراضي" بمداخلة عرّج فيها على مدى الدفء الذي يربط بين الراحل ووطنه ليُهديه إصداره المعنونة بـ(معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث) وأشار أن لأبوديب دور في التأسيس لدراسة الأدب الليبي في الجامعات بعدما كان يُدرس ضمن الأدب العربي على إستحياء، وشاركت الدكتورة "فريدة المصري" بمداخلة رصدت فيها مواقف وذكريات مع الراحل فضلاً عن التقارب النقدي والثقافي والبيئي الذي جمعهما، أعقبتها مداخلة للأستاذ "عبد الستار بشيه" الذي أكد بأن الراحل زاوج بين المدرستين المصرية والإنجليزية وأشار إلى أنه شخصية منهجية منطقية تعاطى مع المادة بطريقة منهجية صرفة وأضاف: دائماً ما يتوخى ذكر المراجع والمصادر العامة والخاصة بعد انتهاء كل محاضرة له وساق أمثلة بالخصوص.

• • •

كما ألقى الشاعر "محمد الدنقلي " قصيدتين أهداهما لروح الراحل ساردًا بعض ذكرياته معه، وأضاف الكاتب والأديب "منصور أبوشناف" في سياق مداخلته أن الراحل كان له الفضل في ترسيخ دراسة الأدب الليبي في الجامعات الليبية وأردف بأنه أحد الأكاديميين القلائل اللذين تفاعلوا مع الوسط الثقافي ليجمع بين الصرامة الأكاديمية والمرونة الأدبية، من جهة أخرى تحدث الفنان والمسرحي" علي الخمسي" عن سنوات صداقته بأبوديب ومعاني التآخي والدفء التي كانت تجمعهما وذكر بأنه من المؤسسين للمسرح الحر بطرابلس، وأشار الدكتور "نوري أحمد عبيريد" عميد كلية اللغات بجامعة طرابلس لما كان يتصف به الراحل من قيمة لأهمية الوقت إضافة لميزته في فتح باب النقاش والإصغاء لطلابه والإستماع لآرائهم، ووثق الكاتب والإعلامي "يونس الفنادي" تسجيل لمواقف إنسانية وتفاصيل مهنية له بمعيّة الراحل فضلاً عن ظروف معرفته به من خلال ورقة بعنوان (النجم الذي أفل)، وكان كذلك للأستاذين "خالد غومة" و"المهدي إمبيرش" مداخلتان بيّنا فيها مآثر وأخلاقيات الراحل.

في الختام شهد الحفل منح الراحل درع تكريم تسلمته ابنته تقديرًا وعرفانًا من أصدقائه ورفاقه لمسيرته الأكاديمية والأدبية الزاخرة.

ندوة خاصة تحتفي بتجربة الدكتور علي فهمي خشيم

(كتب: مهند سليمان) نظمت مدرسة اللغات بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا بجنزور طرابلس بالتعاون مع المنتدى الثقافي التابع لها والوكالة المغاربية لمناشط الشباب التابعة للأمانة العامة لإتحاد المغرب العربي وبرعاية مركز(M.A.Y.A) للتدريب والإستشارات والشركة الإتحادية للتأمين ندوة خاصة عن الأديب والمفكر الليبي الراحل "علي فهمي خشيم" صباح يوم الأربعاء 7 يوليو 2021م، وذلك بالتزامن مع مرور عشرة أعوام على رحيله، تحت شعار (أديب ومفكر وباحث لم يغادر) وسط حضور لفيف من المثقفين والأدباء والمهتمين، وشارك ثلة من البُحّاث والكتّاب بتقديم مجموعة من الأوراق العلمية المُحكمة والمداخلات ترصد تجربة الراحل في مجالات الأدب والفلسفة والفكر والتاريخ.

واستهلت الدكتورة "هدى العبيدي" عميد مدرسة اللغات بالأكاديمية كلمة الإفتتاح حيث رحبت فيها بالحضور وترحمت على روح الأديب الراحل، لتنطلق الندوة بقراءة من آيات الذكر الحكيم بصوت الملحن "عبد الباسط البغدادي" ووقفة للنشيد الوطني ثم بث تقرير مرئي استعرض البرنامج التدريبي لمركز (M.A.Y.A) للإستشارات والتدريب ومناشطه

المهنية والثقافية والفنية، ومن ثم تولى الشاعر والإذاعي "عبد القادر العرابي" إدارة وتقديم البرنامج العام للندوة.

الحاجّية دلالة الاسم وصلاته بالمكان

وتقدم الكاتب والإعلامي "يونس الفنادي" بورقة علمية عنوانها (الحاجّية ...عتبة تستدعي الذكريات الحداثوية)، ويقوم مضمون هذه الورقة على تسليط الضوء على الكتاب الذي صدر للدكتور خشيم تحت عنوان (الحاجّية)، وركز كاتب الورقة على البحث في ماهية الاسم ومدلوله وصلاته بالمكان المعاصر المؤثر في ضمير ووجدان المشارك بالورقة، وقد أشار الكاتب الفنادي إلى أن البحث عن إيجاد مفهوم ومعنى اسم (الحاجّية) لم يُوليه أحد أي اهتمام أو عناية لاسيّما من أهل المنطقة الكائنة بحيّ العمروص وأكد بأنه ذاته لم تشغله هذه المسألة للبحث والتدبر فيها وأضاف بأن مطالعته لكتاب (الحاجّية) هو ما دفعه للغوص في دلالات المعنى وأبعاده التاريخية، وواصل الكاتب من خلال ورقته إستعراض ما تضمنه الكتاب وأبرز المحطات الواردة في الرحلات الثلاث المتمثلة في (الرحلة الناصرية) و(الرحلة المنالية) و(الرحلة الفاسية) الموثقة والمعروضة عبر ثلاثة فصول كلّ على حده.

مشروع علي فهمي خشيم

تلته مشاركة الأستاذ "مصباح الغناي" بورقة علمية عنوانها (من الكلمة إلى النص...دراسة لمشروع علي فهمي خشيم) التي بيّن فيها أن أي نظر فلسفي ناضج على روح العام يستلزم في نسقه الترتيب والتداعي والخطة فالروح تحتوي غالباً على مكونات وتحديدات تندرج بين البسيط والمركب وبين المنهج الصارم والشاعرية الخاصة، وأضاف بأن الأديب الراحل أتيح له في معظم إنتاجه الفكري هذا التكوين المتأسس على كلمة مسؤولة تنتج نصوص حية ذات فاعلية وعمق، كما عرّج الباحث على بعض نصوص الأديب الراحل وطرح قراءة في إطار مشروعه الفلسفي.

اللغة الحوارية في رواية إينارو

أعقبته مشاركة الأستاذة "آسيا الشقروني" بورقة علمية عنوانها (إينارو بين الأدب والتاريخ) وقدمت فيها الباحثة قراءة بالدراسة والنقد للنص الروائي إينارو اعتنت في طرحها النقدي بموضوعين أولاً بناء الشخصية الرئيسة والفرعية في الرواية ومدى تأثيرها في سياق الأحداث

والموضوع الثاني ركزت على اللغة الحوارية أو اللغة المتوخاة بين شخصيات الرواية انطلاقًا من عمق المعنى وقوة المفردات.

التأريخ للحياة الثقافية الليبية

وشاركت الأستاذة "رقية محمد سعيد" بورقة علمية عنوانها (السيرة الذاتية بين ذاكرة الذات وذاكرة الثقافة الليبية...قراءة في كتاب هذا ما حدث للدكتور علي فهمي خشيم)، وتطرقت الباحثة في هذه الورقة لمفهوم جنس السيرة الذاتية وقسمت ورقتها إلى عناوين فرعية، وتناولت الراحل ككاتب ومؤرخ ثقافي في سيرته الذاتية (هذا ما حدث) وأهم ما سجّله من ذكريات وانطباعات ومشاهدات مصورًا تفاصيل الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية مما عدها الكثيرون أرشيفًا ومرجعًا للواقع الثقافي الليبي وأضافت بأن الراحل في سيرته لن يكتفي بسرد سيرة من عاصرهم من أدباء وحسب بل وصل الأمر للغوص في نصوصهم مدونًا إنطباعاته حولها وختمت أن السيرة الذاتية في كتاب (هذا ما حدث) دسمة تمتلىء بالإضافة للأمكنة والشخصيات أيضًا تثرى بالنصوص النثرية والشعرية والمسرحية والغنائية الفلسفية والتاريخية والصحفية.

من جهة أخرى أذيعت أغنية (غن لي الليلة) وهي قصيدة نظمها الأديب الراحل تغنى بها المطرب المغربي" الهادي بلخياط" ولحنها الموسيقار "علي ماهر".

وفي سياق متصل أدلت الدكتورة "كريمة بشيوة" بمداخلة تحدثت فيها عن ذكرياتها مع الراحل وعن أبرز المواقف والمصاعب التي واجهها طوال مسيرته المهنية والفكرية.

فن السيرة الذاتية

وقدمت الأستاذة "شيماء سعيد" ورقة علمية عنوانها (مقتطفات من كتابة الذات - الأتوبيوغرافيا) للدكتور علي فهمي خشيم) قامت بترجمته للغة الإنكليزية، وألقت الباحثة ورقتها باللغة الإنكليزية التي أوردت فيها ملخص الكاتب لفن كتابة السيرة الذاتية فهو يعرّف في هذا الكتاب فن كتابة السيرة الذاتية كونه نوع قديم حديث من الأدب مرت عليه عدة تغيرات تبعاً للوقت والزمن لتنبثق منها الأجناس الأدبية المتنوعة كأدب اليوميات والقصة القصيرة والرواية وأضاف بأن فن السيرة الذاتية يجيء كمحاولة يسعى بها الكاتب لتوثيق وتدوين مراحل وأطوار حياته بما تضمنه من إنجازات ونجاحات.

•••

شخصيات وأمكنة في قصيدة ترنيمة لبلادي

وكذلك شاركت الأستاذة "رقية عبد النبي البوسيفي" بورقة علمية عنوانها (استدعاء التاريخي من خلال المكان والشخصيات في قصيدة -ترنيمة لبلادي- للدكتور علي فهمي خشيم)، ومن خلال سطورها تناولت القراءة البُعد التاريخي لقصيدة -ترنيمة لبلادي- عبر استدعاء الزمن بدلالة عنصرين أساسيين يتمثلان في عنصر المكان وعنصر الشخصية، وتحتوي القصيدة على 164 بيتًا وهي تُعد من المطولات الشعرية، وأشارت الباحثة إلى أن الشاعر في هذه القصيدة استدعي شخصيات مختلفة ومن أزمنة متفاوتة مؤكدة بأن الأديب الراحل ما كان له أن يلج الزمن بمكوناته لولا تحصنه بذخيرة معلوماتية كبيرة وإطلاع معرفي واسع وعميق في مجاليّ التراث والتاريخ.

في ختام الندوة توجّهت الدكتورة "هدى العبيدي" بالشكر والتقدير لكل المشاركين والحاضرين ومنح درع وشهادة تقدير تسلمتها ابنة الأديب الراحل "هديل فهمي".

مسيرة وعطاء الدكتور محمد مسعود جبران

(كتب: مهند سليمان) أقام مجمع اللغة العربية بطرابلس ضمن منشطه الثقافي لشهر يوليو 2021م أصبوحة ثقافية يوم الخميس 8 يوليو 2021م، بعنوان (مسيرة وعطاء)، وذلك حول أعمال الدكتور الراحل "محمد مسعود جبران"، وقد أدار الأصبوحة الأستاذ الدكتور "عبد الستار العريفي بشيه" وألقى كلمة الإفتتاح رئيس المجمع الأستاذ الدكتور "عبد الحميد عبد الله الهرامة"، واحتفاءً بالمنتوج الإبداعي والأدبي للراحل شاركت نخبة من الأساتذة والبُحّاث بعدة ورقات بحثية تناولت مسيرة الراحل وعطائه الأدبي والفكري، وقبيل بداية الأصبوحة قرأ الدكتور "محمد عمر بن حسين" إضاءة مقتضبة عن سيرة ومسيرة الأديب الراحل، وقدم في هذا الإطار الأستاذ الدكتور "عبد الله محمد الزيات" ورقة بعنوان (قراءات في بعض عناوين إسهاماته في الصحافة) وركز الباحث في ورقته على تعريف الأديب الراحل لأعلام العصر ومؤلفيه وأدبائه والشخصيات التي عُدت نبراسًا في ذلك الوقت والعطاء الوافر لهؤلاء الأعلام ومساهماتهم في الفكر الإسلامي الحديث في آواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وممن عرّف بهم الراحل الشاعر القديم "أبو العلاء المعري" فهو كتب عنه سلسلة تكونت من عشرين حلقة ومن المحدثين الأديب "جبران خليل جبران" كما أشار الدكتور الزيات إلى تأبين الرجال في عناوين الراحل الصحافية وساق في ذلك عدة أسماء وشخصيات أبّنها الراحل منهم الأستاذ " حسن حسني عبد الوهاب"

عنونه بـ(رحيل علامة تونس) والعالم الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" عنونه بـ(طود يغيّب في الثرى) وأضاف كذلك أن الراحل كتب حلقتين عن فريضة الجهاد الإسلامي فضلاً كتابته للجانب الجمالي في الإسلام.

وشارك الأستاذ الدكتور "أحمد يوسف أبو حجر" بورقة بحثية عنوانها (قراءة في كتاب الشيخ عبد اللطيف الشويرف) وتناول الباحث في ورقته بالقراءة بعض مما جاء في كتاب الشيخ عبد اللطيف الشويرف آفاق حياته العملية وآثاره العلمية واللغوية وأشار إلى أن الكتاب لم يهتم بأعمال الشيخ الشويرف بل اعتنى بتاريخ مدينة طرابلس معرجًا على شخصياتها اللذين كان لهم أدوار في الحركة العلمية والأدبية علاوة على مناشط الحياة الثقافية في ليبيا، كما أعطى بسطة عن صور الحياة العامة في ليبيا إبّان القرن التاسع عشر والقرن العشرين وظروف الإحتلال الإيطالي والإنكليزي الفرنسي الذي مر بالبلاد وبعض أسماء الشوارع والأزقة القديمة والكتاتيب والمساجد بمسمياتها القديمة.

وقدم الأستاذ الدكتور "نوري أحمد عبيريد" ورقة بحثية عنوانها (قراءة في كتاب أحمد بن شتوان" واستهل الباحث ورقته بعرض لكتاب الراحل المكوّن من ثلاثة فصول ففي الفصل الأول تناول الكتاب الحياة الإجتماعية والسياسية التي عاشها الأديب وتقلباتها الإقتصادية وملابساتها الفكرية والثقافية إضافة للفصل الثاني الذي تناول سيرة حياة ابن شتوان الخاصة نشأته وتحصيله العلمي والمعرفي فضلاً عن دراسة المؤلف لآثار ابن شتوان الأدبية ونقدها وأوضح الباحث بأن الراحل في كتابه خصص ملحقين للنصوص الشعرية لابن شتوان كاملة مع شرح غوامضها وأكد الباحث في ختام ورقته بأنه حاول حوصلة ما تبيّن له من معلومات وأفكار ورؤى ومواقف تعكس جانبًا من إبداعات الراحل وجهود في خدمة الأدب والثقافة الليبية.

وشارك بورقة بحثية الدكتور "محمد علي البحباح" عنوانها (إضاءة بلاغية في قصيدة بهجة المغرب) الذي تحدث عن صور التكرار والإطناب وتثبيت المعنى في قصيدة بهجة المغرب للراحل وذكر الأغراض البلاغية منها وأشار إلى أن الأديب الراحل قد جمع في حنينه لبلاد المغرب بين بلاغة الأسلوب الخبري وفائدته وبلاغة الإستفهام ودلالاته التصديقية.

وقدم الدكتور "خالد ميلاد العود" ورقة بحثية بعنوان (بحر الكامل في ديوان -جهد المقل- وقرأ الورقة بالنيابة الدكتور "محمد عمر بن حسين" فأشار بالدراسة والتحليل للقصيدة إلى أن النصوص الشعرية في قصيدة (جهد المقل) للراحل قد بلغت اثنين وستين نصًا ما بين

قصائد ومقطوعات وأردف إن هذه النصوص تنتمي إلى نحو عشرة بحور شعرية ذكر منها: الكامل والوافر والبسيط والمديد والطويل وتساءل الباحث من خلال ورقته عن مسألة تفرد الشاعر في تقديم هذا وزن الكامل على سائر الأوزان والسر وراء إكثاره من النظم عليه ؟ والصور المستخدمة في هذا الوزن.

وأختتمت الأصبوحة بورقة بحثية قدمها الأستاذ الدكتور "رضا محمد جبران "جاءت بعنوان (منهجية الأستاذ الدكتور محمد مسعود جبران في تراجم مجلة جوهر الإسلام) وفي بادىء تناوله للورقة قدم عرضًا لسيرة الراحل ومكان نشأته وترعرعه واستفادته من مجالس أساتذته وشيوخه ومن المناخ الفكري والثقافي الذي كان سائدًا في ليبيا وساق مجموعة من شهادات وخطابات الثناء والإطراء في حق الراحل وجهوده الإبداعية لكوكبة من الأدباء والكتاب والعلماء من أبرزهم الشيخ " محمد الفاضل بن عاشور " والأديب "علي مصطفى المصراتي " والشاعر والأديب "خليفة التليسي" وذكر الباحث ما كتبه المستشار "الدكتور جمعة محمود" متحدثًا الراحل جبران ومدى استفادته ونبوغه في التحصيل والنهل العلمي ممن سبقوه واستيعابه لأغلب تجاربهم وتاريخهم وكفاحهم ومناشطهم العلمية.

أضواء حول معرض القاهرة الدولي للكتاب 52

(كتب: عوض الشاعري) انطلقت فاعليات معرض القاهرة الدولي للكتاب يوم 30 يونيو بمشاركة أكثر من 700 ناشر محلي وأجنبي تحت مبادرة (ثقافتك كتابك) وتضم هذه الدورة مئات العناوين من دور النشر وقطاعات الوزارات على ألا يتجاوز سعر الكتاب 20 جنيها مصرياً. وتستمر هذه الدورة الثانية والخمسين حتى يوم 15 من شهر يوليو. عن طريق تنفيذ معظم الأنشطة الافتراضية من خلال المنصة الالكترونية الخاصة بالمعرض والتي تعتمد على التسجيل والحصول على تذاكر الدخول للتحكم في عدد الرواد يومياً طبقاً لمعايير الصحة والطاقة الاستيعابية المقررة.. واتخاذ الاجراءات الاحترازية من قياس درجة الحرارة والتعقيم وارتداء قناع الوجه والحفاظ على مسافات التباعد.. وحظر إقامة الانشطة فعلياً داخل مركز مصر للمعارض الدولية حفاظاً على سلامة الجمهور والناشرين والعاملين.

تعتبر هذه الدورة مختلفة عن الدورات السابقة. فمنذ انطلاقة الدورة الأولى لمعرض القاهرة الدولي عام 1968 كان موعد المعرض في شهر يناير واستمر على مدى 51 عاماً. لكن نتيجة ظروف جائحة كورونا تم تعديل الموعد من 30 يونيو الى 15يوليو من هذا العام 2021. واتخاذ كافة الإجراءات الوقائية والاحترازية. مما سبب ارتباكاً كبيراً.. خاصة في ظل الأوضاع

الصحية وعدم تمكن الناس من الحصول على تذاكر إلكترونية للدخول. وانخفاض أعداد الزوار نتيجة تزامن هذه الدورة مع امتحانات الشهادة الثانوية مما شكل ضغطاً على العائلات والأسر المصرية.

ولقد كان الكتاب الليبي حاضراً في هذه الدورة مثل الدورات السابقة.. من خلال مشاركة الكثير من دور النشر الليبية مثل جناح دولة ليبيا الخاص بوزارة الثقافة والتنمية المعرفية وكذلك دار الكون ودار الرواد ومكتبة الشعب. ودار الجابر ودار البيان وغيرها..

كما كان هناك حضورٌ لافتٌ للأدباء والكتاب الليبيين وتردد السيدة وزيرة الثقافة والتنمية المعرفية على جناح ليبيا ولقائها بالمشاركين والتي اشتملت على مئات العناوين الحديثة في القصة والرواية والشعر والنقد.. كما تصدرت هذه العناوين بعض الدور غير الليبية مثل مركز نهر النيل ودار لوتس وغيرها.

وكان من اللافت إقبال القراء على عناوين كثيرة منها.. المراجع الأكاديمية والروايات.. والكتب الأدبية وكتب الأطفال. وقد كان لانتشار جائحة كورونا السبب في عزوف الناس عن حضور بعض نشاطات المعرض.. كما كان لفرض السلطات حظراً للمناشط الثقافية مثل الندوات وحفلات توقيع الكتب ولقاءات المؤلفين والادباء والكتاب.

يبقى.. أن معرض القاهرة الدولي للكتاب يعتبر أكبر أسواق الكتب العربية والعالمية وأن ادارة المعرض والسلطات في مصر تفكر في تعديل توقيت اقامته والعودة إلى شهر يناير من العام القادم تمشياً بما تعود عليه جمهور الناشرين والمؤلفين ورواد هذا المحفل الثقافي الكبير.

الليبية الوحيدة بجائزة مانديلا

"صفية علي العايش" هي الليبية الوحيدة المترشحة بالقائمة الطويلة للرواية، بجائزة مانديلا للآداب، في نسختها العربية الأولى، من خلال عملها الروائي (ضريح)، والتي تنظمها وتشرف عليها شركة مانديلا للنشر والإعلان والترجمة، بجمهورية تشاد. والتي أعلن عنها في 15 يوليو 2021، عبر موقع وصفحة الجائزة على الفيسبوك.

المشاركة الليبية في الرواية ترشحت ضمن قائمة ضمت 16 رواية من مجمل 78 مشاركة. إضافة إلى المشاركات الأخرى في الشعر والقصة القصيرة وصلت إلى 333 مشاركة.

حسين المالكي يكرم في القاهرة

(22 يوليو 2021م) الكاتب الليبي "حسين نصيب المالكي" سيكون ضمن قائمة المكرمين بملتقى الفنانين والكتاب العرب في دروته السادسة بالقاهرة، في الفترة من 24 إلى 30 سبتمبر القادم، بأتيليه القاهرة للفنون.

الملتقى يقام بالتعاون مع جريدة العهد الدولي، وأتيليه القاهرة والفنون، وبرئاسة الأستاذة فاطمة نعيم. ويقام تحت شعار (قوتنا فى وحدتنا)، و يشهد المهرجان حضور وتكريم رموز الفن والإعلام فى مصر وفى الوطن العربى، حيث سيطير الملتقى من بعد القاهرة إلى ميلانو بإيطاليا بالتعاون مع مؤسسة فنية عريقة بالمدينة.

الكاتب المكرم "حسين نصيب المالكي" من مواليد مدينة طبرق العام 1953، من رواد القصة في مدينة طبرق، إضافة إلى اهتمامه بالتراث الشعبي والصحافة. صدرت له مجموعة من الكتب؛ في القصة القصيرة أصدر (مقبولة) 1979، (وتجسد الحلم) 1989، (الرجل والنورس) 2010، (الطيار البرونزي) 2018، (الحطية) 2019. في التراث له مجموعة الكتب؛ (شاعر من معتقل العقيلة) 1982، (صور من الجهاد الليبي في طبرق) 1997. وكتب عن مجموعة من أسماء الشعر الشعبي في ليبيا؛ هشام الخطابية، عبدالسلام سليم الغيثي، عبدالجليل سيف النصر. ومن إصداراته أيضاً/ وقفات أدبية، ديوان طبرق، كتاب القصة في طبرق.

المركز الليبي للدراسات الثقافية وتأصيل الذاكرة الثقافية

أقام المركز الليبي للدراسات الثقافية ضمن موسم (الإثنين الثقافي) لعام 2021م، مساء يوم الإثنين 26 يوليو 2021م محاضرة بعنوان (في تأصيل الذاكرة الثقافية) وذلك في دار حسن الفقيه حسن للفنون بالمدينة القديمة طرابلس، ألقى المحاضرة الكاتب والباحث "حسين المزداوي" بحضور لفيف من الكتاب والمهتمين، واستهل النشاط الشاعر والكاتب "صالح قادربوه" رئيس المركز بكلمة تأبينية للأديب الراحل "يوسف الشريف".

من جهة أخرى بيّن بأن الوعي يواجه مجموعة من الأسئلة طارحًا بعض التساؤلات مثل هل الذاكرة الجمعية قابلة للتأصيل وأي أنواع التأصيل نجاعة؟ موضحًا أشكال ومستويات الثقافة المتركزة في جوانب سياسية كالقيم والمبادئ الموجهة والافتراضات والرموز، وخلص

إلى أن الذاكرة تقوم بوظيفة مقاومة تهديد الهجوم على المنظومة القيميّة، مؤكدًا ضرورة التوجه لمناقشة مفهوم التأصيل والتجذير في الحقل الثقافي وربط التأصيل بالذاكرة.

وفي سياق متصل أشار الكاتب والباحث "حسين المزداوي" على الحاجة لتعريف للذاكرة وتعريف للثقافة وأضاف بأن الذاكرة كمصطلح يأخذ شكل غير دقيق كونه غير مستخدم، متسائلاً ماذا تعني لدينا الذاكرة في ليبيا؟ وتابع بأنه طالما الذاكرة كاصطلاح لم يستخدم ضمن جهود لترميم الذاكرة تظل الكلمة عائمة.

فحسب ما يرى المزداوي إن كل مصطلح ينبغي استخدامه الاستخدام العملي الخاص به، كما استرسل متطرقًا لمقاصد الذاكرة الثقافية وهل هي الكتب القديمة أم المخطوطات أم المباني الأثرية والتاريخية وأردف بأن كل المصطلحات تتأكد عقب ممارستها وتطرق إلى مسألة تخريب الذاكرة وما تعرضت له الذاكرة من موجات إتلاف في ظل غياب دور المؤسسات في التوثيق وقد استشهد بجملة من المعطيات في هذا الخصوص، وشدد على أن الذاكرة الليبية تنزف ما لم يوضع لها برنامج إستراتيجي وآليات عمل منهجية للنهوض بها من الركام.

نعمة عبدالله بمهرجان مدلين

(30 يوليو 2021) تشارك الشاعرة الليبية "نعمة عبدالله" بمهرجان مدلين الدولي للشعر في دورته الـ31، والتي ستنعقد خلال الفترة من 1-29 أغسطس 2021، بكولومبيا، حيث ستكون ثيمة المهرجان لهذا العام (الذاكرة والوقت القادم).

وفي منشورها الخاص بهذه المشاركة، توجهت الشاعرة بالشكر للشاعر "عاشور الطويبي" الذي قام بترشيحها لهذه المشاركة، ولكل من "صفاء حصن" و"فرح الهوني" لقيامهم بترجمة نصوصها إلى اللغة الإنجليزية.

وزارة الثقافة تطلق جائزة ليبيا للإبداع الأدبي

أعلنت وزارة الثقافة والتنمية المعرفية، في الأول من أغسطس 2021م، عن إطلاقها (جائزة ليبيا للإبداع الأدبي 2021)، والتي تأتي ضمن مساعي الوزارة لدعم وتطوير المنجز الأدبي واهتمامها بحضور الكتاب وتشجيع المبدعين. كون الكاتب الليبي هو رهان الحفاظ على

الهوية الوطنية والخصوصية المحلية، وهو الذي يثابر على تسجيل التجارب السياسية والاجتماعية والتاريخية للأجيال القادمة.

هذا وجاءت الجائزة جامعة لأكثر من جنس أدبي وإبداعي:

أولاً: الرواية (المخطوطة / المنشورة). قيمة الجوائز: الأولى 30000 دينار ليبي. الثانية 20000 دينار ليبي.

ثانياً: القصة القصيرة. قيمة الجوائز: الأولى 30000 دينار ليبي. الثانية 20000 دينار ليبي.

ثالثاً: مسابقة الشعر الفصيح بأنواعه. قيمة الجوائز: الأولى 30000 دينار ليبي. الثانية 20000 دينار ليبي.

رابعاً: مسابقة النقد الأدبي. قيمة الجوائز: الأولى 30000 دينار ليبي. الثانية 20000 دينار ليبي.

خامساً: النص المسرحي. قيمة الجوائز: الأولى 30000 دينار ليبي. الثانية 20000 دينار ليبي.

ليبيا تتصدر قائمة التراث العالمي الإسلامي

(6 أغسطس) عبر حسابه الشخصي على الفيسبوك أعلن الباحث في التاريخ "عبدالمطلب أبوسالم" تصدر ليبيا قائمة التراث في العالم الإسلامي بعدد 22 موقعاً ثقافياً ضمن 196 موقعاً على القائمة النهائية لمنظمة الإيسيسكو، التي تضم في عضويتها حوالي 60 دولة، بنسبة 11% من عدد المواقع المدرجة.

هذه الصدارة سبقها عمل وصبر لمدة 3 سنوات توجت بإضافة 16 موقعاً ثقافياً في نهاية يوليو الماضي، من جملة 58 موقعاً تم اعتمادها في الاجتماع التاسع للجنة التراث في العالم الإسلامي.

الدكتور جبران ومؤتمر عن التأويل والقراءة

(15 أغسطس 2021م) أعلن قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بكلية التربية طرابلس – جامعة طرابلس، عن برنامج العلمي (مؤتمر الدكتور محمد مسعود جبران للدراسات اللغوية والأدبية والإسلامية) العلمي الدولي الأول بعنوان (التأويل والقراءة

المتجدد للنص)، خلال الفترة من 9 إلى 11 فبراير للعام 2022م، والذي سيكون افتراضياً. برئاسة الأستاذ الدكتور "علي سليمان زوبي"، والأستاذ الدكتور "مصطفى علي الجهاني" رئيساً للجنة العلمية، والدكتور "امهيدي سعد نجم" رئيس اللجنة التحضيرية.

يهدف المؤتمر إلى إثراء مصطلح التأويل وتعميق دراسته، والوقوف على الزخم المعرفي والعمق التاريخي المتصل بالتأويل، كما يسعى المؤتمر إلى الانفتاح على النظريات التأويلية الحديثة، إضافة إلى ضبط التأويل بضوابطه وحدوده، وإيضا ربط قضية التأويل بالمفاهيم الثقافية والقيم الأخلاقية. هذا ووضعت اللجنة التحضرية للمؤتمر مجموعة من المحاور، هي: المحور الأول: التأويل في المنظور اللغوي واللساني. المحور الثاني: التأويل في المنظور الأدبي. المحور الثالث: التأويل في المنظور الشرعي والقانوني.

سيكون آخر موعد لاستلام الملخصات هو: 1 نوفمبر 2021م. وموعد الرد على الملخصات المقبولة في: 25 نوفمبر 2021م. وآخر موعد لاستقبال البحوث: 10 يناير 2022م.

هذا ووضعت اللجنة التحضيرية للتواصل: Info.edt.ar@uot.edu.ly - info.edt.ar@gmail.com

محاضرة عن الثقافة في زمن الكورونا

(كتب: مهند سليمان) أقامت وزارة الثقافة والتنمية المعرفية صباح يوم الأربعاء 18 أغسطس 2021م في طرابلس محاضرة بعنوان (الثقافة في زمن الكورونا) وذلك في إطار مبادرة (بالثقافة نرتقي) التي أعلنت عنها السيدة "مبروكة توغي عثمان" وزيرة الثقافة والتنمية المعرفية، وقدمت السيدة "سلاف عمار" مسؤولة الاحتفالات والمهرجانات بالوزارة كلمة الإفتتاح ثم أعقبتها كلمة ترحيب لوكيل وزارة الثقافة السيد "خيري الراندي".

وبحضور لفيف متنوع من الكتاب والأدباء والإعلاميين ألقى الشاعر والكاتب "رامز النويصري" محاور المحاضرة التي انقسمت إلى عدة فروع، واستهل أولى المحاور بتعريف الثقافة وماهيتها وأهمية أن تنعكس على سلوكيات الأفراد، موضحاً إلى أن القطاع الثقافي هو أكثر القطاعات المتضررة جراء ظروف تفشي جائحة كورونا على مستوى العالم في ضوء مجموعة من التقارير والاحصاءات الصادرة في النصف الثاني من العام المنصرم.

حيث أضاف بأن عدداً كبيراً من المبدعين قد تأثروا بصورة مباشرة من هذه الأزمة فضلاً عن الأضرار الكبيرة التي لحقت بدور الثقافة ومعالمها، كما طرح تساؤلا، لماذا تضررت الثقافة؟ مستشهدا بنماذج من المكتبات الأمريكية وتشديدها للإجراءات الإحترازية، من جهة أخرى أكد النويصري على الجوانب الإيجابية والمضيئة لهامش الحياة الذي أفرزته ظروف الحجر والعزل الإجتماعي من خلال منصات التواصل الإجتماعي وبرامج الاتصال المباشر فهي مكنت الكثيرين من ممارسة الأنشطة الثقافية والإبداعية وتحقيق نسبة عالية من التفاعل والعمل الثقافي عن بُعد لتتحول الكثير من الفعاليات الثقافية للفضاء الإفتراضي على شبكة الإنترنت، وقد أكد على حجم الإستفادة الكبير من إمكانيات شبكة الإنترنت ونتائجه المثمرة على العمل الثقافي.

وأشار لجملة من النقاط أبرزها عجز مؤسسات الدولة لاسيما الثقافية منها عن الإضطلاع بمسؤولياتها في ظل الأزمة الراهنة وعدم مواكبتها للتقنيات الحديثة وأليات عملها القائمة على الأنماط البيروقراطية المعيقة، وفي الختام أشاد بقدرة العمل الفردي والمؤسسات الأهلية والجماعية على إنتاج عمل ثقافي حقيقي وفعال وبأبسط الأدوات والإمكانات.

رحلوا عنا..

الفنان جابر عثمان في ذمة الله

أعلن السبت 3 يوليو 2021م، في بنغازي عن وفاة الفنان الليبي "جابر عثمان"، بعد معاناة نتيجة إصابته بفيروس كورونا المستجد، الأمر الذي اضطر عائلته إدخاله العناية الفائقة، لكن الحالة تأزمت لتنتقل روحه إلى بارئها.

الفنان جابر عثمان، هو فنان الطفولة في ليبيا، والكثير من شباب ليبيا الآن رددوا أغانيه الجميلة التي كان يبثها التلفزيون الليبي.

الراحل من مواليد مدينة بنغازي، أحب الموسيقى فكان معهد على الشعالية بمدينة بنغازي وجهته، ليتخرج منه بعد 4 سنوات، ويعمل أستاذاً به.

عرف بين الليبيين من خلال برامج الاطفال التي قدمها في ثمانينيات القرن الفائت، وهما: كل يوم حكاية، وأمل الغد. حيث نال عنهما الكثير من الجوائز والتكريمات محلياً وعربياً، ودولياً.

التشكيلي علي عمر ارميص في ذمة الله

انتقل إلى جوار ربه مساء السبت 10 يوليو 2021م، بالمملكة المتحدة، الفنان التشكيلي الليبي "علي عمر ارميص" نتيجة مضاعفات إصابته بفيروس كورونا المستجد (كوفيد 19).

الراحل من مواليد مدينة طرابلس العام 1945م، حيث درس وتعلم بها قبل أن يتخذ من المملكة المتحدة مقراً له، منذ أكثر من 30 عاماً.

يعتبر "ارميص" من قبل العديد من المراقبين وخبراء الفن في جميع أنحاء العالم، كفنان عالمي فريد من نوعه. وقد عرضت أعماله على نطاق واسع في العالم ويعتبر من أهم الفنانين التشكيليين المسلمين المعاصرين في العالم.

وفاة التشكيلي والصحفي عبدالحميد الجليدي

انتقل إلى جوار ربه الاثنين 12 يوليو 2021م، الفنان التشكيلي والصحفي "عبدالحميد الجليدي" عن عمر يناهز الـ84، وفقاً لما نشره ابن أخيه المهندس "بشير الجليدي" على حسابه الشخصي على الفيسبوك.

يعد الجليدي إحدى القامات البارزة في الصحافة الليبية، إذ عرف كخبير في مجال الطباعة والإخراج والكتابة الصحفية وإجادة الرسم وفنون التصميم. وقد كرمته الهيئة العامة للثقافة كأحد رواد الصحافة الليبية في فبراير 2020م.

الباحث عبد المنعم الدبسكي في ذمة الله

توفي مساء الإثنين 12 يوليو 2021م الباحث والمؤرخ المهندس" عبد المنعم الدبسكي" متأثرًا بإصابته بفيروس كورونا المستجد، وذلك بعد عودته من المشاركة في فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الـ52.

الجدير بالذكر أن للباحث كتاب بعنوان (أتوبيس ذاكرة شوارع طرابلس) صدر في الربع الأخير من العام 2020م، عن مكتبة الكون للنشر والتوزيع بالقاهرة. وهو مؤلف تأريخي يستعرض صورًا بانورامية لشكل الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والديموغرافية والثقافية والفنية لمدينة طرابلس عبر حقب وعصور مختلفة بلهجة أهل طرابلس القحة.

الكاتب الكبير يوسف الشريف في ذمة الله

انتقل جوار ربه الكاتب الكبير "يوسف الشريف" نتيجة مضاعفات إصابته بفيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) بمدينة طرابلس، عن عمر يناهز 83 عاماً. الجمعة 23 يوليو 2021م.

ولد الراحل بمدينة ودان العام 1938م، لينتقل صحبة عائلته إلى مدينة طرابلس، حيث سكنت زنقة الباز، بالمدينة القديمة. في العام 1956م، توقف عن الدراسة وسافر إلى ونزريك (وادي الشاطئ)، حيث عمل مدرساً بها، ليعود ويكمل تعليمه الثانوي، حتى حصوله على الليسانس في علم الاجتماع من كلية الآداب – بنغازي العام 1962م.

كتب القصة القصيرة مبكراً وبدأ نشرها منذ العام 1959م. أهتم بالكتابة للطفل والناشئة، حيث صدرت له مجموعة كبيرة من قصص الأطفال والمعاجم الميسرة.

كتب في الصحافة وكان عضواً فاعلاً برابطة الأدباء والكتاب الليبيين من خلال مناشطها ومجلتها الفصول الأربعة.

الأعلامي والفنان عبد الفتاح الوسيع في ذمة الله

إنتقل رحمة الله تعالى الإعلامي والممثل الليبي "عبد الفتاح الوسيع" صباح الأحد 15 أغسطس 2021م، جراء إصابته بسكتة قلبية مفاجئة وذلك عن عمر ناهز الـ82 عامًا.

ويعد الوسيع أحد أبرز الإعلاميين في ليبيا خلال الأربعة عقود الأخيرة فهو من مواليد مدينة بنغازي عام 1938م التي تربى وترعرع فيها وتلقى علومه الإبتدائية والإعدادية والثانوية في منطقة توكرة شرق المدينة، وكان من المتفوقين الأوائل، حصل على البكالوريس من كلية الإقتصاد والعلوم السياسية بالجامعة الليبية عام 1962م وهو من المؤسسين للمسرح الجامعي.

وعقب انخراطه في العمل الإذاعي أعد وقدم وأخرج مجموعة كبيرة من البرامج المسموعة، كما إنضم أيضًا لفرقة المسرح الوطني وكانت لديه مساهمة فعالة في الإرتقاء بالمشهد الفني والمسرحي حيث قدم وإشترك في العديد من المسرحيات المستقاة من الأدب العالمي وإنضم كذلك للفرقة العالمية للمسرح،(I.T.G) ولعل من أهم مشاركاته التمثيلية تجسيده لدور "سعد بن عبادة" زعيم الأنصار في المدينة المنورة من خلال فيلم الرسالة الذي أخرجه الراحل "مصطفى العقاد".

القاص علي الجعكي في ذمة الله

أنتقل إلى جوار ربه السبت 21 أغسطس 2021م، الكاتب الليبي "علي الجعكي" عن عمر يناهز 69 عاماً، بمدينة الخمس، بعد صراع مع المرض.

وهو من مواليد مدينة الخمس عام 1952م ساهم بنصيب وافر في كتابة القصة القصيرة فلقب بـ(ملك القصة في ليبيا)، انخرط بالعمل لسنوات في القسم الثقافي بمكتب النشاط

المدرسي بمراقبة التعليم بالخمس إلى أن أحيل للتقاعد كما مارس مهنة التدريس في العديد من المدارس الحكومية.

نظم وأشرف على مجموعة متنوعة من الفعاليات والأنشطة الثقافية والفكرية والمنهجية، كان عضواً فاعلاً في رابطة الكتاب والأدباء الليبيين، نشر نتاجه الأدبي والقصصي في أبرز المطبوعات والصحف والدوريات المحلية والعالمية، صدرت له عدة مجموعات قصصية نذكر منها: (وأموت كل يوم)، (سر ما جرى للجد الكبير)، ورواية (ابن الغبار)، ومجموعة (زهرة الليل)، كما حظيت بعض أعماله بالترجمة للغة الإنجليزية.

إصدارات..

سوق الزنتان القديم

عن دار إمكان، طرابلس، صدر للباحث "علي احمد الرماح" كتابه (سوق الزنتان القديم – السوق الدخلاني)، وهو كتاب يوثق للحياة التجارية في مدينة الزنتان، والتجارة ومعلم السوق هما أساس التأليف، أما من حيث المضمون فهو كتاب تأريخ، وثقافة، وتدوين، وفيه شذرات من الطرائف، ومزيّن بالجداول، والخرائط، والصور.

قوارير خاوية

عن زين للنشر والتوزيع بالقاهرة، صدرت رواية (قوارير خاوية) للكاتبة الليبية "غالية يونس الذرعاني". وهي الرواية الفائزة بالترتيب الثاني، في الدورة العاشرة 2020، لجائزة الطيب صالح للإبداع الكتابي.

المختار من أسماء وأعلام طرابلس الغرب

عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية للنشر والتوزيع، بمدينة طرابلس، صدر للباحث والكاتب "سالم سالم شلابي" كتابه (المختار من أسماء وأعلام طرابلس الغرب)، في 464 صفحة، وهي طبعة ثانية منقحة للكتاب.

أخبار الحملة من طرابلس

عن دار إمكان للطباعة والنشر، بمدينة طرابلس، صدر كتاب (أخبار الحملة من طرابلس إلى حدود مصر الغربية سنة 1817م) للدكتور "ديلا تشيلا" بترجمة للدكتور "عبدالكريم أبوشويرب"، والكتاب يوثق لحملة "أحمد باشا القرمانللي" التي قادها لقمع تمرّد أخيه "محمد" في بنغازي، وقد رافقهم الطبيب الإيطالي "ديلا تشيلا" من طرابلس حتى السلوم على حدود مصر، سنة 1817م.

ضمير وطن

عن مكتبة الكون للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، صدر للكاتب "شكري السنكي "كتابه (ضمير وطن – سيرة رجال قاوموا الاستبداد). يقع الكتاب في 616 صفحة، ويضم سيرة عشرة أسماء هي كوكبة مِن أحرار وشرفاء الوطن، منهم: فاضل أحمَد المسعودي، محمّد مُصْطفى رمضان، أحمَد إبراهيم إحواس، محمّد علي يحيى معمّر، حسن عبدالعزيز الأشهب، عبدالحميد مختار البكوش، حسن عبدالرَّحمن البركولي، عبدالجليل سيف النَّصر، السّنُوسي عبدالقادر كويدير، نوري رمضان الكيخيّا.

رحلة كايا - 2

عن دار كتاب للنشر والتوزيع بجمهورية مصر العربية، صدر الجزء الثاني من رواية (رحلة كايا) للكاتبة والروائية الليبية "عائشة صالح". في تكملة لرحلة كايا الجزء الأول، وهي رحلة متخيلة عبر الزمن تتحول إلى رحلة اكتشاف للذات وأسرار الكون والحضارات. الرحلة انطلقت من شواطئ ليموريا، ونتعرف معها ومع فلافيوس الكثير من الأحداث مع الأميرة كايا.

حكايات الميعاد

عن دار تبر الزمان، تونس.، صدر للدكتور "علي برهانة" كتابه الجديد (حكايات الميعاد) وهي مجموعة من الحكايات من المأثور الشعبي الليبي، والتي تختص تحديدا بالإسقاط الدلالي داخل المجلس أو الميعاد الذكوري. وقد قسمها إلى خمسة أنواع؛ وهي الحكايات الأسطورية، والحكايات المَثَلية والحكايات الشعبية، والحكايات المرحة، والحكايات المناقبية، وبلغ عددها 109 حكاية.

نظرية الاتزانية

عن دار يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، بالقاهرة، صدر للكاتب "علي الحبيب بوخريص" كتابه (نظرية الاتزانية)، والكتاب يطرح نظرية الاتزانية، وهي فكر عام ضد التطرف والإفراط والتفريط، يقوم على الموازنة المستمرة قبل إصدار القرار، تكاملاً للمنافع وتعاطلاً للمضار تجاه الصالح العام على كافة الأصعدة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

•••

دوار الحرية

تحت عنوان (دوار الحرية.. أوراق هيبية في أحوال وأوحال ليبية) صدر للكاتب والشاعر "سالم العوكلي" كتابه الجديد عن دار النسيم للنشر والتوزيع بمجهورية مصر العربية، والذي يضم مجموعة من المقالات في الشأن الليبي العام.

لإبليس رأي آخر

عن دار الحسام للنشر والتوزيع بمدينة بنغازي، صدر للكاتبة الشابة "بشرى الغرقي" باكورة إنتاجها الأدبي (لإبليس رأي آخر)، وهو عمل أدبي روائي من نوع أدب الخيال، بغلاف للتشكيلية "شيماء المقصبي".

القولوغلية في ليبيا

ضمن إصدارات موقع بلد الطيوب، الكتاب الإلكتروني، صدر كتاب (القُولُوغْلِيَّة فِي لِيْبِيَا) للباحث المائز "عمار محمد جحيدر"، بعنوان فرعي (تأصيلٌ لغويٌّ / تاريخيٌّ لمصطلحٍ عثماني)، و(مع معطياتٍ مقارنة في تونس والجزائر)، وهو القسم الأول من دراسة كبيرة، بدأ الباحث العمل عليها لأكثر من عشر سنوات. هذا الكتاب هو الكتاب الإلكتروني 45 في سلسلة الكتاب الليبي، ليكون الكتاب 61 في سلسلة منشورات الموقع، الكتاب الإلكتروني.

خبز على طاولة الخال ميلاد

عن دار مسكيلياني، بالجمهورية التونسية، صدرت رواية (خبز على طاولة الخال ميلاد) لكاتب الليبي "محمد النعاس"، لتكون العمل الروائي الأول له، بعد تجربة في نشر القصة القصيرة. تتناول الرواية تعريفات مجتمع القرية المختلفة للرجولة، لكنها تحتفظ بتعريف واحد للرجل الضد أو اللا رجل الذي يكون ميلاد الأسطى رمزاً له.

ماذا صنعنا بالشمس

عن دار آثر للنشر والتوزيع، بالمملكة العربية السعودية، صدر للشاعرة الليبية "هناء قاباج" باكورة إنتاجها الشعري، مجموعتها الشعرية (ماذا صنعنا بالشمس؟). الجدير بالذكر إن الدار شاركت بالمجموعة ضمن معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الأخيرة.

• • •

الخدر

عن دار مفرد للترجمة والنشر، بجمهورية مصر العربية، صدر للكاتب الليبي "هشام علي" روايته (الخدر)، وهي الرواية الفائزة في مسابقة الكاتب حسام شلقامي، وقد شاركت بها الدار ضمن منشوراتها بمعرض القاهرة الدولي للكتاب، في دورته الأخيرة.

أراك في كل مكان

عن دار الرواد، بمدينة طرابلس، صدرت للكاتب الشاب "محمد التليسي" روايته (أراك في كل مكان). الرواية هي الكتاب الثاني للكاتب، حيث سبق وأصدر عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية كتابه (فيرينا)، والذي ضم مجموعة من الشذرات والنصوص القصيرة.

طرابلس داخل أسوار المدينة

عن مكتبة الكون، بالقاهرة، صدر للأستاذ "البدري محمد الشريف" روايته (طرابلس داخل أسوار المدينة). الرواية هي الثانية للكاتب بعد (شيخ الظل)، والتي تتناول حياة مدينة طرابلس منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى الآن، وهي تتحدث عن قضية الحياة والموت، فرغم كل الأزمات الكبرى التي مرت بها طرابلس منذ نشأتها إلا أنها كانت بعد كل مرة تنهض من جديد أكثر قوة، فقدرها أن تعيش لا أن تموت.

سؤال متعب من استفهامه

عن دار إمكان للطباعة والنشر، بمدينة طرابلس، صدر للشاعر الليبي "المهدي الحمروني" ديوانه الشعري (سؤال متعب من استفهامه)، وهو الديوان الشعري الرابع للشاعر. جاء الديوان في 250 صفحة من القطع المتوسط، وضم 51 نصاً شعرياً.

كتاب للصديق بودوارة

عن دار جابر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بمدينة بنغازي، صدر للكاتب الليبي الدكتور "الصديق بودوارة" كتابان، الأول بعنوان (الكائنات) والثاني بعنوان (أقل من دقيقة). وقد شاركت بهما الدار بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الحالية الـ52.

كن قمراً مرتعشاً

عن مكتبة الكون للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، صدر للشاعرة الدكتورة "غادة البشتي" ديوانها الشعري (كن قمراً مرتعشاً في بياضي)، والذي شاركت به الدار ضمن منشوراتها بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الأخيرة الـ52.

قراءات في الثقافة والتاريخ والأدب

عن دار المكتب العربي للمعارف، بجمهورية مصر العربية، صدر للكاتب الليبي "خالد السحاتي" كتابه (قراءات في الثقافة والتاريخ والأدب)، وقُسِّم الكتابُ إلى ثلاثة أقسام رئيسية، هي كما يلي: القسمُ الأوَّلُ: "في مفهُوم الثقافة وتجلّياتها المُعاصرة". القسمُ الثاني: "الأدبُ المُعاصرُ: مفاهيمٌ وقراءاتٌ". القسمُ الثالث: "قراءاتٌ تاريخيَّةٌ".

تهيؤات كاتب عمومي

عن دار رؤيا للطباعة والنشر والإعلان، صدر للكاتب والقاص الليبي "عمر علي عبود" كتابه المعنون (تهيؤات كاتب عمومي)، في 55 صفحة من القطع المتوسط. في هذا الكتاب، يأخذ الكاتب دور كاتب عمومي يقوم على تدوين كتابة هموم الناس والاستماع لشكواهم، والتفاعل معهم. كما ويرصد الكاتب ردات فعل الشاكين.

رقصة الريح الأخيرة

عن دار الدراويش للنشر والترجمة، صدرت للقاصة والكاتبة الليبية "سعاد الورفلي" مجموعتها القصصية (رقصة الريح الأخيرة)، والتي احتوت 45 قصة قصيرة. وقد جاء الغلاف من تصميم الشاعر "بدر السويطي". المجموعة هي المجموعة الثانية للكاتبة بعد مجموعتها القصصية (ربيع بطعم البركوكش) الصادرة في 2015م، عن دار هيبتا، بالقاهرة.

وشمة تشبهُ بُحتي

عن دار إمكان بطرابلس، صدر المجموعة الشعرية السادسة للشاعر الليبي "مفتاح البركي" المعنونة (وشمةٌ تُشبهُ بُحتي)، والتي تضم 42 نصاً شعرياً، في حوالي 183صفحة، زينت الغلاف لوحة للفنان الحروفي "محمد الخروبي" أما خطوط الغلاف فهي للفنان "سالم المزوغي".

إريروس

عن يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، بالعاصمة المصرية القاهرة، صدر للروائي الليبي "فتحي محمد مسعود" روايته (إريروس)، لتكون الرواية الرابعة للكاتب بعد صدور؛ أوره سالم (2018) – أسطورة شفاء جرف (2019).- لن ترضى عنك روما (2021).

سواح في ظلال المدن

عن مكتبة الكون للنشر والطباعة والتوزيع، بالقاهرة، صدر للكاتب الصحفي الليبي "عبدالسلام الزغيبي" كتابه (سواح في ظلال المدن). ففي هذا الكتاب سنزور معاً العديد من المدن، لنكتشف جوهرها ونبض ناسها وإيقاع حياتها، في محاولة لمعرفة أسرارها، ولكن من الذي يستطيع معرفة طلاسم المدن، لا أحد.

ذاكرة زرقاء

عن مكتبة الكون للنشر والطباعة والتوزيع، بالقاهرة، صدر للقاصة الليبية "هدى القرقني" مجموعتها القصصية (ذاكرة زرقاء)، في تعاون ثان مع الدار بعد مجموعتها القصصية الأولى (حكاية مشط) والتي صدرت العام 2020م.

المجتمع المنحط

صدر مؤخراً عن دار "صفحة سبعة" السعودية للنشر والتوزيع "المجتمع المنحط"، تأليف الكاتب الأمريكي روس داوثت، وترجمة أنس محجوب وعبدالمنعم المحجوب. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء في أحد عشر فصلاً، ويهتم بما يسميه "انحطاط المجتمع الأمريكي"، حيث لا يعتبر المؤلف الولايات المتحدة قويّةً ومتقدّمةً وعصريةً كما في صورتها الدارجة، بل يعدّها رمزاً للانحطاط الذي أضفى عليه معنى جديداً يضاف إلى معناه المتداول، ويجعله أقرب إلى صورة الديستوبيا العالمية.

الملكة ونصوص أخرى

عن دار إمكان للطباعة والنشر، بمدينة طرابلس، صدرت للدكتور "نورالدين سعيد" باكورة أعمالة الأدبية المعنونة (الملكة ونصوص أخرى)، والذي ضم مجموعة من النصوص

الشعرية، بتقديم للناقد الليبي "منصور أبوشناف"، ولوحة خلاف للفنان التشكيلي الليبي "بشير حمودة".

بنت أغسطس

عن دار إمكان للطباعة والنشر، بمدينة طرابلس، صدر للشاعرة الليبية "سمية الطرابلسي" مجموعتها الشعرية البكر (بنت أغسطس). تحتوي المجموعة على أحد عشر نصاً شعرياً بين العمودي والتفعيلة، في 72 صفحة.

الوسعاية

عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية، بمدينة طرابلس، صدر للكاتب الدرامي والمسرحي "عبدالرحمن حقيق" كتابه (الوسعاية)، والذي يضم مجموعة من النصوص المسرحية.

الـجُـزُر

عزة كامل المقهور

شقت الطائرة السحاب مخلفة خطاً طويلاً أبيض حتى اختفت وسط السماء السماوية المموجة بالضباب. حينها لاحت سلسلة الجزر الجبلية الخضراء السابحة في مياه متدرجة الألوان، يحفها لون سماوي شفاف.

ها هي تبحث عن أرض أخرى، كما بحث أخرون في أزمنة غابرة. تركوا الأرض الفسيحة التي أصبحت عجوزاً كسيحة بفعل ناطحات السحاب ومحطات المترو وركض المارة ومعارك السيارات وصياح الباعة والواجهات الزجاجية المضيئة والدعايات الكاذبة... بات كل شيء مكرر حتى هي ذاتها باتت مكررة تعيد الأشياء مرات، حتى فقدت الحماس فخبى توهج فجرها وأصبح كخط الطائرة المستقيم الذي تخلفه خلفها .

لذا كان لابد من السفر الى الجزيرة ..

للجزر نكهتها.. لأي صخرة طافية على الماء تقاوم الغرق والأمواج، على وجهها المحفور حكايات العابرين والواقفين والزائرين.

تقاوم الجزر غزوات المياه والبشر، تصبر بجلد على ضربات الأمواج وأقدام البشر العارية.. سحرها في صبرها حد اللامبالاة كما يعتقد البعض مخطئاً.

كانت جزيرتها الأولى ليست بعيدة على مقر سكناها. يخال إليها كل صباح أنها تنتظرها.. تختلف حالاتها فتختفي شتاءً لكنها تظهر بكامل هيئتها الصخرية الجدية وقاطنيها المختبئين في حفرها صيفاً. تعلو بتكبر على الماء بعد أشهر من التخفي.

لكن جزيرتها هذه المرة مختلفة... تكاد تكون في آخر العالم. بعيدة عن القارات، تعيش مع أخواتها في سلسلة صخرية بديعة، متدرجة الخضار، تتسلقها النباتات ثم تسقط أغصانها وأوراقها كالأغطية الخضراء وهي تتشابك كأنها ترمي أحمالها فلا مكان كاف لها تتمدد فيه. كل شيء يعلو ثم يهبط الطرقات والجبال والصخور كلها تتجه نحو الماء.

صراع الماء مع الرمال أزلي.. يتجلى في مده وجزره، ينسحب فتبرز الصخور السوداء، وتظهر الاسماك الملونة المختبئة بين الحفر، وتمنح القواقع ظهرها الصلد للشمس.. حتى السلاحف البرية تمارس الطيران في الماء.. تخرج رأسها وتنظر بعينين واسعتين ثم تعاود حركة الطيران بأطرافها ..

لذا كان لابد من تجربة حركة الجزر الذي تمارسه الموج.. انسحاب هادئ خفيف مريح دون صخب.. يترك لما بداخلها أن يبرز.. يتنفس بانتظام، ويتحرك كسكان المحيط الهادئ بعفوية ودونما تخطيط.. فما السباحة إلا طيران مائي.. كلاهما حركة حرية جسدية تستدعي تناغماً محسوساً في حيز لا محدود.

تتحرر الجزر من التاريخ، من يولد فيها يدعي أنه منها. يعتبر سكانها بعضهم البعض غزاة يتصارعون فيمن وطء الرمال أولاً.. لكنهم يتفقون جميعاً في أنهم غزاة.. لذا يسهل احتلالها. الصراع فيها على الأرض شرساً يخلف ندوباً لا تندمل، في حين يظل محيطها المائي بعيداً عن كل الصراعات رغم أنه مصدر الغزوات.

كان لزاماً أن تنأى بنفسها إلى سلسلة الجزر الصخرية المفوهة بالبراكين والمكتسية بحللها الخضراء والمحتفية برمال من بقايا القواقع المنتحرةً على الشاطئ، والمنصتة بصبر لتراتيل الموج، والراقصة بهدوء وتناغم على رتم القواقع، والقانعة بقدرها مع المحيط الهادئ والمكلومة بتاريخ لم تتصالح معه بعد.

هاواي 23/ 8/ 2021